أســــــرار في حيــاة المطلقــات

تأليــف

بثينة السيد العراقي

أســـــرار فـــي
حـــيـــاة المطلقـــات

ح دار طويق للنشر والتوزيع ، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العراقي ، بثينة السيد

أسرار في حياة المطلقات -ط٢ . - الرياض.

... ص، ... سم

ردمك : ٦-٧٩-٨٥١-٩٩٦٠

١- الطلاق ٢- الأسرة في الاسلام أ-العنوان

ديوي ٣٠١،٤٢٨ ٢١/٢١٥١

رقم الايداع : ٢١/٢١٥١

ردمك : ٦-٧٩-٨٥١-٩٩٦٠

الطبعة الثانية

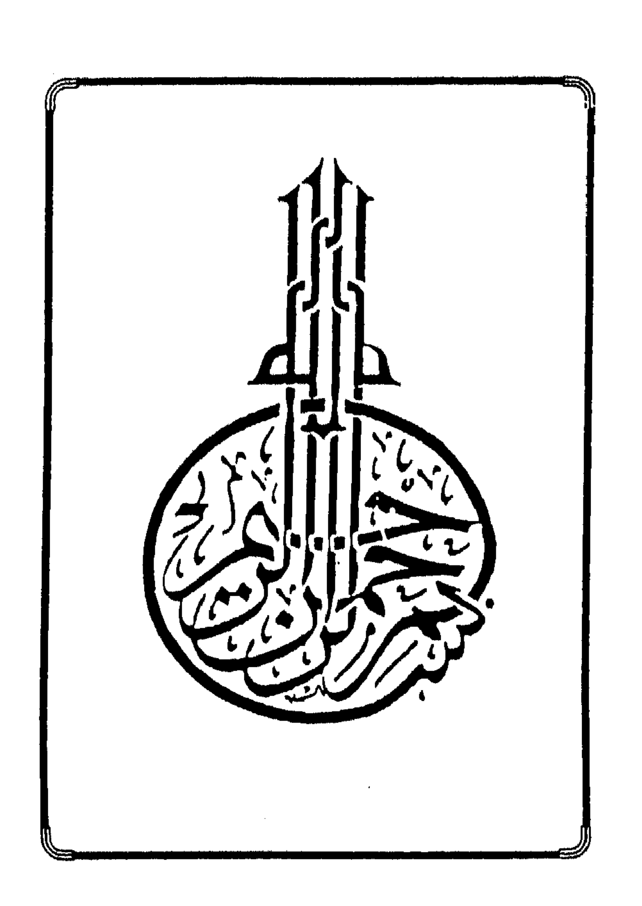
١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م

دار طويق للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥

ت: ٢٤٩١٣٧٤ - ٢٤٨٦٦٧٧ - ٢٤٨٦٦٨٨

بريد الكتروني: E-mail: dartwaiq@zajil.net


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين، أما بعد:

فهذا كتاب «أسرار في حياة المطلقات» وهو امتداد للكتاب السابق «أسرار الزواج السعيد» وسيتلوه كتاب آخر بعنوان: «أسرار في حياة العوانس». ويلقي هذا الكتاب الضوء على مشكلة طالما أرَّقت فئة من المجتمع، تلك الفئة التي حكمت عليها الظروف وأجبرتها حتى وصلت للحالة التي هي فيها، وهذه الفئة هي فئة المطلقات.. ولا شك أن للطلاق أحكامه المتعددة، ودوافعه الكثيرة، وأقسامه المتنوعة، وقد أتى الكتاب على ذكر كل ذلك.

ولا يختلف اثنان على أهمية العلاقة الزوجية، وإبعادها عن كل الهزات والمنغصات ومنها الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله. وقد أحلَّ الإسلام الطلاق إذا تعذرت كل الأسباب التي تؤدي لنجاح الحياة الزوجية، وإذا وصلت العلاقة بين الزوجين إلى حالة دائمة من المشكلات والخلافات المستعصية، والعناد المستمر، وسوء السلوك، وغير ذلك من الأمور التي لا يمكن أن يستمر الزواج معها. والطلاق في هذه الحالة يعد أخف الضررين وخلاصاً للزوجة

إذا كان زوجهـا ظالمـاً مستكبـراً، وللزوج إذا كانت زوجتـه سيئـة الطباع، كريهة المعشر، تعصي زوجها ولا تطيعه. .

وستـطالـع أخي القـارىء العزيز في هذا الكتاب ملابسات ودوافع الطلاق حتى يمكن تجنبها لو حدثت ـ لا قدر الله ـ، كما يعرض الكتاب للخلافات الزوجية، وجمود العلاقات بين الزوجين، والملل والصمت الزوجي، وكيفية تجديد مشاعر الحياة الزوجية، ودور بعض الآبـاء والأمهات في فشل الزواج وإيصاله إلى النهاية المؤلمة وهي الطلاق. .

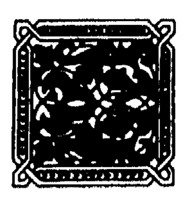
وفي الكتـاب أيضـاً استعـراض لضحـايا الـطلاق، وتصوير لمشاعر المطلقات وما يقاسين من ألم وندم وحسرة، ونظرة المجتمع إليهن، والرؤية الإسلامية لمشكلة الطلاق، مستدلين ـ في كل ما سبق ـ بكتاب الله، وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقوال الصحـابـة وكبار العلماء قديماً وحديثاً، كما احتوى الكتاب على دراسـات كثيرة أجـراهـا المختصـون حول هذه المشكلة، فقـدم خلاصتها، لتكون نبراساً للأزواج، وعرض لتجارب من عشن آلام الطلاق وذكر آراءهن، وما يختلج في نفوسهن من مشاعر وآلام وهواجس.

وإننا نأمل أن يؤتي هذا الكتاب أكله، وذلك باستفادة الأزواج مما جاء فيه من دراسات وآراء وأفكار تساهم في البعد عن الطلاق،

وتلمس أفضل السبل حتى لا تقع الزوجة فريسة الطلاق البغيض الذي قد يكدر عيشها ويجعلها في أشد الضيق.

ونسأل الله ـ عزَّ وجلّ ـ أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله في موازين حسناتنا، إنه على كل شيء قدير.

المؤلفة



مدخل

لقد كرَّم الله - سبحانه وتعالى - الناس، وجعل لهم من أنفسهم أزواجاً، يسكنون إليها، فشرع الزواج، وجعل بين الزوجين مودة ورحمة، لبناء أسرة مسلمة تكون نواة سليمة لمجتمع ولأمة يباهي بها الأمم محمد عليه الصلاة والسلام.

ولقد أوجب الإسلام على كل من الزوج والزوجة حقوقا وواجبات، ومن مصلحة الزوجين التي تقتضيها الفطرة، ويؤيدها الشرع، ويمليها العقل أن يبذل كلٌ منهما كل الجهد لتحقيق المحبة والمودة والتعاون والتسامح والإخلاص تجاه الآخر، لأن سعادة كل منهما رهينة بسعادة الآخر. وإذا طالت مدة الزواج فإنه يحدث تقارب في جوانب كثيرة، وتتعدد الأشياء المشتركة، وكل من الزوجين يؤثر على الآخر، يؤثر على طريقة تفكيره ودرجة تكيفه في الحياة، فكل منهما يكيف حياته على وجود الآخر..

وفي بعض الزيجات لا يكون هناك الحد الأدنى من التقارب، إلا أن كلًا منهما يكون قد تعود على الآخر، تعود على أسلوبه وطريقته، وتسير الحياة بشكل تلقائي، أو بقوة دفع العادة والتعود، وإن كانت لا تحظى بالدفء العاطفي الكافي، حيث تبدو الأمور غير مستقرة وخصوصاً إذا أثمر هذا الزواج عن أبناء، وتمضي الحياة بمرها وحلوها حفاظا على الأبناء من الضياع والتشرد. كما أنه

في بعض الزيجات المستقرة تتكون ذات مشتركة إلى الدرجة التي يصبح فيها كل طرف يفكر مثل الطرف الآخر، ويحدث الانسجام الفكري بدرجة كبيرة، فكل طرف يهتم بالآخر، ويحرص على إرضائه.

ويندر أن تسير الحياة الزوجية دون منغصات تعكر صفوها، فدوام الحال من المحال. وهذه المشاكل والخلافات شر لابد منه وإن اختلفت حدتهـا، ووقت ظهـورها، وطريقة التعامل معها من علاقة زوجية لأخرى، ومع هذا الخلافات تسير الحياة الزوجية دون توقف.

وعلى الـرغم من أن الإسلام يفترض أن يكون عقد الزواج مؤبداً إلا أنه أباح الطلاق عندما يتعذر العيش بين الزوجين، وتضيق بهما السبل، وتفشل كل وسائل الإصلاح.. فيكون الطلاق في هذه الحـالـة ضرورة لازمـة، ووسيلة معينة، لتحقيق الخير والاستقرار الاجتماعي والعائلي لكل منهما.. لأنه لو ألزم الزوجان بالبقاء بهذه العلاقة الزوجية التي لا تتوافر فيها المحبة، ولا يتحقق معها التعاون على شئون الحياة، والقيام بالحقوق والواجبات الزوجية ـ لأكلت الضغينة قلبيهما، ولكاد كل منهما لصاحبه، وسعى للخلاص منه بكل الوسائل، وقد يكون ذلك سبباً في انحراف كل منهما، ومنفذاً لكثير من الشـرور والآثام، وصدق الله ـ تعالى ـ إذ يقول: ﴿**وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيماً**﴾[1].

(١) الآية ١٣٠ من سورة النساء.

ويطلق علماء النفس على الطلاق كلمة «صدمة» لأنه افتراق إنساني مؤلم. وقد يكون الطلاق قراراً جائراً، كما قد يكون قراراً عادلاً.. ولكنه بلاشك أكثر ظلماً لحقوق الأولاد.. فهم الضحية الحقيقية للطلاق..

فالطلاق صدمة عاطفية للأولاد، وحرمان لهم من مشاعر الرعاية والحنان والأبوة أو الأمومة.. فقد تبين أن الأسر المنفصلة سواء كان الانفصال إرادياً أو عارضاً تظهر فيها مظاهر الانحراف والجريمة بشكل واضح، وتوضح كل الإحصائيات أن ٧٠٪ من الأحداث الجانحين قد نشأوا في أسر منفصلة.. إذ يؤدي الطلاق إلى انهيار البناء الاجتماعي، وزوال مقوماته للأسرة.. كما يصاب الأطفال بضعف الشخصية والقلق والتوتر والانطوائية.

وتختلف وتتعدد أسباب الطلاق، فقد يقع فجأة ولأتفه الأسباب في ثورة غضب أو شك أو عناد.. كما قد يقع بعد دراسة وتأن ومنطق وحكمة، وقد يقع الطلاق نتيجة كره ونفور، وبالتالي استحالة العشرة، وقد يقع لعدم ائتلاف الزوجين، وعدم تكيفهما بما يضمن استمرار الحياة على نحو معين يرضاه كلا الطرفين، وقد يحدث بسبب العقم من أحد الطرفين، أو عدم إنجاب الذكور، كما يقع إذا أصيب أحد الزوجين بالجنون، أو بعاهة مستديمة، أو مرض يؤثر على العشرة الزوجية.. أو لارتكاب الزوج إحدى الجرائم التي يسجن بسببها، ومع اختلاف السبب في الطلاق واختلاف الصحة النفسية للأزواج والزوجات وثقافتهم ونضجهم واتزانهم تختلف

النظرة إلى الطلاق، فالبعض ينظر إلى الطلاق على أنه الانطلاقة واستعادة الاتزان والمكسب والنجاح وليس الفشل.

والبعض الآخـر ينظر إليه على أنه الموت والنهاية والضياع والتشرد والإحباط.

فالمرأة السعيدة المستقرة في حياتها الزوجية ولكنها تكتشف فجأة مرحلة النفور أو الجمود في علاقتها الزوجية أو التبلد الوجداني من ناحية زوجهـا. . هذه المـرأة يكون وقع الطلاق صعباً عليها، وتحتاج لوقت أطول كي تفيق من الصدمة والإحباط. . أما بالنسبة للمـرأة غير السعيدة في حياتهـا فتتلقى الـطلاق ببعض الارتياح، وتشعر بأنها حرة، وقد تخلصت من الزوج القاسي والعنيف الذي لا تحبه ولا يحبها، أو أنها تخلصت من زوج مدمن أو منحرف.

إلا أنـه بالـرغم من وجود بعض الارتياح للطلاق في بعض الحالات فإن هناك قصصاً واقعية لمن مررن بهذه التجربة المريرة توضح مدى مشاعر الإحباط والندم (بالرغم من أن الزوجة هي التي أصرت على الطلاق) كما أن المعاملة القاسية التي تلاحق المطلقة من خلال جميع فئات المجتمع ابتداء بأهلها وجيرانها وانتهاءً بنفور بنـات جنسهـا منها، وإعراض الرجال عن الزواج منها يؤكدان أن الـطلاق يمثـل صدمة وحادثاً مفزعاً، وله من النتائج السلبية سواء نفسياً أو اجتماعياً أو صحياً الكثير والكثير. . فتشعر المطلقة أنها وحيدة وينتابها الندم والحسرة في وقت لا ينفع فيه الندم. . وتنتابها مشاعر الثورة والغضب والقلق والحزن القاتل.

ولما كان الحلال البغيض أمراً خطيراً، تترتب عليه آثار بعيدة المدى في حياة الأسرة والفرد والمجتمع. . فإن الله ـ سبحانه ـ جعل الطلاق في يد الرجل، وهذا لا ينقص من شأن المرأة، لأن الرجل أكثر إدراكاً وتقديراً لعواقب هذا الأمر، وأقدر على ضبط أعصابه، وكبح جماح عاطفته حال الغضب والثورة، لأن المرأة خلقت بطباع وغرائز تجعلها أشد تأثراً، وأسرع انقياداً للعاطفة، ولو وضع الطلاق بيدها لكانت الحياة الأسرية مهددة بالانهيار بين لحظة وأخرى، كما أن للطلاق تبعات مالية يلزم بها الأزواج من نفقة للمطلقة وقت العدة والمتعة، الصداق المؤجل، كما يضيع عليه ما دفعه من مهر، وما أنفقه في سبيل إتمام الزواج، وكل هذا يجعل الرجل يتروى ويتدبر قبل أن يقدم على الطلاق. . كما أن الله ـ تعالى ـ في المقابل جعل من حق الزوجة أن تطلب الطلاق، وتفتدي نفسها بالمهر أو تعطي لزوجها شيئاً من المال إن هي كرهت المعيشة معه لسبب من الأسباب وخشيت أن تخل بحقوقه إن بقيت معه وهو ما يعرف «بالخلع».

وفي هذا الصدد نشير إلى ازدياد نسبة الطلاق بدرجة كبيرة في كافة المجتمعات، وكثرة التصدعات والشروخ التي تصيب بناء الأسرة وتهددها بالانهيار، ولخطورة هذا الانهيار وما يتبعه من آثار سلبية جسيمة على جميع أفراد الأسرة والمجتمع بأكمله كانت هذه السطور في كتاب «أسرار في حياة المطلقات» حيث عرضنا فيه نماذج غير سوية للأزواج والزوجات، وعلاقات زوجية غير طبيعية

تفتقد الهدف الأسمى للزواج من المودة، والسكن، والرحمة، ثم استعرضنا الخلافات الزوجية - وهي أمر طبيعي، وشيء لابد منه، ولكن طريقة التعامل معها هي التي تحولها إلى معول هدم لكيان الأسـرة - وطريقة علاجها،، وانتقلنا إلى دور الآباء والأمهات في فشل الحياة الزوجية،وعرضنا للصرخات المدوية من الأبناء لانهيار حياتهم بسبب التدخل السافر من الأهل..

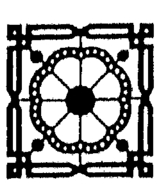
ثم تكلمنا عن بعض النصائح قبل التوقيع على ورقة الطلاق. بالإضـافة للحديث عن الحلال البغيض وأسبابه، وآدابه، وأقسام المطلقات، وآثار عدة الطلاق، ثم تحدثنا عن الطلاق المفاجىء، ونظرة المجتمع الظالمة للمطلقة.. وعرضنا نماذج حية لمطلقات نادمـات.. ثم إلى ضحـايا الـطلاق، وأخيراً الـطلاق في أرقام. وعجائب الطلاق وقد اعتمدنا في «أسرار في حياة المطلقات» على القصص الحقيقية الـواقعية، التي تستعرضها الصحف والمجلات المحلية يومياً بدرجة كبيرة، والهدف من الكتاب هو تسليط الضوء على الخـلافـات الـزوجية، وتلك النماذج الواقعية، لنتعرف على أسبـاب هذه الخـلافـات، وكيفية التعـامـل معها، وكيفية التغلب عليها، ونأمل أن يساعد هذا الكتاب في تبصير الأزواج والزوجات الـذين يعانون من بعض هذه الخلافات، كي يعيدوا حساباتهم، وتفكيرهم، وتعاملهم مع هذه الخلافات، ويتلمسوا مواطن الخلل في علاقـاتهم الـزوجية، ولا يستسلمـوا لمثل هذه العوارض، ولا ينجرفوا وراء عواطفهم فتتضخم الصغائر، وتكبر التوافه، بل يجب

التعامل مع الخلافات بالصبر والتدبر والحكمة كما قال الله تعالى : **﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾**(١).

وصدق المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ قال: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**» رواه مسلم من حديث جابر.

وبهذا يستطيع الأزواج والزوجات أن ينجوا بحياتهم الزوجية قبل الوقوع في بحر الندم والوحدة وقت لا ينفع الندم.

والله من وراء القصد ،،،،،،،



---

(١) من الآية ١٩ من سورة النساء.



الباب الأول

الطلاق ... ملابسات ودوافع

زواج مع وقف التنفيذ

الأصل في الحياة الزوجية أن تكون قائمة على المودة والرحمة بين الزوجين، وعلى أساس من العدل والتفاهم، بقيام كل من الزوجين بواجبة تجاه الآخر.. وبهذا تستقيم الحياة الزوجية، كما قال ـ تعالى ـ في كتابه الحكيم: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾**(١).

وللأسرة أهمية بالغة في البناء والإنماء باعتبارها النواة الأولى في المجتمع.. فإن قامت هذه النواة على أساس سليم صلح المجتمع كله.

والعلاقات الأسرية لها أكبر الأثر في تماسك الأسرة أو تفككها، فإذا قويت هذه العلاقات انتشر الحب والتفاهم والسعادة بين أفرادها.. أما إذا ضعفت فإن ذلك يؤدي إلى انهيار الأسرة، ويعاني أفرادها من التعاسة والشقاء.. ولعل أهم هذه العلاقات علاقة الزوجة بزوجها، فهي ذات تأثير بالغ على حياة الأسرة جميعها.

وأهم المشاكل التي تواجه بعض الأسر تلك المتصلة اتصالاً مباشراً بالعلاقة الخاصة جداً بين الزوج وزوجته.

---

(١) من الآية ٢١ من سورة الروم.

وخلال السطور القادمة نستعرض حالات ونماذج غير سوية من الأزواج والزوجات، كانت الحياة الزوجية فيها ساحة للخلافات والمعارك الساخنة، حيث يستعمل كل طرف فيها كل أنواع الأسلحة الممكنة لتحقيق النصر على الآخر، وللأسف ليس في هذه المعارك فائز، فالجميع مهزوم بالنكد والتعاسة والشقاء بسبب هذا العداء بين الزوجين.

كما نتعرف على أسوأ الزوجات والأزواج من خلال ما تعرضه الصحف والمجلات المحلية من حالات مرضية في طباع الأزواج وسلوكهم، فمنهم من يحتقر ويهين زوجته التي هي في الأصل السكن والمودة له، ومنهم من يُهَمِّشها، ولا يجعل لها أدنى رأي أو دور في هذه الحياة المشتركة، ومنهم الرجل الشكاك الذي يظن في امرأته السوء بدون دليل، كما أن بعض النساء سليطات اللسان دائمات الشكوى، وبعضهن يختلقن النكد والمشاحنات، وبعضهن مسرفات مبذرات، وبعضهن متجبرات، وغيرهن من النماذج التي تحول الاستقرار العائلي والهدوء والرحمة والوداد إلى جو مليء بالعواصف والمشاحنات والخلافات والتعاسة. وفي الجانب الآخر نجد «زوجات بلا أزواج» ونقترب من بيوت تحول فيها الدفء الأسري إلى برود وفتور في العلاقة بين الزوجين مما ينعكس بصورة مباشرة أو غير مباشرة على العلاقة بين أفراد الأسرة وخصوصاً الأطفال الذين يفتقدون الآباء الذين يطلقون سيقانهم للريح هرباً من البيت والمسئولية أياً كانت الأسباب وراء هروبهم من البيت، وهذا يضعف العلاقات الأسرية، ويزيد هوة التباعد والاختلاف.

زوجات بلا أزواج

من الطبيعي في الحياة الزوجية أن يبقى كل من الزوجين إلى جانب الآخر في ود وأمان ورحمة واطمئنان، وأن يؤدي كل منهما دوره المناط به، ولكن الملاحظ أن كثيراً من الأزواج يغيبون أو يهربون من منازلهم لفترات طويلة من اليوم، أو ربما لأيام عدة بدون أسباب موضوعية لهذا الغياب اللهم إلا الأنانية واللامبالاة المفرطة من لدن هؤلاء الأزواج تجاه زوجاتهم.

وربما تكون الزوجة ذاتها أحد عوامل هروب الزوج من المنزل وغيابه الطويل عنه، ولكن لا نستطيع أن نلقي اللوم على الزوجة وحدها دون الزوج، فالمسئولية مشتركة ولا يمكن قبول تكرار غياب الزوج لمجرد أن الزوجة لا تهيىء الجو النفسي المريح الذي يدفعه إلى البقاء في المنزل، فكلا الزوجين تقع عليه مسئولية تغيير الواقع، بل إن مسئولية الزوج أكبر في مثل هذا الوضع، فالله ـ تعالى ـ منحه حق القوامة على الأسرة وشؤونها، فلا ينبغي أن يستغل هذه القوامة في الاستهتار بمشاعر الزوجة..

فالمرأة تتزوج بحثاً عن جملة من الإشباعات العاطفية والنفسية والمادية والاجتماعية.. إنها تبحث عن زوج يؤنس وحدتها، ويشبع الفراغات العاطفية لديها، ويقوم على رعايتها، ويشاركها أفراحها وأحزانها كما يقول د. عبدالله الفوزان بجريدة

الجزيرة، ومتى ما عجز الزوج أو تعاجز عن القيام بتلك الوظائف من أجلها كان ذلك مدعاة للتباعد العاطفي والتنافر بينهما.

إن اللامبالاة التي يبديها بعض الأزواج تجاه زوجاتهم، والمتمثلة في غيابهم المتكرر والطويل عن المنزل، وذهابهم للسهر لساعات متأخرة عند أحد الأصدقاء العزاب، أو عند أحد الأصدقاء الذي يخصص ركناً من المنزل لسهر هؤلاء الأزواج بعيداً عن أولادهم وزوجاتهم، ويستمر هؤلاء الأزواج لا يرون أولادهم لمدة طويلة، بل لا يرى أحدهم أبناءه إلا بالصدفة، فهو يستيقظ قبلهم في الصباح، ويعود للبيت وهم نيام، بل ربما يمرض أحد أفراد أسرته دون أن يدري.

كما أن موضة «الاستراحات» أصبحت مأوى لأولئك الهاربين من الالتزامات العائلية، حيث ينقطعون فيها تماماً عن العالم الخارجي، ففيها كل شيء متوفر.

إن غياب الأزواج قد يصل في بعض الأحيان إلى مرحلة لا تطاق من قبل زوجاتهم، ولا يمكن السكوت عنها أو تجاهلها.. ومن حق الزوجات أن ينفرن من وضع كهذا.. فهن يرين في غياب أزواجهن عنهن عدم رغبة فيهن، وهروباً من واقع ربما يجهلنه، فتكثر همومهن، وتزداد وساوسهن، وتنمو الشكوك لديهن في ولاء أزواجهن لهن.

إن من حق الزوجات أن يطالبن الأزواج بالبقاء إلى جانبهن في الأوقات التي لا تستدعي فيها الظروف الزوجية خروجهم من المنزل، ومن حق الزوجات معرفة أسباب الغياب ودوافعه، فإن كان ذلك لدوافع تعود إلى الزوجات وجب عليهن تغيير وضعهن، وإن كان لدوافع تعود إلى الأزواج أنفسهم فليس من العدل أن يصبحن ضحايا لأزواج لا يقدرون مسئولية الزواج والتي تقتضي أول ما تقتضي حضورهم الجسدي والعاطفي.

إن المعاشرة بالمعروف من أهم وصايا الإسلام، وإذا شعر الزوج بعدم ملاءمة زوجته فليس من الحق أو العدل أن يتجافى عنها مع الاحتفاظ بها، وإنما عليه أن يصلح الوضع بشتى الطرق، أو يطلق سراحها على أمل أن تجد خيراً منه، ويجد خيراً منها.

ولعلاج هذه الظاهرة يجب على الزوجة ملاطفة زوجها ومداعبته وإلقاء السلام والتحية عليه عند قدومه وخروجه، وعليها أن تهتم بمظهرها، وأن تحرص على انتقاء ألفاظها عند مجالسة زوجها ومحادثته كما يرى د. عبدالله الفوزان.

كما ينبغي على الزوجة أن تغفر لزوجها زلاته مادامت من النوع الذي يمكن التغاضي عنه.

أما الزوج فعليه أن يقوم على شئون زوجته، وأن يهتم بمشاعرها، وإذا رغب في الترفيه عن نفسه فعليه أن يشرك زوجته وأولاده في هذا الترفيه، ويشركها معه في أنشطته التي يجوز لها أن

تشاركه فيها. . وإذا غاب عن المنزل فليتذكر أن هناك زوجة تنتظره وتخشى عليه، وعليه أن يتذكر أن الوحدة قاتلة، ومدعاة للشكوك والأفكار الانتقامية، ومن ثنايا استطلاع قامت به مجلة اليمامة نقتطف هذه الآراء حيث ترى د. **عواطف فيصل بياري**: بأن هروب رب الأسرة من بيته يرجع لعدد من الأسباب ربما تكون متصلة بالزوجة وهي:

- المشكلات المتعددة التي تقابل بها الزوجة زوجها عند عودته من العمل مرهقاً، فهو يرغب في منزل يسوده جو منسجم يرتاح فيه نفسياً ولا يجده.
- قوة شخصية المرأة واضطهادها له خصوصاً إذا كانت شخصية الزوج ضعيفه.
- الروتين اليومي الذي يلقاه في بيته، والناتج من عدم التجديد في الحياة الزوجية.
- عدم التعاون بين الزوجين في تحمل المسئولية حيث إن كلاً منهما يعتمد على الآخر.
- عدم اهتمام الزوجة بمظهرها وبمظهر ونظافة بيتها وأولادها.
- الاعتماد الكلي على الخادمة في تلبية متطلبات الزوج، وشعوره بعدم الاهتمام به.
- انعدام التكافؤ التعليمي والثقافي بين الرجل والمرأة.

ـ كثرة مطالب المرأة لزوجها.

ـ التدخل الزائد في شئونه الخاصة، وكثرة تساؤلها واستفساراتها عن أصدقائه واجتماعاتهم.

ـ محاولة إبعاده عن أهله وسيطرتها عليه.

ومن هذه الأسباب يتضح لنا كيف يتحول الجو الأسري إلى جو مليء بالنكد وعدم الارتياح، والمشاكل المستمرة، ومن هنا يضطر الزوج للهروب من بيته باحثاً عن مكان يجد فيه نفسه وسعادته.

وترى **الأستاذة نجاة عمر**: أنه قد توجد بعض الضغوط النفسية التي يعاني منها الأزواج داخل المنزل، ولا تقدر الزوجة ظروف زوجها الذي يحلم بالراحة في منزل لا تطارده هموم الحياة فيه!.

فإذا بسلسلة من المشاكل والشكاوى تبدأ من الأولاد وتمتد إلى الخادمة مروراً بالأوضاع المادية التي تنمو على حوافها المشاكل كندب الحظ الذي جعلها ترتبط به، وبهذا يسقط الاطمئنان في هوة الصراخ، وتبدأ خطوط المسيرة في البحث عن مصادر الراحة، ومن هنا يطلق الزوج ساقيه للريح، وتشتكي الزوجة بأن زوجها خرج ولم يعد، بل ولا ولن يعود.

فعلى كل زوجين أن يدركا أن حياتهما شراكة قائمة على الود والتفاهم والرحمة، وعلى كل منهما أن يعمل على امتصاص همومه بعيداً عن الآخر، وهذا لا يعني الانفراد بالرأي ولكن التصادم بهموم عمله وهموم بيتها يؤدي إلى حدوث الشرارة الأولى التي تنذر بالطلاق.

وتقول د. **ليلى أبو المجد** استشارية الأمراض النفسية والعصبية: إن الزوجة قد تكون السبب في نفور الزوج من البيت بمحاصرته بالشكوك والأسئلة والاستجوابات المستمرة والمشاجرة معه مما يؤدي لهروبه وتأخره ليلاً لتجنب المشاكل.. فعلى الزوجة التخلص نهائياً من شكوكها تجاه زوجها ويلزم معاملته بالتفاهم والاحترام والود، وعلى الزوجة أن تستقبل زوجها بالاهتمام وتتجنب استفزازه وهو عائد من عمله متعب، ولا تسأله عن سبب تأخره، بل تحاول أن تبدي ثقتها به، وتقديرها لعنائه في عمله وذلك سيشعره بحبها له.

ولا مانع من تحضير بعض المفاجآت السارة من حين لآخر حتى تدخل التجديد والمرح في البيت. فبالثقة والاعتزاز بالنفس والود والتفاهم يعود الزوج إلى المنزل، بل يكون حريصاً على العودة من عمله مبكراً حتى ينعم بهذا الجو الهادىء المريح.

وتركز الأستاذة **اعتماد عمر سرحان** على الزوجة كثيرة الشجار التي لا تعرف كيف تتعامل مع زوجها مما يجعله لا يطيق الحياة معها ولا الجلوس في المنزل لثانية واحدة، وربما يكون ذهاب

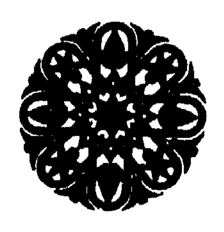
الزوج إلى الأصدقاء لتغيير الأجواء النفسية التي اعتاد عليها في المنزل، وكرد فعل مباشر للحياة التي يعيشها مع الزوجة كثيرة المشاكل.

فهناك نوعية من الرجال يرفضون بشدة سؤال زوجاتهم الملح: إلى أين أنت ذاهب وتتركني وحدي؟ وهذه النوعية من الأزواج تنظر إلى نفسها على أنه لا يحق للزوجات أن تسألها، ولا يسمح للواحد منهم كزوج أن يُسأل هذه الأسئلة وهو يرى نفسه في مكان الصدارة..

ولا شك أن للتكافؤ الاجتماعي والمادي أثراً كبيراً في العلاقات الزوجية وهروب الأزواج، الزوجة التي هي من مستوى اجتماعي راق جداً أو فاحش الثراء كثيرة الطلبات، ومهدرة للأموال.. والزوج لا يقدر على تلك الطلبات فيهجر المنزل، ويستمر في الهروب، كما أن بعض الأزواج تزوجوا على غير رضا، كما في بعض الأسر التي ترغم أبناءها على الرضوخ للتقاليد، بالزواج من ابنة العم أو الخال مما يجعل الزواج كأنه حكم بلا ذنب على الرجل.. إضافة إلى أن الزوجة قد تغفل عن جوانب بسيطة في نظرها مهمة كل الأهمية لدى الرجل..

وهناك أيضاً المرأة المتسلطة التي تنقب في ثياب زوجها وتساورها منه الشكوك والظنون، وتعمد إلى التحريات وسلسلة من التحقيقات عن تحركاته مما يشعره بأنه مقيد، فيلوذ بالفرار من هذا الجو المشحون بالتوتر والشك والريبة والتوجس والمشاجرات ـ كما

تقول الأستاذة **بلقيس قائد** - كذلك قد تكون الأسرة كبيرة العدد واحتياجاتها أكبر من مقدرة بعض الأزواج مما يُدفعهم للهروب كحل سلبي من قبلهم، أو انشغال الزوجة بعملها ومناسباتها الاجتماعية.



الزوج في قفص الاتهام

على الرغم من أن الاتهامات صُوبت بالدرجة الأولى إلى الزوجة ودفعها الزوج للخروج، بل والهروب من البيت إلا أن الزوج لم يفلت من الاتهام، بل أخذ نصيبه أيضاً..

فالحياة الزوجية رابطة بين فردين، فكل سعادة أو شقاء وكل تفاهم أو نفور في هذه الحياة لكل من الزوجين دور واضح فيه، ولا يقوم أبداً على تأثير أحد الطرفين دون أن يكون للطرف الآخر دور.. فالحياة الزوجية تفاعل بين طرفين سواء كان ذلك سلباً أو إيجاباً.

وترى الأستاذة **بلقيس قائد** أن هناك نوعية من الأزواج ليس لديهم أدنى إحساس بالمسئولية، حيث اعتادوا على أن يعيشوا حياة السهر قبل الزواج ولذلك فإنهم لا يتقبلون الوضع الجديد الذي يتوجب عليهم فيه تحمل المسئولية الأسرية، وتقليص الخروج والسهر، لأن الواحد منهم أصبح مسئولاً ومرتبطاً ارتباطاً بالتزامات يجدها كالقيد بالنسبة له، فيخرج إيهاماً لنفسه بأنه مازال متحرراً من القيود. وقد يكون له أصحاب يساعدونه على الخروج، ويمنونه بسهرة جميلة، وقد يساعده أصدقاؤه ويزينون له حياة التسكع والسهر، ويملؤون سمعه بأن الزواج مشاكل لا حصر لها..

وقد يكون الزوج من النوع الأتكالي يجد أهله يقومون بدوره في تلبية احتياجات زوجته وأبنائه فينسى أو يتناسى أن له دوراً، ولا يتوق لجو الأسرة إلا كمكان للنوم والأكل.

أيضاً قد يكون السبب في خروج الزوج من المنزل هو ضعف الوازع الديني لديه، فلا يؤدي الفروض، أو لأن لديه زوجتين لا يعدل بينهما، فيقع بين طاحونتين تطحنانه، ويتعثر في القدرة على التوفيق بين طلبات والتزامات المنزلين.. فلا يجد حلاً إلا الهروب من كلا المنزلين.

إن من أسباب هروب الزوج من المنزل أنه قد يكون من النوع المنحل أخلاقياً والزوجة من وسط محافظ، وليس لديها أي استعداد لأن تتحمل أشياء لا يرضى بها الشرع والتقاليد في المجتمع الإسلامي، وبذلك لا يرى فيها الزوج ما يرضيه ويرضي تصرفاته، فيهرب إلى شلته ليعيش الأجواء والعلاقات التي ترضيه الخارجة عن المألوف كما ترى الأستاذة **اعتماد سرحان**.

وقد يكون الزوج تزوج زوجته بهدف الصرف عليه، كأن تكون موظفة أو بنت ذوات، أو من عائلة ثرية، وهذا الزواج غير ناجح بلاشك، لأنه زواج مصلحة فقط، وإذا لم يكن الزواج عن اقتناع وتفاهم فإنه ينتفي من أصله.

وقد يكون الزوج من النوع المرتبط بأمه، مما يجعله يهرب إليها من منزل الزوجية.

ومن مظاهر هروب الزوج من المنزل ارتياده المطاعم لتناول وجبات الطعام، وهذه نماذج حية من الواقع لنتعرف على وجهة نظر هؤلاء الأزواج من خلال استطلاع صحفي نشر مؤخراً:

يقول زوج: إن السبب في ارتياد المطاعم هو أن طريقة إعداد الطعام في المطعم جميلة ومنسقة، وإلحاح زوجتي على تقديم وجبة واحدة لا أفضلها، كما أن زوجتي لا تأخذ رأيي في نوعية الغذاء. كما أنها غير منتظمة في مواعيد الغذاء.

ويرى موظف أن أهم الأسباب في ارتياد المطاعم هم الأصدقاء، لأن معظم الأصدقاء من العزاب، كما يوفر الذهاب للمطاعم على الزوجة الكثير من العناء.

ويقول زوج غاضب: إن السبب المباشر هو زوجته فهي لا تهتم، ولا تجيد الطهي، والشيء الوحيد الذي تجيده هو اختيار ملابسها وأزيائها وعطورها.

والآن نتعرف على رأي الزوجات فيما يقوله الأزواج الهاربون من المنزل:

تقول ربة بيت: جميع هذه الأعذار واهية، فهي إما لعادة اعتاد عليها الزوج قبل زواجه، أو أنه يدفع لذلك ضمن أصدقائه، ولكن قد تكون هناك قلة يكون عذرها صحيحاً، لأننا نرى أن بعض ربات البيوت تعتمد على وجبات المطاعم الجاهزة. فيجب على كل زوجة أن تهتم بإعداد الطعام في المنزل، ففيه أمان من كل

سوء، وأن تهتم بتوفير كل العناصر الغذائية، وأن تعطي لمسات جمالية.

وترى زوجة أخرى أنه في الماضي كان يربط نجاح أي امرأة بمعرفتها وإلمامها بإعداد الطعام، ويعد من طبيعة عملها وفنونها، والمرأة الماهرة هي التي تعرف وتلم بإعداد أشهى الأطعمة ومن واجبات المرأة أن تدفع زوجها لتناول طعامه في المنزل، وذلك بتنويع الطعام بشكل مستمر ومفاجىء بالنسبة للزوج، وتزين المائدة وتجملها لفتح الشهية.

وكما يقال: إن المرأة تستطيع أن تنتزع حب زوجها بدءاً من معدته.

وبهذا نجد أن المسئولية مشتركة في هروب الأزواج من بيوتهم، وتنصلهم من المسئولية الملقاة على عواتقهم في ظل حياة أسرية جديدة لها التزاماتها وواجباتها، فللزوجة دور في هذا الهروب، وكذلك الزوج له دور، ولا نستطيع أن نقذف بالاتهامات في وجه أحدهما دون الآخر..

فعلى كل منهما أن يتفهم الآخر مع مراعاة انسلاخ النفس من النزعة الأنانية، والمصلحة الذاتية، واعتبار أن الحياة الزوجية تكافؤ وتوازن وانسجام ونصيحة من أجل تجنب المشاكل والخلافات التي تعصف بالحياة الزوجية، وتجعلها في مهب ريح الطلاق.

وعلى كل من الزوج والزوجة أن يراجعا نفسيهما، ويحاول

كل منهما مصارحة الآخر بما قد يرتكبه من أخطاء، وأن يحاولا حل مشاكلهما بهدوء وبعيداً عن الآخرين.

وعلى الزوجة أن تجعل مملكتها الصغيرة مملكة مليئة بالتفاهم والحب، وتحاول بكل الطرق والوسائل استعادة زوجها، وعدم هروبه من المنزل، فالزوج يبحث عن الشجرة الظليلة التي تحمي بفيئها الكثير، فيحلم أن يستكين لها، وأن تقبل بحبها، وأن تتلمس مواطن إعجابه، وتتحسس مكامن سعادته، وتكون هي مصدرها، وعليها أن تجعل من بيتها جنة، ومن نفسها مسرة كي يعود الزوج ولا ينطلق.

وعلى الزوج أن يتحمل أعباء الزواج ومسئولياته، فبيته وأولاده أولى به، وهم في أمس الحاجة لرعايتهم، وإشعارهم بالحب والحنان حتى تترابط العلاقات الاجتماعية، ومشاعر الود والحب والترابط الأسري بين أفراد الأسرة ككل.. إن عودته إلى منزله سعادة له ولأسرته، فتتحقق السكينة والود، ويزيد التفاهم والتقارب، ويستطيع أن ينجو بحياته الزوجية من طوفان المشاكل والخلافات الزوجية.

وعلى كل من الزوجين أن يكون واقعياً في احتياجاته، فكل منهما إنسان لا يستطيع تحقيق الكمال في كل الواجبات والحقوق، فالكمال لله وحده، ومهما حاول الإنسان فلن يستطيع أن يفي بكل احتياجات الآخر، ولكن بالتفاهم والمصارحة بجوانب النقص

والكمال أيضاً وإحساس كل من الزوج والزوجة للآخر، والتماس الأعذار له يحدث التقارب كما أنه يجب أن يكون هناك محاولة دؤوبة من كلا الطرفين لإسعاد الآخر وإرضائه حسب الاستطاعة، ولقد صدق الله ـ تعالى ـ إذ قال: ﴿**لا تكلف نفساً إلا وسعها**﴾[1].

فضغوط الحياة في زيادة مستمرة، سواء كانت ضغوطاً نفسية أو مادية، أو اجتماعية، وهذه الضغوط على الزوج والزوجة على السواء، فعلى الزوجة أن تدرك ضغوط العمل وأعباء العمل الذي يقوم به زوجها، وكذلك سعيه الدؤوب لتوفير متطلبات الأسرة المادية، وما تمثله الأعباء المادية خاصة من ضغوط على الزوج قد تفقده صوابه ورشده. . وعلى الزوج أن يدرك أن الزوجة تعاني ضغوطاً أيضاً، فتربية الأولاد ـ وهي مهمة ليست باليسيرة ولا الهينة ـ تقع على عاتقها بدرجة كبيرة جداً، ومسئولية البيت والزوج، وكذلك فإن بعض الزوجات يعملن، وللعمل أعباء كثيرة بجانب أعباء الأم الفطرية.

(١) من الآية ٢٣٣ من سورة البقرة.

عندما يحتقر الزوجان بعضهما البعض!!

إن الإسلام الحنيف كرَّم المرأة، وأعلى من شأنها، وحفظ لها كرامتها، وقد أوصانا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالنساء خيراً. والذين يحتقرون المرأة لا ينطلقون من الإسلام، بل من بقايا الجاهلية والجهل في عقولهم.

وإن من أسوأ الأزواج، بل أسوأهم على الإطلاق ـ الزوج الذي يحتقر زوجته، فالاحتقار له أثر كبير على قلب البشر، وإذا تعرض الإنسان للاحتقار مرة واحدة في موقف ما فإن ذلك يترك مرارة وأسى في الذاكرة لا ينسبيان طوال الحياة.

وقد لا يحتقر الرجل المرأة بشكل عام، ولكنه يحتقر زوجته بشكل خاص، وهذا أسوأ.. ولا يفعل ذلك إلا لئيم.

أما الرجل حسن الأصل والخلق واسع الأفق فلا يمكن أن يحتقر زوجته مهما كانت، سواء كانت جاهلة وهو متعلم جداً، أو كانت سطحية وهو مثقف، فالمسألة لا تتعلق بالمزايا، بل تتعلق بالإنسان الذي له شعور وإحساس الإنسان الذي أكرمه الله بأن أسجد له ملائكته، فكيف يجوز لإنسان أن يحتقر إنساناً مثله؟! وكيف يجوز للعلاقة الخاصة جداً بين الرجل وزوجته أن يشوبها الاحتقار؟!

وأول التصـرفات التي تدل على الاحتقار تسفيه رأي المرأة وكلمتها في كل مناسبة ومقال وبخاصة في وجود الآخرين. . إنه قتل عمد، وخنجر مسموم، وهو موجود في بعض البيوت.

ومن صور الاحتقـار التعـالي على الـزوجـة، والتهوين من شأنها، وتسفيه كلامها، وعدم استشارتها في أي شيء، وليس شرطاً أن يكون هذا ملزماً للرجل بأن يعمل برأي زوجته، ولكن عليه أن يحسسها بقيمتها واحترامها، ولو بالسمع فقط.

فالمرأة إذا أحست بسقوط احترامها من عين زوجها، وتأصل احتقاره لها أحست أنه لا يعاملها كإنسانة، بل كحيوانة، وهذا هو الدرك الأسفل من الزواج.

ومن أسوأ الأزواج الرجل الذي يهمل زوجته، ويشمل ذلك عدم اهتمام الرجل بما لبست ولا بما طبخت، ولا بالحديث معها وذلك بشكل دائم لا عارض، بل ربما لا يغار عليها، ولا يهتم بها، وكأنها لا تعنيه. إن الإهمال بهذه الصورة يوغر قلب المرأة، وهو «احتقـار سلبي» لأن الـرجـل يكـون فيه مؤدباً لا يتلفظ بما يؤذي المرأة، ولكنه أيضاً لا يلفظ بما يسرها أبداً. إنه احتقار بارد برود الثلج تمـوت معـه العـواطـف، ويذبـل الشباب ومن أسوأ الأزواج - أيضاً - البخيل فالمرأة - بطبعها - تحب الحياة والاستمتاع، وتحب المال، والبخيل أشـد حبـاً للمـال منها، ولكن المرأة تحب المال لتنفقه، والبخيل يحب المال ليكتنزه، والمرأة ترى في المال الذي

يقدمه لها الزوج دليلاً على الحب. والمشكلة هنا مزدوجة، فالبخيل بماله بخيل بعواطفه لا يمكن أن يقدم لزوجته كلمة حب أو إعجاب أو مديح، لأنه يخشى أن تطمع في ماله.

والزوج البخيل يذل المرأة ويخجلها اجتماعياً، ويذيقها ضعف الحياة والممات في نفسها وبيتها وأولادها وعند أقاربها وصديقاتها وحياتها كلها.

ومن أسوأ الأزواج الشكاك الذي يظن في المرأة ظن السوء بسبب وبدون سبب خصوصاً إذا كانت المرأة جميلة، فإنه يحيل حياتها إلى عذاب مقيم، فهو يحاسبها على كل حركة وكل وقفة وكل نظرة وكل لفتة ظناً منه أنها تفعل ذلك من أجل الإغراء والإغواء، وما درى بجهله أن الله ـ تعالى ـ خلقها بهذه الشخصية وبهذه الصفات.

إن الغيرة في مكانها ووقتها محمودة، ولكن غيرة الرجل الشكاك أكثر ما تكون في غير موضعها، ولأنها تنبع من الوساوس السوداء والهواجس لا من القرائن. وقد قال شكسبير: «النفوس الغيورة لا تأتيها نوباتها من سبب، والرجل الغيور يغار، لأنه يغار، فالغيرة بهيمة شاذة تتوالد من نفسها»

لهذا يحسن للرجل الشكاك أن يتزوج قبيحة تتفتح على طبيعتها كما تتفتح الشوكة، فيأمن، ويوقن أن القبح حارس المرأة.

ومن أسـوأ الـرجـال الـرجـل غير الـطموح الخامل النفس، الراضي بفقره وانخفاض مستوى معيشته، القانع بعمل صغير يقطر في حلقه وحلق أولاده وزوجته حتى لا يموتوا فقط، فتصاب الزوجة الشـابة بالجنون إذا كانت طموحة، فهو يفضل ما هو فيه ويكسل ويتهيب من أي تقـدم. وهذا هو الفقير الذي لو كد وطرد الكسل لنقل عائلته من منطقة الفقر الذي يعيشها فيه.

ومن أســوأ الأزواج الـزوج العصبي الغضـوب بسبب وبـلا سبب، والذي يجعل زوجته الشماعة التي يفش فيها غله، ويعلق عليها أخطاءه.

ومن أسوأ الأزواج الذي يسيء إلى زوجته وكأنها أمة لدى سيد جبـار: فنـراه يتفنن في تعـذيبهـا وشتمها حتى يصل في كثير من الأحيان إلى الضرب.

وتطالعنا الصحف بكثير من القصص والنماذج لضحايا الغبن من بعض الرجال، إنها صور نسائية تعاني من أبشع درجات الظلم والقهر والجبروت. و «جريدة المسلمون» كانت رائدة في استعراض هذه الحالات:

ـ فهذه سيدة نزيلة مستشفى أمراض نفسية بعد أن أصيبت بانهيار عصبي لـم تنفـع معه المهدئات. . والسبب هو أن زوجها كان يهينها ويضربها ويجبرها على القيام بأعمال المنزل كله ورعاية شئون الأغنام والماشية، وكان زوجها يطلب من أمه أن تضربها

إذا لم تحسن معاملتها، واشتكت لأهلها ولكن دون جدوى وأخيراً انهارت تماماً، ولم تستطع تحمل هذه القسوة والعنف.

- وهذه أخرى هربت من جحيمها مع زوجها الذي كان ينتقل بها من مكان إلى آخر، وكان يجبرها على خدمة واستقبال الضيوف من الرجال ومسامرتهم، واشتكت لأهلها فأخبروها بالصبر، وعندما يئست من هذه المعاملة وهذه الحياة ألقت بطفليها وبنفسها في البئر.

- وهذه زوجة يضربها زوجها، لأنه يعيش على راتبها فإذا رفضت إعطاءه الراتب أهانها وضربها، حيث يقوم بتسديد ديونه منه، وينفقه على شهواته فإذا ما طلبت منه القليل ثار وتوعد وادعى أنها مبذرة، بل يتركها في المنزل ولا يستطيع أحد أن يزورها حتى أخواتها.

- وهذه أخرى تتصل بأحد أقاربها الفجر ترجوه أن يفعل شيئاً تجاه زوجها وأصحابه الذين يشربون المسكر داخل الشقة ويطالبونها بالخدمة، وهي خائفة جداً من أن يعتدى عليها أحدهم، وصبرت كثيراً وعندما أخبرت أهلها قالوا: اصبري واحتسبي أجرك على الله.

ويقدم **الشيخ إبراهيم بن صالح المحمود** نصائحه للزوج في كتابه «كيف تكسب زوجتك» قائلاً: إن المرأة ضعيفة وحنونة لا تحتاج منك إلى رفع الصوت وإبراز العضلات، بل تحتاج إلى

التقويم السليم، والنصح القويم وجدير بنا أن نحسن أخلاقنا مع زوجاتنا، ونمنحهن ما أوجبه الله علينا بكل أمانة وإخلاص، وإن مثل هذه التصرفات الشاذة من القهر والظلم والعنف من قبل الرجال لزوجاتهم ليست من صفات الرجال الصالحين، وقد نهى الإسلام عن مثل هذا السلوك، وقد جاء في الصحيحين قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**ألا واستوصوا بالنساء خيراً**» وكان ذلك من آخر وصايا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وهذه صورة صارخة لظلم وجبروت الأزواج، الذين يعدون أسوأ الأزواج، والذين يعدون بحق غير أسوياء، بل يعانون من مرض نفسي، وهذه الصورة نشرتها جريدة عكاظ حيث تقول صاحبة الرسالة: من أول يوم وأنا أعاني من تحقير وضرب زوجي لي، وبعد كل مرة أُضرب فيها كنت أصبر وأتحمل عسى أن يأتي يوم وتتعب يداه، أو يعود إلى صوابه ويقلع عن تصرفاته وممارسته السيئة معي ولكن دون جدوى، حتى أصبحت أدرك الآن أن سكوتي وصمتي أمام كل هذه الممارسات هو الذي جعله يتمادى ويتلذذ في تعذيبي حتى أمام أبنائي الذين أرى دموعهم تتساقط وهم يرونني متحملة صبورة على ذلك الأب والزوج الذي لم يرحم توسلاتي ولا أعرف سبباً حتى الآن لضربي وتحقيري بهذه الطريقة، وأخشى أن يتأثر أبنائي بتصرفات أبيهم، وتصبح كارثة عندما يمتد العقوق إلى فلذات كبدي الذين أتحمل من أجلهم ومستقبلهم كل هذا الهوان؟!

ويقدم لنا د. علي عسيري الأستاذ المساعد بقسم علم النفس بجامعة أم القرى تفسيراً بأن من يتلذذ بتعذيب زوجته بالضرب والتحقير ووصل الى هذه المرحلة يعتبر مريضاً، ويعاني من مرض نفسي، فهو يكره زوجته وفي الوقت نفسه ليس لديه القدرة على اتخاذ قرار الطلاق أو تركها، فهو إنسان ضعيف الشخصية، ولا توجد لديه أي قدرة على مواجهة مشاكله الذاتية، وبالتالي يفرغها في الضرب والتحقير.. إن من يضرب زوجته ويحقرها بهذه الطريقة أمام أبنائها إنسان غير سوي.. فما يقوم به لا يتفق مع الشرع والدين.

نعم لا تخلو الحياة من الأخطاء، ولكن وصولها إلى هذا الحد وتلك السلوكيات من الزوج، وما يقوم به من إذلال وتحقير وضرب كل ذلك يؤثر وبشكل كبير على شخصية الأطفال، ويفقدهم الحب والشعور بالتماسك اللازم لحماية الأسرة، وهناك حالات كثيرة تسببت فيها مثل هذه التصرفات الزوجية في فقدان الأطفال لشعورهم بالكيان والأسرة المتماسكة، وبالتالي انحرفوا وضاعوا بعد أن ضلوا السبيل.

وفي أقل الأخطار قد تتأثر شخصياتهم العلمية، وحياتهم العملية، وقد تصل في بعض الأحيان إلى كراهية الأبناء لأبيهم، أو على العكس تقليد أبيهم..

وعلى ذلك ينبغي على كل أسرة ألا تكشف الخلافات الزوجية أمام الأبناء.

أسـوأ الزوجـات

نقـدم هنـا بعض النمـاذج والحـالات للمـرأة التي تحتقـر زوجهـا. . حيث إن الاحترام المطلوب من الزوجة لزوجها دقيق، ويستلزم مجاهدتها لنفسها وكرهاً لهواها في كثير من الأحيان، وهي طاعـة واجبة على الزوجة مالم يأمر الزوج بمعصية، وبالتالي فإن تكسير أوامر الزوج والخروج بدون إذنه وخصوصاً إذا تكرر، والأسوأ أن يكـون ذلك ضد رغبته كل هذه من أنواع الاحتقار الممقوت، ومما يزيد الأمر سوءاً أن المرأة حين تكره زوجها لا تستطيع التحكم في عاطفتها، وبالتالي فإنها تترجم هذا الكره إلى احتقاره بشكل ما كتكسير أمره، والخروج عن طاعته، والذهاب إلى حيث لا يرغب، وعدم الاستئذان منه.

ويؤكد **عبدالله الجعيثن** في مقال له بجريدة الرياض أن من أسـوأ الزوجات هي الزوجة الغيور بلا مبرر، فتقوم المرأة بتفتيش الزوج ومحاصرته بالأسئلة والتحقيقات. . هذه الزوجة تسمم حياة زوجها، وتنكد عليه عيشته، وربما يضطره ذلك إلى ترك المنزل، والتزوج بأخرى، وبعد ذلك تندب حظها، وهي السبب في تصرفه هذا. .

ومن أسوأ الزوجات المرأة طويلة اللسان، وهي من أسوأ أنواع الزوجات لأنها دائمة الشكوى والشجار والتضجر، دائبة الانتقاد لزوجها في لبسه وفي مشيته وفي أسلوب حياته، بل قد تعيره بزوج فلانة، فهي دائماً تنفث السم من لسانها.

ومن أسوأ الزوجات المرأة المسرفة المبذرة خصوصاً إذا أحبها زوجها، فإنها تجعله (على البلاطة) وتحيله إلى عزيز قوم ذل مهما كد الزوج واجتهد في عمله للحصول على الأموال، فإنها سرعان ما تحرقها وتطلب غيرها، وهذا النوع من النساء شائع وسيىء جداً.

ومن أسوأ أنواع الزوجات المرأة المهملة لبيتها وزوجها وأولادها، وهذه الزوجة إما أن تكون كسولة أو جاهلة. وقد اختصر أحد الأعراب صفات أسوأ النساء فقال: «إياك وكل امرأة مذكرة منكرة، حديدة العرقوب، بادية الظنوب، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات وتفشي السيئات، تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزمان، ليس في قلبها رأفة، ولا عليها منه مخافة، إذا دخل خرجت، وإذا خرج دخلت، وان ضحك بكت، وإن بكى ضحكت، وإن طلقها كانت حريبته، وإن أمسكها كانت مصيبته، سفعاء ورهاء، كثيرة الدعاء قليلة الارعواء، تأكل لمّاً وتوسع ذماً، صخوب غضوب، بذية دنية ليس تطفأ نارها، ولا يهدأ إعصارها، ضيقة الباع، مهتوكة القناع، صبيها مهزول، وبيتها مزبول، إذا حدثت تشير بالأصابع، وتبكي في المجامع، بادية في حجابها، نباحة على بابها، تبكي وهي ظالمة،

وتشهد وهي غائبة، قد ذلّ لسانها بالزور، وسال دمعها بالفجور».

ومن أسوأ الزوجات من تكون متجبرة، ويضايقها أن يكون لزوجها رأي، وأن يكون له شخصية قوية، بل إن هذه النوعية من السيدات تريد أن تكون شخصيتها هي الأقوى، تأمر وتنهى وتضع نفسها حيث يجب أن يكون زوجها، وينجم عن هذه النوعية من الزوجات العديد والعديد من المشاكل الزوجية التي تؤدي إلى الطلاق.. فزوج المرأة المتجبرة لا يطيقها وتهون عليه عشرتها، ويشعر دائماً أنه واقع في أسرها، ويسعى دائماً للفكاك من هذا الأسر.

والزوجات المتجبرات لا يشعرن بأنهن السبب في تلك المشاكل، لكن اعترافاتهن في مجالسهن الخاصة تؤكد ذلك. فهذه سيدة تقول: منذ زواجي وزوجي خاتم في اصبعي أحركه كيف أشاء.. وهذه زوجة تقول: رفضت أن أكون تابعة لزوجي، بل على العكس أصررت على أن تكون تصرفاته على مزاجي.

أزواج ولكن أعداء

نتوقف قليلاً في جولة من قصص المعاناة، والحرب الساخنة والباردة بين الأزواج عرضت في الصحافة المحلية، ونقتطف منها بعض الحالات. ففي بعض الأحيان ينقلب الأزواج إلى أعداء، وتصبح حياتهم حلبة منافسة كبيرة تموج بالصراعات والإهانات والخلافات.

فهذا زوج يضرب زوجته..

وآخر لا يفتح فمه إلا ليقول كلاماً جارحاً مهيناً..

وثالث يطبق قانون الحرب الباردة في بيته، أو الصياد والفريسة.

فلنقترب من هذه الحالات الواقعية والتي عرضتها جريدة «البلاد».

ففي قصة تحكي كيف تحول الأزواج من أحباء إلى أعداء، تقول الزوجة: «تزوجت ابن عمي عن حب، وعشت معه سنوات سعيدة، ورزقت بالبنين والبنات، وكانت حياتنا مستقرة إلا أنه تسلم عمله الجديد، وكان الضغط عليه شديداً.. فصار عصبياً، ضيق الصدر.. لا يطيق بيته ولا أطفاله.. تغيرت معاملته، وأصبح يصرخ في وجهي، ويضرب الأولاد، وأصبح رجلاً مختلفاً.. تحملت كل

ذلك عن طيب خاطر وقلت لنفسي إنها سحابة صيف. . أزمة طارئة وسرعـان ما تمضي، ولكن الأوضاع سارت إلى الأسوأ، يبدو أن صبري وتقبلي هذا الوضع أغرياه بالاستمرار والتمادي. . ثم كانت الطامة الكبرى حين ضربني وركلني. . بكيت وتوسلت ولكن دون جدوى. . لجأت إلى أسـرتي فكـان ردهـا اصبري، تحملي إنه زوجـك أبـو أولادك، لا تخـربي بيتك، وسوف يعود إلى صوابه. صبـرت وتحملت ولكن كان هنـاك مزيد من الإهـانات، وحاولت الاقتراب منه ومن مشاكله ولكنه لم يعطني أي فرصة وقال لي: هذا ليس من شأنك، لا أعرف حقاً ماذا أفعل، وإلى متى سأظل أتحمل الضرب والإهانة؟! إنني أصبحت زوجة حزينة منكسرة، ولا أعرف سبباً لحالة زوجي.

وهـذه زوجة أخرى تقول: إنني أعيش على أعصابي حيث أتحمل كلامه الجارح، وإهانته لي أمام أسرتي وأهلي، أتحمل ذلك من أجـل أطفـالي ولا نعـرف سببـاً لهذه الحالة، هل يشعر بقوته وجبروته وهو يراني أبتلع إهاناته صامتة. إنه يتعمد إحراجي والتقليل من شأني في كل مناسبة.

يتعمد أن يشعرني بالضعف والخيبة بأنني لست سوى زوجة فاشلة لا تحسن عمل أي شيء مع أنه مع الآخرين رقيق ودمث، ولم أستطع أن أظل صامتة طويلاً، فأصبحت أصرخ وأصيح بصوت مرتفـع، وتحول البيت إلى حلبة منافسة، حلبة صراع نتسابق فيه على تسديد الإهانات والضربات.

أصبحت في عينيه عدوة له، وأصبح هو ـ كرد فعل طبيعي لاستفزازاته اليومية وإهاناته ـ عدواً لي، ولا أعرف حقاً كيف ستمضي الحياة بنا؟ وإلى أين؟

وهذه قصة واقعية يحكيها زوج ناجح في عمله، محبوب بين زملائه، لكن حياته الخاصة كلها هموم وأحزان بفضل شريكة حياته التي تجري خلف النكد، وتخلق بيدها المشاكل والخلافات، وتحول أي موقف بسيط إلى معركة ساخنة دامية يقول: «لقد أصبحت أكره البيت، وأكره أن أضع قدمي فيه، وحياتي أصبحت سلسلة من المشكلات المستمرة دون هدنة، فلا يهدأ لها بال إلا إذا دبت «خناقة» كما أن الأولاد لم يسلموا من لسانها السليط، وهذا طبع فيها، وهي كفيلة بتحويل أي موقف بسيط إلى معركة ساخنة حتى ولو كنا في زيارة أو نزهة، وقد نجحت وبكل جدارة في أن تجعل النكد والحزن جواً سائداً يخيم على البيت، وكانت النتيجة أني أهرب من البيت ولا أمكث فيه إلا نادراً، وأغلق على نفسي باب الغرفة، ومع ذلك لم أسلم من لسانها واتهامها لي بالهروب من المسئولية، ومازالت سيمفونية النكد متواصلة. . !

وتحكي زوجة عن حياتها الزوجية فتقول: «طبول الحرب تدق في بيتنا ـ زعيق ـ شتائم خناق ـ ضرب، بل هي حرب باردة على السطح تبدو حياتنا هادئة وساكنة، ولكنها في الداخل في أعماقها مشتعلة ومتأججة ناراً.

أمام الناس يعاملني زوجي معاملة ناعمة رقيقة تنم عن الحب والاهتمام، ولكن عندما نكون وحدنا في البيت يسقط قناع الحب والحنان، ويتعامل معي بفتور وعدم اكتراث، ويشعرني دائماً أنني غير جديرة به، ولا بأسرته وعائلته، ولأن فاقد الشيء لا يعطيه فقد أصبحت بمرور الوقت أتعامل معه بالمنطق نفسه، وبالقانون نفسه، أمام أهلي أعامله بحب، وفي البيت أتحول إلى كتلة من الثلج الجامد، فكيف كان بإمكاني أن أعطي وأمنح وأنا أتجرع المرارة والألم كل يوم، وتتابعت جولات الحرب بيننا، بين الهزائم وبين الانتصارات، يظل حلقي به المرارة والألم من تلك الحياة الخاوية من مشاعر الحب والحنان.

الطب النفسي يرى أن العلاقة بين الأزواج تكون أحياناً كالعلاقة بين القط والفأر. علاقة يشوبها تحفز ورغبة في الانقضاض من كل طرف على الآخر للانتصار عليه، وإشعاره بالهزيمة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وكل من الزوجين يسعى لأن يكون هو القط.

أو تكون العلاقة بينهما على صورة من الحرب الباردة التي تبدو ظاهرياً على ما يرام هادئة، وفي الباطن يشوبها العداء.

وقد تمتد منطقة النفوذ في بعض الأحيان إلى الأولاد، فيحاول الأزواج الأعداء استقطاب الأطفال كلاً إلى ناحيته، أو يحاول عن طريقهم الضغط على الطرف الآخر لينال مقداراً أكبر من الغنائم والانتصارات.

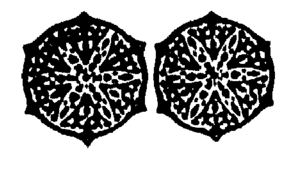
ولكن ما هي أسبـاب ذلك العداء والزواج في الأصل مودة وسكن ورحمة؟!

إن الأسباب عديدة ومختلفة، فقد يكون الخطأ من البداية في الاختيار، فقد يأتي القرار بالموافقة على الارتباط فقط، لمجرد أن العـريس ثري، أو لأنـه ينتمي إلى عائلة مرمـوقـة، أو لأن مركزه الاجتمـاعي متميز، أو لأن قطار الزواج أوشك أن يمضي، وهذه الأسبـاب لا تجعـل الـزواج سعيداً ناجحـاً قادراً على الاستمـرار وتخطي المشكلات والعقبات، فينقلب الأزواج بعد فترة وجيزة إلى أعداء، وتسود المشكلات والخلافات حياتهم، وقد يكون الخطأ في أسلوب الحياة ذاتها، أو في تراكم المشكلات اليومية الصغيرة دون محاولة من أي منهما للوقوف وقفة موضوعية لحلها قبل أن تتفاقم.

كما أن نجاح الزوجة وتقدمها الوظيفي أو المادي يخلق نوعاً من الحرب الباردة، لأن الرجل لا يحب في أعماقه أن تتفوق عليه المرأة، وقليل جداً منهم من يشعر بالفخر لنجاح زوجته.

كما أن الزوج الأناني المحب لذاته فقط ولمصلحته يخلق جواً من العداء والمنافسة، فهو لا يتلفت مطلقاً إلى زوجته أو إلى أولاده، وقد يأتي العداء من خيانة الزوج لزوجته، فالزوج الخائن ليس له أمان، والزوجة المجروحة المطعونة في كرامتها يتولد داخلها قدر هائـل من الثـورة والغضب والـرغبـة في الانتقـام لكـرامتهـا المجروحة، فيصبح الزوج عدواً بدلاً من حبيب.

إن المشكلات والخلافات أمر طبيعي ولكن لابد من الحوار والتفاهم ومحاولة حل أي مشكلة مهما كانت صغيرة أولاً بأول.



الخلافات الزوجية.. شر لابد منه؟!

لقد شاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون الزواج سكناً ومودة ورحمة، بمعنى أن الزوجين يجب أن يعيشا في حب وتواد، لا يظلم أحدهما الآخر..

ولكن في الواقع يندر أن تسير سفينة الحياة الزوجية بلا أنواء أو رياح تعصف بها، فالكمال لله وحده، ومن الصعب أن يعيش الزوجان حياة زوجية هادئة سعيدة ترفرف عليها الأحلام والآمال، بل لابد من بعض المنغصات التي تعكر صفوها بعض الشيء.

إذن فالمشاكل والخلافات التي تعترض الحياة الزوجية أمر واقع.. وشر لابد منه.. ولكن كيفية التعامل مع هذه الخلافات والمشاكل تختلف من شخص لآخر، وبهذا يختلف تأثير هذه الخلافات ووقعها على مسيرة الحياة الزوجية.. فكما يقول المثل: «رُبَّ ضارة نافعة» فقد تؤدي المشاكل والخلافات الزوجية البسيطة التي تواجه الزوجين وخصوصاً في بداية رحلتهما الزوجية قد تؤدي إلى زيادة التقارب بينهما والحب والتفاهم، ويحاول كل منهما أن يضحي من أجل الآخر، وينغض عن كاهله رداء الأنانية، ففي الأزمات يظهر معدن الإنسان.. وكم من أزمة عارضة كانت سبباً في خلق مناخ من التفاهم والمحبة والإخلاص بين الزوجين لم يكن كل منهما يدرك هذا التقارب والحب والمودة من قبل.

إلا أن هذه الخلافات البسيطة والمشاحنات الطارئة من خلال التعامل معها بطريقة سيئة بعيدة عن الصواب قد تحدث خللاً في الحياة الزوجية، وتكون لها مضاعفات خطيرة تؤدي إلى تراكمات نفسية عديدة، وتخلق جواً من النكد والمشاجرات وأحياناً تمتد إلى تبادل الاتهامات وتتحول الحياة الزوجية إلى مغركة حامية بين طرفين كل منهما يحاول الانتصار على الآخر بشتى الوسائل والطرق، وبالتالي تصل الحياة الزوجية إلى طريق مسدود.

وبذلك يتضح لنا وجود الخلافات والمشاكل في كل حياة زوجية، ولكن كيفية وأسلوب التعامل مع هذه الخلافات هما اللذان يحددان مردود هذه المشاكل على العلاقة الزوجية سواء بالسلب أو الإيجاب.

وكما يؤكد علماء النفس فإنه لا يوجد على وجه الأرض إنسان متطابق مع الآخر. . فمهما بلغت درجة التشابه ودرجة الاقتراب والتفاهم تظل دائماً وأبداً هناك فروق بين الطرفين.

ولقد أكدت الدراسات العلمية والإنسانية هذه الحقيقة. . بل إن علم الأجنة يؤكد ما هو أكثر من ذلك. . فالتوأم الناتج عن بويضة واحدة مختلف في الطباع النفسية والسلوك وفي الإحساسات أيضاً.

إذن الاختلاف أمر وارد. . بل أمر طبيعي وحتمي. . فالنظرة المثالية الخيالية للحياة الزوجية في فترة الخطوبة، أو حتى قبل الارتباط بأن الزواج سلسلة من السعادة والهناء الدائم غالباً ما

تصطدم بالواقع والحياة العملية، ورغم الحب والتفاهم إلا أنه لابد من أن تظهر المشاكل نتيجة الفروق الفردية بين الزوجين بل وبين كل طرفين.

إن ما يصيب الحياة الزوجية من المشاحنات.. الخلافات.. الشد والجذب.. الخصام.. العناد.. الأحزان.. كلها أمراض طارئة وعارضة يمكن علاجها بقليل من المرونة في التعامل.. والصبر في التعامل مع هذه الخلافات، وقليل من التضحية والتنازلات، فالحياة الزوجية علاقة حميمة، فلكي تنجح وتستمر لابد من التضحية والبعد عن العناد والتصلب في الرأي، والبعد عن الاستفزاز سواء من جانب الزوجة أو الزوج.. كما أن النظرة الصائبة لهذه الخلافات، ووضعها في حجمها المناسب، والتعامل معها بقليل من العقلانية والصبر والمرونة من كلا الزوجين كل ذلك جدير بتخطي هذه المشكلات والقضاء عليها قبل أن تنخر في كيان الحياة الزوجية.

وكما أن العلاقة الزوجية علاقة لها خصوصيتها فكذلك الخلافات والمشكلات التي تعترض الحياة الزوجية لها خصوصيتها، وتختلف من علاقة لأخرى..

ومن المشاكل والخلافات التي تصيب الحياة الزوجية الملل، الصمت الزوجي، الفتور، الغيرة، عمل المرأة، انشغال الزوج بعمله، وكثرة سفره وعدم اهتمامه ببيته وأولاده، العناد والتصلب في الرأي.

وكلها أسباب هينة وبسيطة، وليست جوهرية، ويلزم التعامل معهـا بقليل من الثقـة والحكمة والذكاء والمرونة والحوار الهادىء المتزن حتى تنجو الحياة الزوجية من السقوط إلى الهاوية.

ولنقترب من الزوجات اللاتي عانين من مثل هذه الخلافات وكيف تم التعامل مع هذه المشكلات التي كادت أن تعصف بالحياة الزوجية وتقضي عليها نهائياً.



الغيـــرة

الغيرة سلوك اجتمـاعي ومنها ما هو محمود وما هو مذموم. فبعض الغيرة ترفع صاحبها إلى أعلى المستويات وبعضها يؤدي إلى النكسة والخراب، والندم بعد ذلك والشعور بالذنب ويقعد صاحبها ملوماً محسوراً.

والغيرة المحمودة هي أن يغار الإنسان من نجاح وتميز إنسان آخر بصفات وتصرفات يتميز بها عن غيرة.. فتكون هناك منافسة شريفة، فيحاول هذا الإنسان أن يجتهد ويقوم نفسه وسلوكه، بل ويكتسب خبـرات وتصـرفـات جديدة حتى يستطيع أن يسابقه في منافسة محمودة وشريفة فيصبح متميزاً مثله وناجحاً، بل قد يتفوق عليه بدون أن يؤذيه بأي لفظ أو تصرف، وبذلك تكون الغيرة سبباً في رفع صاحبها إلى أعلى المستويات دون أن يجرح أو يهدم أو يؤذي أحداً..

ولكن الغيرة قد تتحول إلى مرض وتصبح غير محمودة، وذلك عندما يتوقف تطور الإنسان النفسي والعاطفي عند مرحلة الطفولة .. فغـريزة التملك في الطفل قوية إلى درجة كبيرة ولكن التربية الصحيحة والظروف الاجتماعية تعمل على تقليل حب التملك في سلوك الشخص.. ويمكن قياس تحضـر الفرد بمدى قدرته على التضحية والبذل في سبيل الآخرين لا برغبته في التملك.

ويقـول د. يوسف مراد في كتـاب «سيكلوجية الجنس»: «يمكن إرجاع جميع حالات الغيرة إلى التفاوت بين الرغبة والواقع، بين النزعة إلى التملك المطلق، وما يهدد هذه النزعة، بين ما يمكن أن نسميه الشراهة الوجدانية، والقدرة على إشباع هذه الشراهة.. والغيرة ليست حتمـاً ودائمـاً من مستلزمات الحب، فالحب الذي يوجد بين قلبين ويجعل منهما قلباً واحداً يتنافى مع الغيرة، وبقدر ما يكون الحب تملكياً تكون الغيرة أشد درجة وأكثر إيلاماً وتعذيباً.

وللغيرة أسباب عديدة ودوافع مختلفة.. والحقيقة أن دوافع الغيرة يمكن أن تساهم فيها الزوجة نفسها.. ففي بعض الأحيان يكـون سلوك المـرأة مثيراً لشكوك الزوج وغيرته، والزوجة غالباً لا تدري أنها هي التي تدفع زوجها للغيرة، وتزيد من اشتعال نيرانها.

وكذلك الزوج ببعض التصرفات قد يبث الشك والوهم في قلب زوجته، ويجعلها تكتوي بنار الغيرة التي تؤدي إلى هدم الحياة الزوجية بأكملها..

ونستطيع أن نرجع أسباب الغيرة الزوجية كما يقول د. سامي محمود في كتاب «أمراض الحياة الزوجية» إلى:

١ ـ الفروق الكبيرة في المستويات الشكلية والمادية والعلمية بين الزوجين.

فقد تتزوج الفتاة تحت ضغط الأهل أو ظروف صعبة تعيشها من رجل ليس بينه وبينها تكافؤ أو تقارب في السن أو الثقافة.. بالإضافة إلى أنه قد يكون هناك خلل في المستوى الاجتماعي بينهما. كما أن الشاب قد يتزوج من فتاة وهو واقع تحت عوامل سوء الاختيار، مما يجعل الفتاة تعتقد أنها لم تكن تحلم أبداً بزوج مثله.. ولكن لا يمكن تعميم هذا على كل الزيجات، بل نستطيع القول بأن عدم التكافؤ أو سوء الاختيار يهيىء المناخ المناسب لبعث الغيرة وإشعال لهيبها.

٢ ـ المرض النفسي الذي له جذور ورواسب قديمة تمتد إلى فترة الطفولة، ولابد لهذا السبب من العلاج النفسي، لأن دوافعه كامنة في أعماق النفس، ولها جذور يجب الغوص فيها وإزالة آثارها قبل أي شيء.. ويرجع علماء النفس هذه الغيرة المرضية لعاملين:

ـ **العامل الأول**: يعود إلى عهد الطفولة عندما يكون الولد متعلقاً بأمه ويحبها حباً تملكياً أنانياً وهو ما يسمى في علم النفس «بعقدة أوديب» وفي الوقت نفسه يعد أباه منافساً له في حب أمه. ويظل الشاب قانعاً بمرحلة الطفولة لا يتجاوزها عاطفياً ونفسياً.. وهذا الشاب عندما يتزوج فإن أي مثير يمكن أن يحرك فيه كوامن الغيرة المستقرة في اللاشعور.

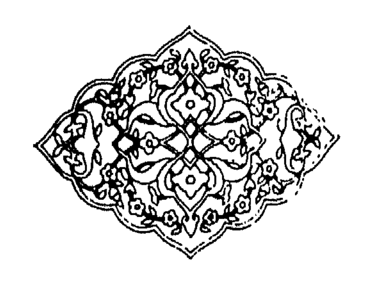
ـ **أما العامل الثاني**: فهو ما يعرف في علم النفس بـ «الإسقاط» وهو يعني إلصاق صفة ذاتية بشخص آخر واتهامه بما يختلج في النفس من رغبات لا شعورية آثمة كوسيلة من وسائل التبرير والدفاع عن النفس..

فالرجل قد يستشعر ثقل مسئوليات الزواج، أو يكون كارهاً لزوجته ـ لا شعورياً ـ هذه الرغبات عندما تدخل مجال الشعور فإنها تنقلب إلى عكسها، بمعنى أن الزوج يلقي بكل هذه الرغبات على الزوجة وكأنها هي التي تريد أن تتهرب من مسئوليات الزواج وهي الكارهة أيضاً.

وهنا تكون الغيرة واجهة تخفي وراءها محاولة الزوج إذلال زوجته ومحاربتها، فهو يعذبها بالغيرة، ويجعلها تيأس وتشمئز من حياتها.. وهذا كله يسعده لأنها هي ـ وليس هو ـ صاحبة هذه الرغبات التي يجب أن تحارب وتذل.

إن الغيرة هي أحد الأمراض التي تصيب الحياة الزوجية.. والمدفوع بالغيرة سواء كان الزوج أو الزوجة لا يدرك أنه مصاب بهذه الآفة الخطيرة.. بل إنه يعد غيرته في بعض الأحيان تعبيراً عن الحب، ولكنها في الحقيقة تعبر عن رغبة أنانية في التملك. إن الغيرة تدفع الكثير من الأزواج والزوجات إلى ارتكاب حماقات قد تقضي على الحياة الزوجية.

إلا أن الغيرة ليست من الخلافات المستحيلة الحل بل يمكن علاجها بقليل من الثقة بالنفس، وتدعيم الحب وتقويته، والبعد عن كل ما يثير الشكوك والظنون، كما أنه بالصبر والإرادة والتحلي بالأمل نستطيع أن نقضي على آفة الغيرة.



الغيرة.. من أفواه الأزواج

والآن نتعرف على نوادر غيرة الزوجات من أفواه الأزواج من خلال استطلاع صحفي نشر مؤخراً:

يقول زوج: زوجتي مصابة بغيرة عمياء، وتكاد تحرقني بغيرتها، وأرى أنه لا مبرر لمثل هذه الغيرة ما لم يكن هناك سبب مقنع.. فهي تسألني يومياً وتجري معي تحقيقاً موسعاً: أين كنت؟ أين ذهبت؟ هل شاهدت أمامك امرأة أخرى؟ وهل؟.. ومن فرط غيرتها تمنعني من مشاهدة التليفزيون، وتغضب إن ذكرت اسم أي امرأة حتى ولو كانت إحدى قريباتي أو قريباتها وتريد أن أجلس معها ولا أرى أي إنسانة غيرها..

ويقول مُحرج آخر: منذ أن تزوجت وأنا أعاني من غيرة زوجتي غير المحدودة، وتضييق الخناق حولي، إنها تتعمد أن أظهر بمظهر غير لائق، فهي تمزق أزرار ثيابي، وتمزق بعض أكمامها، ولا تقوم بكي وغسيل ملابسي جيداً، وتمنع عني العطر ومشتقاته، كل ذلك كي لا أبدو جميلاً متناسقاً فتخطفني زوجة أخرى منها كما تعتقد. وأقع في حرج شديد كلما سألني زملائي في العمل عن سبب مظهري غير اللائق فلا أعرف إجابة حتى إن بعض زملائي أشار عليّ بالزواج من أخرى.

ويقول زوج آخر: بفعل غيرة زوجتي الشديدة فإنها قررت أن أترك العمل فوراً.. فأنا أعمل في مستشفى وطبيعي أن يكون بالمستشفى ممرضات وطبيبات وأخصائيات ومريضات، والمشكلة أن زوجتي تصر على أن أترك المستشفى فوراً وانتقل إلى عمل آخر.. ورغم تقديري لشعورها إلا أنني إنسان مخلص والحمد لله.. وإذا عدت من عملي مرهقاً قامت زوجتي بتفتيش جيوبي وحقائبي مخافة أن يكون بها شيء من امرأة أخرى، ولا أعلم سبباً مقنعاً لشكوكها، وليس هناك أي سبب يثير الشبهات.

وهذه قصة زوج آخر يقول: «من فرط غيرة زوجتي فإنها تحاصرني بأسئلتها واستفساراتها وحدث أن طلب مني أحد الزملاء تسجيل ابنته في مدرسة، وكنت أعرف زوج مديرة المدرسة، وأعطاني هذا الزميل اسم ابنته في ورقة ووجدت زوجتي الورقة في جيبي وجاءت توقظني من النوم لتسألني: من هي نادية؟ وما علاقتك بها؟ .. أخبرني فوراً وإلا سأذهب إلى منزل أسرتي فوراً، ولم تقنع بكلامي إلا عندما اتصلت بأم الطفلة وعرفت حقيقة الأمر.

لقد حدث موقف آخر لي حيث مرضت وذهبت للمستشفى، وكانت زوجتي ترافقني، ودخلت الممرضة لقياس الحرارة والنبض، فما كان من زوجتي إلا أن اختطفت ميزان الحرارة من الممرضة وطلبت منها الخروج وأصرت زوجتي على أن تقوم بدور الممرضة.

ورأي آخر يؤكد المثل: «الباب اللي يأتي منه الريح سده

واستريح» وهذا مثل شعبي، يعني أن الأشياء التي ستجلب له المشاكل مع زوجته فهو لا يفعلها من الأصل حتى يفوز بالراحة يقول: من خلال معاشرتي لزوجتي عرفت ما يثير غيرتها، وكم عانيت الكثير من النكد حين تغار عليّ من أي فعل صدر مني تجاه أشخاص معينين، وكانت الدنيا تقوم وتقعد لمجرد أسباب تافهة لا معنى لها.. والغيرة القاتلة كانت تقلب زوجتي إلى امرأة غير طبيعية، وابتعدت عن كل تصرف يثير غيرتها حتى أرحم نفسي وأرحمها من النكد؟!

ووجهة نظر أخرى تقول: يظن البعض أن غيرة المرأة على الرجل شيء مشين، ولكنني أعدها نوعاً من أنواع التعبير عن الحب الذي تكنه المرأة بداخلها تجاه زوجها، ولا شك أن الغيرة إذا تجاوزت الحدود ستنقلب إلى العكس، وستعكر صفو الحياة الزوجية، وبهذا لا تحمد عقابها.. إلا أنها يمكن أن تكون مردوداً إيجابياً على الرجل بحيث تجعله يشعر باهتمام الزوجة به. أما عن تهذيب الغيرة فلا يتحقق إلا بزرع الثقة الكاملة داخل الزوجة من ناحية الزوج إلى جانب المعاملة الحسنة بعيداً عن التوترات الزوجية والقضاء على أي شك قد يحوم حولها، وبهذا تسير دفة الحياة في خير وسلام.

وهذه قصة سطرتها صاحبتها تقول: «تزوجت وسارت أمورنا على أجمل ما يكون من الحب والاحترام، وبدأ زوجي ينشغل بأعماله ليلاً ونهاراً، وأخذ يهمل بيته ويغيب عنه، لسفرياته الكثيرة،

فأصبح الشك يراودني، وبدأت أشك في كل تحركاته واستفسر عن كل شيء في حياته بطريقة جعلت الخلاف يدب في بيتنا، حاول إثبات إخلاصه لي كثيراً ولم أكن أصدقه، وأخيراً تأكدت من إخلاصه وحبه لي.. ولكن للأسف بعد فوات الأوان، فقد يئس مني، وبدأ يتعمد إهمالي، وعدم الاهتمام بي، وصارت حياتي كلها وحدة وفراغاً، فهل أنا مخطئة في غيرتي وكيف أسترد زوجي وأعيد لبيتي السعادة المفقودة؟!

وعن الغيرة وشجونها ومشاكلها الاجتماعية المتعددة يقول د. عبدالفتاح عبدالرحيم أخصائي أمراض نفسية:

من الطبيعي أن تغار الزوجة على زوجها، وأن تفعل ذلك في حدود المعقول، تفعل كل ما بوسعها لتحافظ على بيتها، وأن تدافع عن سعادتها، ولكن أن تصل الغيرة إلى حد الشك فهذا هو الخطأ. فهناك غيرة تبني وتعمر.. وهناك غيرة مدمرة تهدم وتخرب كل شيء..

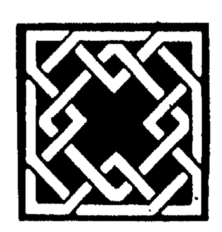
والغيرة في حد ذاتها ميزة كبرى وشعور مطلوب بين الزوجين.. فهي دليل الحب الذي يجعل كل طرف يحس بأن الطرف الآخر ملكية خاصة له بلا منازع.. وتشتد الغيرة عندما تتهدد هذه الملكية لأي سبب من الأسباب.. والغيرة صفة محمودة وليست عيباً، فهي تزيد من الروابط الأسرية وبالتالي تحافظ على بناء المجتمع..

ولـولا الغيرة لشـاع التحلل والانحـلال.. ولكن ـ وهذا هو المهم ـ الغيرة لهـا حدود طبيعية إذا تعـدتهـا صارت دمـاراً على الطرفين.. لو زادت الغيرة لتحولت فوراً إلى شك وريبة، ولدخل الشيطان إلى قلب الإنسـان من أوسع الأبواب.. وإذا زاد الشك زادت الوساوس التي تجبر الإنسان على عمل تصرفات معينة وهو غير قانع وغير مقتنع بها، ولكنه مضطر لذلك وربما يستنكرها ويندم عليها.. فكثيراً ما نسمع عن زوجة تتجسس على زوجها، أو تبحث في أوراقه بدون علمه، أو تبحث في جيوبه عن دليل إدانته بالخيانة المـزعـومـة.. وكثيراً ما نسمـع عن أزواج يتصيدون الأخـطاء ولو بعثرات اللسان ليبنوا عليها قصصاً وخيالات..

إذن الغيرة سلاح ذو حدين.. حد نافـع يبني بيوتـاً وأسـراً ومجتمعات.. وحد ضار يهدم كل شيء.

والغيرة مرتبطة بغريزة التملك.. وبين الحب والتملك خيط رفيع يجب أن يبقى على الدوام، فإذا ارتخى تهلهل وأصبح عديم الفـائـدة.. وإذا جذبنـاه بشدة تقطع وتقطعت معه أوصال الحب والعشرة.. وفي هذه المشكلة التي سطرتها صاحبتها تأكدت الزوجة من إخـلاص زوجهـا ولـو كان غير ذلك ما أبقى على علاقته بها ولانتهى من ربـاط الـزوجية في أي لحظة.. ولكنه تحمل الشك وصبـر، وهـذا يدل على حبه لزوجته وإخلاصه لها.. وطالما أن الحب موجود فالعلاج سهل، ورغم أن الزوج يتعمد إهمال زوجته،

وعدم الاهتمام بها إلا أنه يتضح أنه لم ييأس من زوجته، ولكنه ربما كان ينهج أسلوباً للعلاج بالهجر المؤقت، وربما كان معتزاً بكرامته التي جرحت. . وقد نجح علاجه، فقد بدأت الزوجة تسعى لاستعادة زوجها مرة أخرى فلتحاول الزوجة ولا تيأس من ذلك. . وتحاول أن تغرس الثقة وتزرعها بدلاً من الشك والريبة، وتحاول أن تتقرب من زوجها ولا تتركه للوحدة والفراغ. . وعلى الزوج أن يوازن بين عمله وبيته وينتصر على نفسه بعد أن زال الخلاف ويتسامح حتى تستمر العشرة ويدوم الحب.



كيف نهذب الغيرة؟!!

الغيرة غريزة فطرية تسـري في كيان المـرأة، وتـذوب في دمائها، وتجري في عروقها. . والمرأة الواعية الفطنة هي التي تضع غيرتها في مواضعها التي ينبغي أن تكون فيها، وبالقدر الذي يحقق الخير والسعادة بعيداً عن الشك ووساوس الشيطان.

والمرأة المسلمة ينبغي أن تمسك بزمام غيرتها حتى لا تقع في المعصية، وعندها سيحل في بيتها الخراب والتعاسة والشقاء، وسيمتلىء قلبها بالهواجس والأوهام.

والآن نتعرف على الكيفية التي يمكن بها أن نهذب الغيرة من وجهة نظر الشرع، وعلم الاجتماع، وعلم النفس من خلال عرضنا لبعض الآراء من التحقيق الموسع الذي أجرته جريدة المدينة:

د. **عبدالـرحمن محمـد** أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية المعلمين بالطائف يرى أن الغيرة في حد ذاتهـا مطلوبة أحياناً، وغالباً ما تفضل للرجل، كغيرته على محارمه، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يحب أن تكـون الغيرة في موضعها، كالغيرة على الدين، والغيرة على الأهـل، وغيرة المـرأة قد تهـدم بيوتـاً كان أساسهـا الحب والسعادة، ولكن لكي نوقف هذه الغيرة والخراب الذي ينتج عنها فلابد من تهذيب المرأة وتجريدها من هذه الغيرة القاتلة. . فنربي

المرأة على تعاليم الدين والشريعة وقتها سوف يسد الطريق أمام الشيطان لكيلا يصل للمرأة لينال منها، وحتى لا تسري الغيرة في دم المرأة فعلى الرجل ألا يفعل أشياء تجعل زوجته تغار منها.. كالنظر إلى الأخريات، أو التحدث إلى أشخاص معينين باهتمام شديد، مما يجعل زوجته تشتعل فيها نار الغيرة، وعلى المرأة ألا تندفع في شتى الأمور. فالتأني والتحري بالصورة المضبوطة خير من الاندفاع والجري وراء خراب البيوت.

الدكتور محمد جودة أستاذ علوم القرآن والثقافة الإسلامية بكلية التربية يرى أن الغيرة أمر طبيعي في المرأة، والغيرة نوعان: مذمومة، وأخرى محمودة، فالأولى هي التي لا ترتبط بالإيمان، وقد تؤدي إلى التهلكة كالغيرة المفرطة على الزوج والتي قد تدفع المرأة إلى خراب بيتها، وبالذات من كانت لها ضرائر فتدفعها الغيرة إلى التقول والافتراء عليهن.. كي تنال رضا الزوج عنها أكثر من زوجاته الأخريات..

فالغيرة موجودة في النساء كلهن، ولكنها لابد وأن تكون في حدود الشرع، فهاهي عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم تتمالك نفسها حين بعثت أم سلمة بالطعام الشهي لرسول الله عليه الصلاة والسلام وهو عندها، لقد توترت أعصابها، وأحست بالغيرة الجامحة فلم تتمالك أن ضربت الصحفة ففلقتها على مشهد من الناس.. فكيف تصرف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إزاء هذه الحادثة.. جمع ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين فلقتي الصحفة وقال: «**كلوا غارت**

أمكم» فلقد أعلن على الملأ أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ غارت فقط دون سباب أو غضب أو إهانة. . وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام «أمكم» أي أنه لا يصح لها أن تتصرف هذا التصرف وهي أم المؤمنين في الأرض، فلا ضرورة لهذه الغيرة من أم المؤمنين، فبهذه العظمة في المعالجة، وهذه الحكمة في التربية استطاعت عائشة أن تعود إلى نفسها، وتشعر بجسامة خطئها بدون أن توجه إليها كلمة تخدش مشاعرها، فجاءت نادمة للرسول تسأله ماذا أفعل؟ فقال لها: يا عائشة إناء بإناء، وطعام بطعام، فلقد حول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الغضب والعنف إلى الحب والود، فلابد أن تهدي عائشة صحفة لأم سلمة عوضاً عن صحفتها المكسورة، فهذا أسلوب الرسول الكريم في تهذيب غيرة عائشة، وهذا هو المطلوب منا في تهذيب غيرة المرأة.

وغيرة الرجال هي المطلوبة، فلا مانع من غيرة الرجل على دينه وعلى محارمه، ويروى عن موقف سعد بن معاذ حين نزلت آيات حد القذف: ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون**﴾[1].

أنه قال للرسول: أهكذا أنزلت يا رسول الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: بلى: قال سعد: إذا رأيت لاكعاً قد تفخذها

(١) الآية ٤ من سورة النور.

لاكع.. أنتظر أن آتي بأربعة شهود، فوالله إنني لأجعلهم بيض هذا قال رسول الله: أما تسمعون ماذا يقول سيدكم، إنه يغار ورسول الله يغار، والله أشد غيرة، وغيرة الله أن يأتي العبد المؤمن ما حرم الله.

وفي هذا الصدد ننقل رأي الشيخ **صالح الجيري** الداعية الإسلامي بالطائف حيث يقول: إن الغيرة دليل الحب والمودة، ومنها المحمود والمذموم، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره الله فأما ما يحب الغيرة في الريبة، وأما ما يكره الغيرة في غير ريبة».

والغيرة كانت في بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكنه كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يهذبها حتى لا تكون أداة تدمير للأسرة.. فالغيرة لا نستطيع القضاء عليها، ولكن نستطيع أن نجعلها موافقة لشرع الله.

فبعض الرجال يكون سبباً مباشراً في إشعال الغيرة المذمومة في نفس زوجته.. كأن يتصرف الرجل بعض التصرفات التي تثير الشك في نفس زوجته.. ولكي نهذب من غيرة المرأة علينا الثناء عليها، ورفع معنوياتها وإشعارها دائماً بأن لديها صفات جميلة ليست موجودة عند غيرها، وإزالة الريب والشك أو كل ما يدعو إلى ذلك، والعدل بين الزوجات، هذا إلى جانب عدم إفراط الزوجة في الغيرة المذمومة، ومن ثم فإن الغيرة تكون في موضعها محمودة، ومذمومة في غير موضعها.

د. أسامة الراضي رئيس الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية يقسم الغيرة كسلوك اجتماعي إلى نوعين: محمود، ومذموم، فقد تغار المرأة من حسن ترتيب جارتها لبيتها، واهتمامها بمظهرها فتحاول أن تفعل مثلها..

وقد تغار المرأة على زوجها من امرأة أخرى.. فإما أن تتشاجر مع زوجها بسبب الأخرى، وإما أن تدبر المكائد والمشاكل للمرأة الأخرى والتي تعارضها كأن تتتبع أخبارها، وتتجسس عليها لتفشي أسرارها، وسواء كان الأمر هذا أو ذاك فهو خراب للبيوت سواء لبيتها أو لبيت من تغار منها.. فهذه هي الغيرة المذمومة والتي لابد أن نعالجها ونهذبها.

وعلينا أن ندرك من البداية أن الغيرة المذمومة نجد أن صاحبها يعاني من الحرمان العاطفي، أو بمعنى آخر لم يحصل على قسط وافر من الحب والحنان الأبوي أو الأسري أو معاملة حسنة من الأسرة. ولتحويل هذه الغيرة المذمومة إلى شيء محمود لابد من تحويل في المعاملة كإظهار الاهتمام بهذا الشخص، ومنحه الحب والحنان، وعدم التحقير من أفعاله، وتشجيعه على المثابرة، ومعرفة هواياته وتنميتها، وتشجيعه على استثمارها استثماراً يجد فيه نفسه.

ودور الرجل في تهذيب غيرة المرأة يتمثل في التصدي لذلك بالاهتمام بها، ومنحها الثقة في نفسها وأنها المرأة التي اختارها هو دون سواها، وأن يمنحها الحب والحنان اللذين قد تكون افتقدتهما

في صغرها بسبب وفاة الأب أو الأم أو قسوة كليهما عليها. . أو قد تكون قسوة الزوج في معاملته لزوجته وإهماله لها هما اللذان يشعلان الغيرة في قلبها.

إن الغيرة المذمومة هي التي يمتلىء قلب صاحبها بالحقد نتيجة الحسد أي حسد الشخص على ماهو عليه من نعم وتمني زوالها. . وتدبير المكائد لتشويه سمعته، ولكن سرعان ما تنكشف هذه الأحقاد وهذا الحسد أمام الآخرين.

وبطبيعة الحال قد يتأثر الأبناء والبنات، وخصوصاً البنات بهذا الجو الأسري المشحون بهذا النوع من الغيرة، حيث المشاحنات الأسرية والعلاقات الاجتماعية غير المستقرة. . وقد يأخذ الأولاد والبنات عادة الغيرة من الوالدين ويتصرفون كذلك.

وفي معرض حديثنا عن الغيرة وكيف نعالجها يدلي الأستاذ عبدالوهاب الهاشمي المحاضر بالكلية المتوسطة بالطائف قسم علم الاجتماع برأيه قائلاً:

إن المرأة تغار، وهذه طبيعتها من قديم الأزل. . فقد ترفض الزوجة الثانية «الضرة» لزوجها، وهذا قد حلله الدين، ولكن غمامة الغيرة لا تجعلها تستطيع الرؤية الصحيحة في كثير من الأمور، ولكي نهذب هذه الغيرة التي قد تجر المرأة إلى الوقوع فيما حرم الله تعالى علينا بتوعيتها إسلامياً، فالإسلام قد هذَّب نفس المرأة، وعلينا تذكيرها دائماً بأخلاق الصحابيات الجليلات ـ رضي الله

عنهن ـ ومـدى حسن معـاملتهن لضرائرهن. . لعلها تغار من هذا الكلام وتفعل الخير مثلهن، ودائماً نذكرها بأن هذه الغيرة قد تفقدها ثقتها بنفسها وستهدم بيتها، وأن البعد عن الغيرة سيحفظ لها كيان بيتهـا ويجعله بإذن الله نقياً خالياً من الأمـراض النفسية والصحية وترفرف عليه أعلام السعادة.



عمل المرأة.. قضية ملحة[1]

لعل قضية عمل المرأة وخروجها من بيتها من المشكلات التي تهدد الحياة الزوجية واستقرارها، بل تهدد هذا البنيان بالتصدع والانهيار. .

إن قضية عمل المرأة مازالت قضية ملحة تطرح نفسها للنقاش، والسؤال المطروح هو أيهما الأفضل لها وللأسرة أن تعمل على راحة الزوج والأبناء داخل البيت؟ أم تعمل خارج البيت؟!

وعلى الرغم من أن للمرأة دوراً مهماً في عملية التنمية وبناء المجتمع وخدمته، ولها مجالات العمل الخاصة بها والتي أثبتت دورها فيها بنجاح في تعليم البنات، وفي الطب، والتمريض وغيره من التخصصات. . إلا أن هذا الدور هل يبقى مهماً بصفة مطلقة؟ أي هل تخرج المرأة للعمل في أي وقت بصرف النظر عن تحديد الأولويات بالنسبة للمرأة وبيتها وأسرتها؟

إننا لا ندعو المرأة إلى العودة إلى المنزل؟ لأننا لا نستطيع ذلك، لأن عمل المرأة أصبح أمراً واقعياً، ولا نستطيع الرجوع عنه، ولكننا ندعوها إلى تحديد الأولويات، بمعنى أيهما في أمس الحاجة إليها أطفالها وبيتها أم عملها؟!

---

(١) انظر كتاب أمراض الحياة الزوجية للدكتور سامي محمود.

ففي المرحلة الأولى والسنوات الأولى للأطفال يكونون في أمس الحاجة إلى الأم ورعايتها وحنانها، ولا تستطيع أي حاضنة أو دور حضانة أو أي شخص أن يعوض الطفل جزءاً من حاجته النفسية والعاطفية التي يوفرها التصاق أمه به خصوصاً في ثلاث السنوات الأولى.

وبعدها تستطيع أن تخرج لعملها مع مراعاة توفير نسبة معينة من الاهتمام بأبنائها وزوجها ورعاية منزلها، وكذلك وجود تفاهم بين الزوجين، وأن يعرف كل منهما مسئولياته.. أما إذا لم تستطع الزوجة توفير هذه النسبة من الرعاية والاهتمام بالبيت والأبناء فعليها أن تعود إلى المنزل للحفاظ على استقراره، وحفظه من الانهيار والتصدع، وصدق قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**وقرن في بيوتكن**﴾[1].

إن خروج المرأة للعمل أفرز العديد من المشكلات في كيان الأسرة، وهدد بتصدعها، وهذه المشكلات تمس الزوج أو الأبناء الذين يمثلون الضحية الكبرى لهذه الخلافات والمشكلات أو الزوجة نفسها..

ولعل ما نقرؤه الآن من أن الغربيات يحسدن الآن المسلمات القارات في بيوتهن على ما أعطاه لهن الإسلام من نعمة وتكريم خير دليل على ما نقول، وتدل إحصائيات المراكز الاجتماعية في الغرب

---

(١) من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

على حجم الضرر النفسي والبدني الذي تتعرض له المرأة العاملة هناك، وقد نشرت «الصنداي تايمز» البريطانية في نوفمبر ١٩٩٣م أن نصف عدد النسـاء العاملات في بريطانيا يتعرضن لاعتداءات لفظية أو جسدية.

وفي كوريا الجنوبية طالب أكثر من ٨٠٪ من الشعب الكوري برجـوع المـرأة إلى بيتها، وخرجت مظاهرات كبيرة تطالب بذلك خلال نوفمبر ١٩٩٣م. كما ذكرت جريدة «المسلمون».

خروج المرأة للعمل له انعكاسات ومضاعفات خطيرة على كل أعضاء الأسرة سواء الزوج أو الأبناء أو الزوجة نفسها، فبالنسبة للزوج فإن الرجل الذي يفقد قوامته المادية على امرأته فإنه بالتالي يفقد قوامته النفسية والمعنوية، ونجد الزوج اليوم يعيش في مأزق نفسي يخلق له العديد من المشاكل، فلقد أحست المرأة العاملة الزوجة أنها كيان قائم بذاته، لها عملها الذي تحصل منه على أجر قد يساوي مرتب زوجها، وتشعر في قرارة نفسها وفي أعماقها بأنها لم تعد في حاجة «ماسة» إليه.

لقـد كانت المـرأة القـديمة تقدم نفسها للزوج كرمز لعطائه المـادي والمعنـوي اللذين لا يمكن أن ينفصـلا في وجـدانها أو حياتها. . أما الآن فإنها بعملها تشعر بالاستقلال . . وهذا ينعكس بشكل أو بآخر على علاقتها بزوجها.

أما بالنسبة للأبناء فهم الضحية لهذا الوضع الغريب، الأب والأم كلاهما مشغول، ولا يدريان عن أمر أبنائهما شيئاً، وهما لا

يجدان الوقت أو الطاقة التي تمكنهما من التحدث مع أبنائهما، ومناقشة ما يعتلج في صدورهم ونفوسهم من مشاكل أو أفكار.

إن انشغال الأم والأب عن أبنائهما هو اليتم الحقيقي.

فقد ينحرف الابن أو البنت والأبوان في واد آخر لا يفيقان إلا بعد فوات الوقت، وهذا لا يحدث لو كانت الأم في بيتها ترعى أبناءها وتحميهم من كل ما يسوقهم إلى مزالق الخطر.

أما بالنسبة للزوجة.. فإن عملها خارج البيت قد انعكس عليها كامرأة، قد فقدت الكثير من أنوثتها ورقتها، لأنها تحملت عبئاً آخر وهو عملها خارج البيت، وما يتبعه من مسئوليات وتبعات بالإضافة إلى أعبائها داخل البيت، فهي تحاول جاهدة لاهثة أن تؤدي حق عملها وحق أسرتها وبيتها بنفس الإتقان والالتزام.

إلا أنها غالباً ما تقصر في حق بيتها.. مما يدفع المواقف بينها وبين زوجها إلى الاشتعال، لأن الزوج في كل الأحوال لا يجد الاهتمام والحنان والرعاية بالدرجة الكافية عند عودته إلى منزله من عمله مرهقاً لأنها أيضاً عائدة من العمل متعبة.

وكما ذكرنا فإن قضية عمل المرأة هي إحدى القضايا المثارة باستمرار، ولنتعرف الآن على رأي الأزواج والزوجات وآراء العلماء في هذه القضية وآثارها على كيان الأسرة والمجتمع من خلال ما نشرته واستعرضته جريدة «المسلمون» مؤخراً:

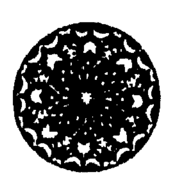
رأي الأزواج في عمل الزوجة

يقول زوج: لقد اشترط والد زوجتي في العقد أن أوافق على أن تستمر في عملها عشر سنوات، أو أن تتوقف من تلقاء نفسها نظير أن يزوجني ابنته.. والآن أعاني بعد أن رزقني الله بطفل وزوجتي ترفض أن تأخذ إجازة لرعاية ابننا وهذا الطفل تهتم به الخادمة طول النهار، وإذا قام في الصباح من النوم يصر على أن يذهب معي وأنا أوصل زوجتي إلى مدرستها ثم أعود به إلى المنزل بعد أن يكون قد نام، وبذلك أتأخر عن عملي، وإذا لم ينم الطفل اضطر أنا إلى الغياب لأبقى بجواره رغم أنني أعلم أنه لا يجوز أن أختلي بالخادمة، ولكني أحاول قدر الإمكان أن أتقي الفتنة.

ويقول زوج آخر: إنني من كثرة التزامات زوجتي تجاه عملها أصبحت أشغل نفسي بأعمال كثيرة ولا أعود إلى المنزل إلا بعد العاشرة حتى لا أختلي بالخادمة، فمعظم وقت الزوجة للعمل، فهي في الصباح مدرسة، وفي المساء مديرة لمدرسة محو أمية، «ولهذا فكرت في زوجة ثانية تهتم بي وببيتي».

ورأى آخر يقول: إن زوجتي تعمل ثماني ساعات كممرضة وتعمل دوامين، وعندنا ثمانية أطفال، ولها في الخدمة ١٤ عاماً، والنظام لا يجيز التقاعد إلا بعد عشرين عاماً خدمة.. ولهذا نعاني الكثير من المصاعب.

ووجهة نظر أخرى ترى أنه لا يمكن لأي امرأة أن توفق بين عملها وبيتها إلا إذا سامحها زوجها في تقصيرها في البيت، أو إذا قصرت في عملها.. فتكوينها الجسمي لا يساعدها على العمل أكثر من عشر ساعات متواصلة.. فكيف تعود من عملها وترعى زوجها وأطفالها؟! إنها تلقي أمور المنزل على الخادمة، فيتعلق الزوج بالخادمة التي تهتم به وبأموره، وتحدث الفتنة ويتزوج الزوج من الخادمة، والسبب أن الزوجة أهملته؟!



الزوجات يدافعن عن العمل

تدافع زوجة عاملة قائلة: إن وظيفة المرأة الرئيسية هي رعاية الزوج والأولاد والبيت، وعلى المرأة العاملة أن تبذل قصارى جهدها لكي توفق بين الاثنين على أن تبحث عمن يساعدها في البيت خصوصاً في وجود عائلة كبيرة ولا أرى سناً معينة لتقاعد المرأة، بل تعمل مادامت قادرة على ذلك، وتتعلم حتى تحصل على أعلى الشهادات لتثبت وجودها في مجتمعها.. وتعترف قائلة بأنني مقصرة بعض الشيء في البيت.. وأنسى كل المشاكل عندما أتسلم الراتب.

ومدرسة أخرى تقول: إن المرأة إذا نظمت وقتها تستطيع أن توفق بين عملها وزوجها وأولادها، وتتفوق أيضاً في مجال معين إذا أحبت ذلك المجال.. وهي في النهاية أم، والأمومة معناها العطاء، وليست هناك سن معينة تتوقف عندها المرأة عن العمل والعطاء.

وترى مديرة مدرسة أن المرأة لا تستطيع التوفيق بين عملها وبيتها ورعاية زوجها وأطفالها، ولابد من وجود من يساعدها في هذه الأعباء.. وترى أنه لا يوجد سن معينة للتقاعد، وللمرأة أن تحصل على أعلى الشهادات.

وزوجة عاملة تقول: لابد أن تعمل المرأة فهي نصف المجتمع، وحتى لا تُتَّهم بالجهل والتخلف، ثم من يعلم البنات إذا لم تعمل المرأة.. إن المرأة تستطيع التوفيق بين العمل والبيت، وأن ترعى أطفالها وزوجها مع وجود خادمة تساعدها.. وعلى الزوج أن يكون واعياً مقدراً لظروفها، وتقول: إنه يلزم على المرأة التقاعد بعد الأربعين من عمرها، لأنها لا تستطيع العطاء بعد هذه السن.

الجوهرة بنت محمد العنقري نائبة رئيسة الجمعية الفيصلية الخيرية والكاتبة بجريدة عكاظ تؤكد أن العمل ضروري ليس فقط لتأمين المتطلبات المادية، ولكنه حاجة مطلوبة، فهو حاجة من أجل التعليم.. فمن سيعلم بناتنا إذا لم تعمل المرأة كمعلمة، ومن يخدم في المجالات الاجتماعية الأخرى ومجال الطب والتمريض للنساء.. ومن خلال خروج المرأة للعمل تنعكس عليها الراحة النفسية حيث تختلط بزميلاتها في جو صحي تحس فيه بكفاءتها وقدرتها وقيمتها كفرد منتج، وتضيف: إن الهدف الأساس هو إيجاد الجو الملائم لتربية الأولاد التربية الصحيحة، والعمل يأتي في المرتبة الثانية.. أما بالنسبة لارتفاع حالات الطلاق بين العاملات فإن كان هذا صحيحاً فإن ذلك يرجع لعدم قدرة الزوجين على تفهم احتياجات بعضهما البعض.. وإذا استطاعت المرأة التوفيق بين عملها وبيتها، ونظمت حياتها مع تفهم الزوج فإن ذلك سيعطيها دافعاً لتقديم كل ما تستطيع.

كما أن الدراسات الطبية المتعددة أثبتت أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله ـ تعالى ـ على هيئة تخالف تكوين الرجل، فجسم المرأة بني ليتلاءم مع وظيفة الأمومة ملاءمة كاملة ـ كما يقول د. **محمد علي البار** ـ ونفسيتها قد هيئت لتكون ربة أسرة وبيت، وكان لخروج المرأة إلى العمل وتركها بيتها وأسرتها نتائج سلبية في كل مجال، فتقرير هيئة الصحة العالمية الذي نشر في عام ١٩٨٣م يقول: إن كل طفل يحتاج إلى رعاية أمه المتواصلة لمدة ثلاث سنوات على الأقل، وإن فقدان الطفل لهذه الرعاية يؤدي إلى اختلال شخصيته، كما يؤدي إلى جرائم العنف التي انتشرت بصورة مرعبة في المجتمعات الغربية، وطالبت هذه الهيئة بتفريغ المرأة للمنزل، وطلبت من جميع حكومات العالم ذلك، وأن تدفع لها راتباً شهرياً إذا لم يكن لديها من يعولها حتى تستطيع أن ترعى أبناءها..

وقد أثبتت الدراسات الطبية والنفسية أن دور الحضانة وروضات الأطفال لا تستطيع القيام بدور (الأم) في التربية ولا في إعطاء الطفل الحنان الدافق الذي تغذيه به.

الشيخ حامد محمد إمام وخطيب مسجد.. يقول: إنه لا يمكن للمرأة أن تقوم بدورها في بناء الأسرة وتربية الجيل مالم تكن على قسط وافر من العلم بجوانب عملية البناء والتربية، فتكون على علم بالآداب والأخلاق والوسائل التي تجعل من الناشئة دعائم صالحة، والتوسع في فهم هذا الدور الكبير للمرأة يتطلب منهجاً

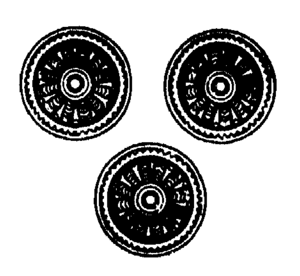
علمياً واضح المعالم، مركز الوسائل، عميقاً في بيان التفاصيل النظرية والعملية لمهمة التربية، ولا يتحقق هذا الفهم في ظلال التصورات الفطرية للعلم والتعلم والتي يحملها كثير من فتيات الإسلام، فأي مجد وبناء للأمة ينتظر ممن تتعلم لأجل الوظيفة البعيدة عن مجال البيت والتربية القويمة.

إن الطموحات العلمية والعملية التي تتنافس فيها فتيات اليوم هي من الخطأ والبعد عن المنهج القويم، وهذه الطموحات متلازمة مع أماني ومخططات أعداء الأمة لإبعاد المرأة عن واجبها في الحفاظ على كيان الأسرة الإسلامية، وأخلاقياتها، ولتساهم بهذا الخروج والطموح الدراسي والعمل في نشر بذور التحلل والفساد، ومطالبتها بعد ذلك بتوفير مجالات العمل لها لتصل إلى ما وصلت إليه المرأة الغربية من التمزق والضياع.. إن مناهج الدراسة الأولية فيها الحد الكافي الذي يعرفها بجوانب التربية وأداء الحقوق.. وبعد ذلك عليها أن تقبل الخاطب الكفؤ في الدين والخلق لخطبتها.. الذي يلتزم بعد الزواج بواجبه الشرعي فلا يكلفها خروجاً لغير ضرورة، ولا يلزمها بنفقة.

د. **سعد بركي المسعودي** الأستاذ المساعد بكلية العلوم بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة. يرى أنه لا يختلف اثنان في أن للمرأة دورها الأساسي في المجتمع الذي لا يمكن لأحد أن يقوم به غيرها، ألا وهو تربية الجيل الناشىء تربية سليمة صحيحة،

الجيل الذي إذا نشأ سليماً معافى من الأمراض الاجتماعية سعد المجتمع به واستقر.

وعمل المرأة لاشك أنه يصعب هذه المهمة، ويجعل العبء عليها أكثر من غيرها والحل في نظري ليس في ضرورة منع المرأة من العمل، فأحياناً قد يكون العمل ضرورة، ولكن الحل أن يدرك المجتمع دور المرأة الأساسي، وبالتالي تكون النظرة لعمل المرأة من هذا المنطلق، ومن غير الإنصاف أن نطالب المرأة بنفس عدد ساعات العمل التي نطالب بها الرجل، فيجب أن تكون لنا نظرتنا الخاصة في عمل المرأة، ليس فقط في الوظيفة التي تناسب طبيعتها، ولكن أيضاً من ناحية عدد ساعات العمل المطلوبة منها، ونظام التقاعد يجب أن تختلف فيه المرأة عن الرجل إنصافاً لها وتقديراً لدورها الأساسي.. ويضيف إن تهميش دور المرأة في الحقيقة هو في إرهاقها بالساعات الطويلة من العمل خارج المنزل.



جمود العلاقة الزوجية

ينـدر في الـواقع أن تسير الحياة الزوجية سعيدة هادئة كما يحلم الإنسان بدون أن تصيبها فترة ركود أو فتور أو جمود في العلاقة بين الزوجين.

ويختلف توقيت هذه الفترة التي تصيب الحياة الزوجية بالبرود والفتور من علاقة زوجية لأخرى، وتختلف حدة هذه الفترة وأيضاً آثارها السلبية من علاقة لأخرى، لاختلاف الأشخاص والظروف وأسلوب التعامل وغيرها من العوامل الواسعة والمتعددة والمعقدة أحياناً التي تتدخل وتحدد العلاقة الزوجية وما يترتب عليها من نتائج إيجابية أو سلبية.

والجمود في العلاقة الزوجية قد يعني فتور العلاقة الزوجية بجميع أنشطتها أو بعضها، أو قلة التفاعل بين الزوجين، أو الصمت، أو اعتماد كل شخص على نفسه، إلى غير ذلك من المعاني والظواهر التي تؤكد أن العلاقة الزوجية قد وصلت إلى درجة من البرود تدق جرس الإنذار حتى لا تصل هذه العلاقة إلى طريق مسدود، فإما أن تكون حياة زوجية فارغة خاوية ليس لها معنى وإما أن تؤدي إلى الطلاق وما ينتج عنه من مآس على أفراد الأسرة كلها. كما يقول د. **عبدالله الطويرقي في** جريدة المسائية.

ولكن ما أسباب هذا الجمود الذي يصيب الحياة الزوجية؟ وما هي آثاره؟ وكيف نتغلب عليه؟!

وللإجابة على هذه التساؤلات نتعرف على آراء الأزواج والزوجات، ووجهات نظرهم في القضاء على هذا المرض من خلال التحقيق الذي أجرته جريدة المسائية:

وهذه آراء مجموعة من الأزواج حول أسباب الجمود في العلاقة الزوجية، وكيفية التغلب عليه، يقول أحد الأزواج: إن هناك عدة عوامل مختلفة تؤدي إلى الجمود في العلاقة الزوجية منها:

١ - **العامل الاجتماعي**: فأغلب الزيجات تتم عن طريق الأهل، فعامل التآلف غير موجود، فالمرأة وإن كانت مثقفة لكنها بحاجة إلى الرجل دائماً لإنهاء كل أمور حياتها، كما أن تدخل بعض الأطراف من ناحية الزوج أو الزوجة له أثر، كما أن الالتزامات الاجتماعية قد تؤدي إلى تضارب من ناحية الزوج أو الزوجة، وهنا تكمن المشكلة في حالة أخذ الأمور بنوع من العناد، وعدم تحكيم العقل في هذه الأمور، وهذا سبب رئيسي ومؤثر.

٢ - **العامل المادي**: لقد أصبح الرجل مطالباً إلى حد ما بجهد مضاعف لتأمين احتياجات الأسرة، لرفع مستواها المعيشي، وبهذا يكون الوقت الذي يهدره في العمل على حساب الأسرة، وأحياناً على حساب راحته أيضاً، مما يخلق فجوة كبيرة بين الزوجين، لعدم وجود الوقت الكافي للتحدث حول مشاكلهما وحلها أولاً بأول، وبذلك تتعقد الأمور حتى تتفاقم مما يجعل الحياة تبدو

مستحيلة، لوجود كثير من الترسبات نتيجة للمشاكل المتراكمة.

فالمرأة بحاجة إلى أشياء كثيرة غير المادة، لما تتحمله من مسئوليات في تربية الأولاد، بالإضافة للوقت الطويل الذي تقضيه داخل المنزل مما يشكل لها ضغطاً عصبياً ونفسياً رهيباً.

ثالثاً ـ العامل النفسي: إن ما يعانيه الرجل من جهد في سبيل رفع مستوى معيشته قد يقابل من جانب الزوجة بتجاهل تام، أو عدم تقدير واهتمام، وذلك لوجود شعور لدى الزوجة بأن كل ما يحدث على حسابها وعلى حساب بيتها وسعادتها، غير عابئة بهذا المجهود، علماً بأنه لو فقدت الزوجة الأشياء التي يوفرها لها هذا الجهد المضاعف لحدثت مشكلة.. وهنا يكون الزوج بين نارين، فتوفير احتياجات الأسرة مشكلة، وعدم توفيرها مشكلة أيضاً. كما أن تقدير أهمية الأمور والمتطلبات يختلف عند كل من الزوجين مما يزيد هوة التباعد بينهما.. فعندما يعود الزوج مجهداً من عمله قد تقابله زوجته بقائمة من المتطلبات ترى أنها على جانب من الأهمية ويلزم تنفيذها حالاً، بينما يرى الزوج أنه يمكن تأجيلها ويدخل لينام تاركاً الزوجة تعدد هذا الكم الهائل من التجاهل وعدم الاهتمام.

رابعاً ـ التوافق الفكري: إن اختلاف طريقة التفكير بين الزوجين له دور كبير، فنظرتهما للأمور لابد أن تكون مختلفة، وكذلك الاهتمام، فقد يكون الزوج أو الزوجة مغرماً بالقراءة والاطلاع، والآخر قد يكون من أنصار مشاهدة التليفزيون، فقراءة الكتاب قد تسبب مشقة لأحدهما بينما الآخر يجد في ذلك مجالاً

للاستهزاء، والعكس صحيح، فاختلاف الاهتمامات واختلاف المستوى الفكري والثقافي هما من المشاكل الرئيسية.

خامساً ـ الحياة الروتينية: فكما هو معروف أننا ارتجاليون من ناحية اتخاذ القرارات، فلا نحدد وقتاً للتمتع بالإجازة، وأين سنقضيها حتى نستطيع أن نستفيد ونستمتع بها، فحياتنا قد تكون متشابهة، وعلى وتيرة واحدة، ولا نعرف كيف نستغل أوقات الفراغ بخلق روح من المرح جديدة متغيرة ومجددة، لإثبات الحب والتآلف بين الزوجين، فذهاب الزوجين في رحلة قصيرة مرتب لها جيداً من كليهما يكون له دوره الفعال في تنشيط العلاقة، وخلق روح حميمة جديدة بين الزوجين كفيلة بإنهاء الفتور، وإزالة أغلب أو كل الرواسب.

ورأي آخر لزوج يؤكد أن عوامل كثيرة تكون سبباً مباشراً في إحداث الجمود في العلاقة الزوجية، ولعل من أهمها العامل الاقتصادي فكما يكون الفقر سبباً في التمزق الأسري والخصام بين الزوجين كذلك يكون التدفق الاقتصادي سبباً مهماً في انصراف الزوجين عن بعضهما البعض، واهتمام كل منهما بأشيائه الخاصة، وسهراته، واجتماعاته، وبشكل خاص الرجل الذي يلهث وباستمرار وراء المزيد من الثروة مما يضيع معه الوقت دون التفرغ لشريكة حياته، مما يكون له أكبر الأثر والتأثير على نفسيتها، ويشعرها بأن المادة أهم منها لديه، فيتشكل لديها إحباط شديد.

ومن الأسباب أيضاً عدم التكافؤ الثقافي بين الزوجين. . فزواج المتعلم من المرأة، الأمية أو شبه الأمية أو العكس قد ينعكس على العلاقة الزوجية بانعدام صلة الوصل الفكري بين الزوجين وتدريجياً يتحول ذلك إلى قطيعة كلامية بينهما لانعدام خط التوافق بينهما. . وأحياناً تغرق المرأة في مشاكل بيتها وأطفالها، وتنسى لفترة طويلة أن لها زوجاً فتنصرف باهتماماتها عنه، وتدريجياً يشعر الزوج بأنه مهمش، وبأن مهمته تنحصر في العمل وجلب مستلزمات البيت، وتدريجياً ينفصل عن شريكة حياته، ويتحول إلى إيجاد مناخ ملائم له مع أصدقائه خارج المنزل، وقد يكون العكس حين ينغمس الرجل في ملذاته متناسياً أو جاهلاً حقوق أسرته عليه، فيبتعد عنها وتنحصر مهمته في الطلبات المادية، وهذا كله يعود إلى عدم الاهتمام لدى أحد الطرفين، ويخيم الجمود تدريجياً بظله البارد على العلاقة الزوجية.

ووجهة نظر ثالثة لزوج يقول: أعتقد أن سبب جمود العلاقة الزوجية يعود أساساً إلى المرأة التي تشير كل تصرفاتها وسلوكياتها إلى أنها لا تشجع الرجل على الجلوس في المنزل، فالخروج الكثير والمتكرر للأسواق بحاجة وبدون حاجة، والانشغال الكثير بأمور المنزل حتى لو كانت صغيرة، وزيارة الصديقات في مناسبة وغير مناسبة، هذه الأشياء لا تشجع الرجل على الجلوس مع زوجته والحديث معها.

كذلـك عدم اختيار الـزوجـة الوقت الصحيح لكي تحدث زوجها أو تطلب منه طلباً معيناً قد يؤدي لخروجه من البيت، لأنه لا يصبح له في المنزل سوى الطلبات التي لا تنتهي، سواء كانت ضرورية أو كمـالية، كمـا أن عدم تقـدير الـزوجة لظروف زوجها وإمكـانياتـه المـادية يجعله يتهرب من مواجهتها كلما هي حاولت الاقتراب منه، لأنه يعتقد أنها ستطلب منه طلباً لا يستطيع تحقيقه. وهذا هو ما أعيشه منذ زواجي حتى الآن، وليس كل أسباب الجمود مصدرها الزوج كما يروج البعض.

ويقـول زوج: إن عدم التـوافق الفكـري والاجتمـاعي والعاطفي سبب كبير في جمود هذه العاطفة، ومتى ما فقد الإنسان هذا الانسجام والتوافق الروحي والعاطفي أدى ذلك إلى الجمود، وبما أن الصمت هو أحد أنواع الجمود، فإن أسبابه تتجه إلى عدم اقتناع الرجل بالمرأة، وهذا أحد الأسباب وليس كلها، وربما ليس لعيب في المرأة نفسها، إنما السبب يكون في أن نظرة الرجل الزوج تكون نظرة لا تصل إلى المستوى.

الزوجات .. وجمود العلاقة الزوجية

وبعد أن تعرفنا على وجهة نظر الرجال في قضية جمود العلاقة الزوجية نتعرف الآن على رأي الطرف الآخر وهو الزوجات في هذا الموضوع، فهذه سيدة تعلل ذلك بأن الرجل أناني، ولا يفكر إلا في نفسه فقط، ويأخذ دون أن يعطي، وأحياناً قد لا يكون الزوج صادقاً مع زوجته، وقد تكتشف الزوجة خيانة منه فتبرد عاطفتها تجاهه، ولأن المجتمع يعود الطفل على الأنانية منذ الصغر فينشأ هو كذلك ولا يتعلم العطاء للآخرين، وعندما ينشأ على العطاء يكون عطاؤه بمقدار أخذه فيؤثر ذلك على علاقته مع الآخرين بمن فيهم زوجته في المستقبل، وقد ينظر بعض الرجال إلى وجود المرأة في المنزل كقطعة أثاث، موجودة في بيته، ففي خارج المنزل يضحك ويفرح ويمرح ويتحدث ويناقش، أما مع زوجته فهو صامت، وإذا تحدث معها يكون بألفاظ بذيئة، أو بعبارات تجعلها تصمت، وتبتعد عنه، ويكون أيضاً لديه بعض النقص في نفسه، فيعوضه في معاملته مع زوجته على أنه متعال ومتكبر ولا ينزل من قيمته لمناقشتها.

وتقول زوجة أخرى: رغم أنني امرأة إلا أنني مقتنعة بأن للمرأة دوراً كبيراً جداً في حدوث الجمود بين الزوجين، ولكنها ليست السبب الوحيد للجمود في العلاقة الزوجية، فإنني أعرف صديقات لم يقصر أزواجهن في حقوقهن، ويعاملوهن بصورة جيدة

إلا أن هؤلاء الزوجات يحاولن أن يجعلن من الحبة قبة عن طريق طلباتهن المتكررة التي لا تنتهي، وياليت تلك الطلبات تكون منطقية أو مقبولة، فهؤلاء الزوجات لا يعرفن كيف يكسبن أزواجهن، ولا يقدرن ظروفهم وكل همهن الأسواق، أو الجلوس مع الصديقات، وبذلك تكثر المشاكل، وتفتر العلاقة بينهما.

فالمرأة يجب أن تكون ذكية، وتعرف كيف تحافظ على منزلها وعلى زوجها عن طريق التعقل في الطلبات، واختيار الوقت المناسب للسؤال عن شيء ما، أو طلب حاجة معينة من الزوج.

ورأي جديد في أسباب الجمود بين الزوجين: «كثير من الأزواج وخصوصاً المتزوجين من الأقارب تكون موافقتهم مبنية على مجاملة لآبائهم أو أمهاتهم، فالزوج لا يريد أن يجرح إحساس أمه أو أبيه وهما اللذان تعبا في تربيته فيوافق إرضاء لهما، ومحاولاً أن يرد لهما ولو الشيء القليل من فضلهما عليه.

ومن ناحية أخرى قد توافق البنت على الزواج منه، لأنها تتمناه، فهو لا يعيبه شيء، وهي تريد أن تستقر، وتكون أسرة سعيدة مع جهلها بما تخبئه لها الأيام، ولا يلبث الزواج أن يتم حتى تبدأ المشاجرات والمشاحنات والعتاب واللوم، ويبدأ كل طرف بالبوح للآخر عن حقيقة مشاعرهما وميولهما، ثم تأتي مرحلة الجمود في تلك العلاقة الزوجية الخاطئة منذ البداية، وابتعاد الزوج عن زوجته بالخروج من المنزل، واجتماعه المستمر بزملائه، وحتى في حالة

وجوده بالمنزل يشغل نفسه بقراءة صحيفة أو مجلة، ويجعل تلك المسكينة منفردة في عالم آخر، مهمومة حزينة بلا ذنب اقترفته أو خطأ ارتكبته.

وتقول سيدة أخرى: إن السبب في حدوث الجمود هو عدم التكافؤ بين الزوجين في العديد من الأمور كالناحية الثقافية أو الاجتماعية، وهذا جانب مهم، فهناك زوج متعلم وزوجة محدودة الثقافة أو أمية أحيانا أو العكس، فيحدث أن يشعر أحد الطرفين بعجز الطرف الآخر عن فهمه أو الوصول إلى مستوى تفكيره، مما قد يشعره بأنه وحيد في منزله رغم وجود الطرف الآخر، وبذلك يحدث الصمت، وهذا يؤدي إلى حدوث فتور في العلاقة بينهما، وعدم تحمل أحد الطرفين للآخر رغم أن الحب والاحترام قد يكونان موجودين، وهذا من شأنه أن يوسع الهوة بينهما، وتصبح علاقتهما الزوجية مجرد اسم على ورق، لا طعم لها، ولا حيوية فيها، وهذا شيء مؤسف، ولكنه الأساس غير الموفق منذ البداية.

ويشرح رأي آخر الحالة بأن الجمود العاطفي بين الزوجين بعد السنة الأولى من الزواج تعود أسبابه إلى أحد الطرفين من الزوجين، فقد يكون الزوج غير مبال، أو غير عاطفي، وقد تكون الزوجة كذلك، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها:

- أن حياتهما تخضع لزواج تقليدي، وظروف اجتماعية ترغم الطرفين على العيش معاً.

ـ المشاحنات والمشاكسات اليومية والمشاجرات التي تقضي على الود والألفة.

ـ وجود الأطفال عامل أساسي فيِ هذه القضية، فالأم تعطي من عاطفتها الكثير لأبنائها، ويبتعد هو الآخر بحجة الأبناء، فيفضل الاعتزال عن الزوجة وأبنائه، ليوفر لنفسه الحياة الهادئة.

ـ وللأسرة دور كبير في زرع العاطفة في نفوس الأبناء منذ الصغر، فالأسـرة والمجتمـع يعودون الأبناء على اللاعاطفة بحجة أنهم رجال، فلابد أن يكون الرجل شديداً، وربما يكون لعامل البيئة وروتين الحياة الممل دور في عدم انسجام كلا الطرفين فكرياً ونفسياً واجتماعياً وثقافياً أو حتى عاطفياً، فينعزل كل طرف عن الآخر، وقد نجد كثيراً من الرجال يستخدم أسلوب الصمت مع زوجتـه وأبنائه، وتجده مع الآخرين إذاعة لا يصمت ويضحك ويتحدث وكأنه شخصية أخرى، أما في البيت فقد ينشغل بالتلفاز أو الجريدة، وقد يكون ذلك نوعاً من التعالي على الزوجة، وهذا يرجع لنشأة الرجل وطبيعة بيئته.

الملل أولى الخطوات لفشل الحياة الزوجية

عندما يشعر الزوجان بالملل في حياتهما فهذا يعني أولى علامات الفشل. . فالملل يقود ـ مع تراكمه ـ إلى مشكلات متنوعة تضعف العلاقة الأسرية والزوجية، وتفتح الباب لنتائج سلبية.

ولعل من أهم المسببات لحالة الملل التي تصيب الحياة الزوجية الرتابة والروتينية في الحياة الزوجية، والعلاقة الخاصة بين الزوجين، والملل يقود إلى الإحباط. . والإحباط يؤدي للاكتئاب، والاكتئاب يثمر تعاسة. . والتعاسة تصيب الحياة الزوجية بالصدأ. . والصدأ يصيب المشاعر الإنسانية بـ «التآكل» ومع الأيام يتحول التآكل إلى ثقوب وشروخ كبيرة في جدران الحياة الزوجية.

وبذلك تكون الحياة الزوجية قد ضلت طريقها لتصل إلى غايتها المأمولة من الاستقرار والسعادة والأمان وتعصف بها الرياح.

ولكن لماذا تصل العلاقة الزوجية إلى مرفأ الملل والإحباط والتعاسة؟! ولنتعرف على إجابة هذا التساؤل من خلال اعترافات الزوجات اللاتي عانين من هذا المرض الخطير الذي يصيب الحياة الزوجية ألا وهو الملل. كما يهمنا أن نتعرف على آراء الأزواج في هذه الحالة المرضية من خلال التحقيقين اللذين أجرتهما جريدة الندوة وجريدة المدينة:

زوجة تقول: أصبت بالإحباط عندما اكتشفت أن الفارق كبير جداً بين الصورة الوردية الجميلة التي رسمتها في ذهني والواقع، ربما لأنني لم أتعرف عليه جيداً أو هو تغير بالفعل، لقد تحول مرحه الدائم قبل الزواج إلى عبوس دائم وشرود.. الصمت هو ثالثنا، حاولت تغييره دون جدوى، وحاولت التأقلم فأصبت بالملل والإحباط، لأن زوجي جعلني صفراً على الشمال يتخذ كل القرارات دون الرجوع إليّ، ودائماً يسفه رأيي، أحسست أنني مجرد قطعة أثاث في المنزل وليست شريكة حياته.

مكتئبة أخرى تقول: إن البعد يولد الجفوة، وهذا ما حدث لي، فزوجي مشغول دائماً بالعمل، وأيامنا كلها مثل بعضها، نصحته بالتغيير والترويح عن النفس فكان رده إن أهم شيء في حياته هو عمله.. ولا أستطيع القول بأن الزوج هو وحده المسئول عن الإحباط والملل الذي يصيب الحياة الزوجية، فالمسئولية مشتركة، فأنا وجهت كل اهتمامي للأولاد، وكان هذا محل تقدير زوجي في البداية، ثم بدأ يتهمني بإهماله، وهو وجه كل اهتمامه لعمله، وارتضيت أنا ذلك طمعاً في مستوى معيشة أفضل، ثم اكتشفت أن الفلوس ليست كل شيء، وأن السعادة لا تشترى، باختصار تركنا عيوبنا تنمو وتترعرع دون أن نصارح بعضنا البعض فوصلنا إلى الملل والإحباط والاكتئاب.. إن الملل ينشأ من غياب التفاهم وغياب العلاقة السوية بين الزوجين. وبقدر ذكاء المرأة تستطيع أن تهرب من مصيدة الملل، فهي القادرة على التلوين في حياتها،

وعلى دفع زوجها للمزيد من العطاء، وأن تشعره بأن ما تطلبه إنما هو لسعادته هو أولاً.

يقـول زوج: أكثـر ما يصيبني بالإحباط هو شعوري بأنني أؤدي واجبي كاملاً، بينما زوجتي تهمل واجباتها ووقتها.. أشعر بأن مجهودي بلا فائدة، وبأن زوجتي أصبحت مجرد عبء وليست سنداً لي.. أصاب بالإحباط عندما تحاصرني زوجتي بمطالبها ومطالب الأولاد، وهي تدرك تماماً أنني لا أتأخر عن بيتي في شيء، وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان.

أُصـاب بالإحبـاط عنـدمـا أشعر أنني مكبل بكم هائل من الالتـزامـات والمجـاملات الضرورية وغير الضرورية، وأنني على هامش اهتمامات الزوجة بعد الأولاد، وزوجتي لم تستطع تحقيق المعادلة الصعبة في الاهتمام بي وبالأولاد والبيت، وللأسف حياتي تغيرت تماماً ووقعت فريسة للاكتئاب.

قصة واقعية يحكيها أحدهم حيث يقول: لقد تغيرت معاملة زوجتي بعد أن تركت وظيفتي المرموقة، أحسست أن احترامها لي كان بسبب الـوظيفـة، وعنـدمـا فقدتها لم أعد استحق احترامها، وكانت هذه طعنة توقعتها من كل الناس إلا من زوجتي رفيقة دربي.

إن الأنانية المفرطة سبب كل الأمراض الزوجية.. فزوجتي تريد كل شيء بغض النـظر عن ظروفي، دائماً تتطلع للآخرين،

وتطلب أن تكون مثلهم، حاولت إقناعها بأن لكل ظروفه لكن بلا فائدة. . ولولا الأولاد لأنهيت حياتي معها.

ويقول زوج آخر: لما شعرت بالملل والفتور في حياتي الزوجية عدت إلى أصدقائي، الذين عوضوني جانباً كبيراً مما فقدته في المنزل، ولا أعود للمنزل إلا في المساء في فترة النوم والراحة. . وفي المقابل علمت أن زوجتي بدورها قد اختارت صديقات لها، وهكذا كل منا انشغل بأصدقائه وصديقاته، لأن الملل قاد كل منا إلى الهروب إلى أصدقائه.

ورأي آخر يقول: يلعب الأصدقاء دوراً مهماً في التغلب على العديد من العقبات مثل الملل والفتور في العلاقة الزوجية وخصوصاً إذا كان الأصدقاء أمناء وواعين، يحاولون رأب الصدع، وإعادة الثقة بين الزوجين. . فالصديق العاقل لابد أن يؤثر على الصديق بأن يتفرغ إلى منزله وأولاده، ويعطيهم الوقت والمشورة والتفاهم، وكذلك الصديقة الواعية لابد وأن تؤثر وتنصح صديقتها بعودة الحياة الزوجية إلى طريقها الصحيح.

روشتة علاج الملل

د. **عادل صادق** أستاذ الأمراض النفسية بجامعة عين شمس يقول: إن الأسباب التي تؤدي بالحياة الزوجية إلى الوصول لمرحلة الملل والاكتئاب كثيرة، منها السماح بحدوث تباعد تدريجي بين الزوجين، ومن ثم حدوث فجوة وهوة وانفصال، فالزوج عندما ينشغل عن زوجته تنشغل هي عنه أيضاً، والعكس صحيح.. ولذلك أنصح الزوج بأن يشعر زوجته بأنها أهم إنسانة في حياته، وعلى الزوجة أن تشعر زوجها بأنه أهم إنسان في حياتها.

ويحدث الإحباط إذا ما سارت العلاقة بين الزوجين في طرق مظلمة تنتقص من رجولة الرجل أو أنوثة المرأة.. فالزوج يحب أن تشعره زوجته بأنه رجل الرجال، والزوجة تحب أن يشعرها زوجها بأنها أجمل وأرق امرأة في الوجود.

كما أن الشك من أخطر الأسباب المؤدية للأمراض الزوجية القاتلة للعلاقة الجميلة بين الأزواج، فكل ذرة شك تنهار أمامها ذرة حب، وقد تستمر الذرات في التساقط، وينمو هرم الشك حتى يؤدي لانهيار الحياة الزوجية تماماً.. ومثل ذلك فقدان الاحترام بين الزوجين، واعتداء كل منهما على خصوصية الطرف الآخر والسماح للآخرين بممارسة الوساطة والتدخل لحل خلافاتهما، فالمفروض إذا تخاصم الزوجان أن يتعاتبا ويتصالحا دون تدخل من أحد.

إن هناك أشياء أخرى قد تبدأ بسيطة جداً وتافهة ولكن إهمالها يؤدي إلى الملل. ومن ثم إلى الإحباط والاكتئاب مثلاً تبادل عبارات المجاملة الودية، تبادل الهدايا، الحرص على التجديد، الحرص على الإجـازة.. عدم الاستسـلام لضغـوط الحياة والتفـرغ التـام للركض وراءها، كل هذه الأمور البسيطة يؤدي عدم الاهتمام بها إلى نمو بذور الملل في الحياة الزوجية.

ويجب عدم الاستسلام للملل، لأنه ليس أمراً واقعاً، وليس قدراً محتـومـاً، فبـالجهد والتفاهم المشترك يمكن التغلب عليه، وبالمصارحة والاحترام المتبادل يمكن علاج جذوره.

والأهم ألا يتبارى الزوجان في نقل حالة الإحباط إلى الأبناء سواء بالإهمال أو المعاملة السيئة، أو بالزج بهم في حل المشكلات الزوجية، فمن الخطأ الفادح أن نحول أطفالنا إلى «قضاة» للفصل في منازعاتنا وخلافاتنا، فنحن بذلك سنصيبهم بالتمزق والإحباط.

تجارب لنساء فوق الستين

إن الحياة الزوجية الهادئة المستقرة والسعيدة حلم يراود كل زوج وزوجة..

ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.. فيضل أحد الزوجين أوكلاهما الطريق الذي يصل به إلى الغاية السامية للزواج من الهدوء والأمن والسكينة.. وتكون المشكلة أن كلًا من الطرفين لا يعرف كيف ينال رضا الآخر.

والآن نتعرف على تجارب طويلة لنساء عشن في عش الزوجية بلا منغصات وبلا مشاكل تعصف بكيانهن الأسري من استطلاع صحفي نشر مؤخراً:

تقول ناظرة مدرسة سابقة في الثامنة والستين من عمرها تعيش في عش الزوجية منذ ٥٢ سنة: السعادة الزوجية تتلخص في كلمة واحدة وهي الثقة، فالبثقة سوف يتفانى كل من الطرفين في خدمة الآخر، وترتفع الغيرة، ولا تحدث مشاكل بسبب المادة، والبحث عن زعامة شخصية داخل البيت.

وتقول زوجة في الستين من عمرها وهي أم لستة أولاد: إن أهم ما ساعدني على نجاح حياتي الزوجية هو أنني جعلت زوجي محور حياتي، لقد شعر بأنه هو الأساس في حياتي، وكل شيء آخر تابع، وبذلك شعر بالسعادة فبادلني المعاملة نفسها، واستطعنا

تجاوز مصاعب الحياة، وانعكس ذلك على أولادنا واستقرارهم ونجاحهم في حياتهم.

وتحكي ربة منزل متزوجة منذ أربعين عاماً قصتها فتقول: أشعرت زوجي بصدق بأنه أهم رجل في العالم، وأنه لا يهمني في الدنيا إلا سعادته، لقد أعطيت كل اهتمامي له، فملابسه مرتبة ونظيفة، وطعامه جاهز، وما يحتاجه في عمله أساعده فيه إذا احتاجني كما أذكر طموحه دائماً مما أراحه نفسياً، كما أنني لا أترك وقت فراغه دون أن أملأه بما يفيدنا ويحافظ على سعادتنا.

وتقول زوجة لرجل أعمال منذ أكثر من خمسين عاماً: إن أفضل وسائل السعادة وتجنب الخلافات الزوجية هي الوقوف مع الرجل وقت الشدائد، ثم عدم الاهتمام بالتفاصيل، أو كثرة «الرغي»، لأن ذلك يرهق الزوج، ويجعل صمته طويلاً مع أهله.

وتحكي زوجة قصتها مع المعارك اليومية قائلة: كانت المشاكل لا تغيب يوماً عن حياتنا.. مشاكل وخلافات من كل نوع ولون.. شجار وتبادل الإهانات وأحياناً الشتائم.. ومع تكرار هذه المعارك اليومية أصبحت أؤمن بأن حياتي لن تستمر طويلاً، وأن الانفصال صار وشيكاً، مع أنني كنت أحب زوجي وأقدره في أعماقي إلا أنني أمام عناده وأسلوبه المتعنت وهجومه الدائم عليّ وعلى تصرفاتي كنت أفقد السيطرة على سلوكي وعلى لساني، فكنت اندفع منساقة وراء انفعالي كالمجنونة..

وفي يوم ذهبت لأمي لأحكي لها هذه المنغصات فقالت أمي: عليك بالمرونة والتنازل، فالزواج مودة ورحمة، وليس حرباً.. وكنت أتحدى وأعاند وأكابر، ولم أستخدم ما أشارت به أمي، وكنت قد مللت من جو النكد والشجار، وأخيراً جربت نصيحة أمي وكانت كالسحر، لقد تحولت حياتنا من سلسلة المشاجرات والتعاسة إلى حياة سعيدة هانئة، وانقلب زوجي من العناد والتعنت إلى الرقة والحنان، فالمرونة في تعاملي مع زوجي استطاعت أن تمتص ثورته وغضبه ومشاعره الساخطة، وأصبحت علاقتي معه علاقة تفاهم وسعادة.

زوجة أخرى تتذكر كل الخلافات التي كانت تتفجر بينها وبين زوجها على أشياء تافهة لا تشكل أي أهمية وتقول: «مجرد كلمة سخيفة أقولها، مجرد لفظ أعلم جيداً أنه يثير زوجي ويتسبب في مضايقته، هكذا كانت الأمور تتطور سريعاً كلمة مني وكلمة منه، نخلق جو عكننة، وتتوتر العلاقة بيننا، وتمتد إلى طفلتنا، وتمتد إلى أسبوع أو عشرة أيام بسبب كلمة طائشة، وحينما انفرد بنفسي كنت أشعر بضيق وقلق من استمرار تلك الحالة «المكهربة» وألوم نفسي وأوبخها وأسأل نفسي لماذا تتعمدين إثارته؟! لماذا تذهبين بقدميك إلى الخلافات؟! وبمرور الأيام واكتساب خبرة الحياة واكتسابي خبرة في التعامل الصحيح الإيجابي مع زوجي استطعت أن أعود إلى نفسي وأسيطر على انفعالاتي وألفاظي وكلماتي، وأمام هذا التغير في سلوكي أبدى زوجي هو الآخر مرونة إيجابية في علاقتنا

معاً، وأستطيع القول بأنه كان يمكن من البداية تجنب هذه المشاحنات، وكسب رضا زوجي وحبه واهتمامه لولا حماقتي، وبدأ زوجي يتنازل هو الآخر مثلي عن بعض رغباته حين يشعر بتعبي وإرهاقي، وأصبحت علاقتنا وطيدة، ملؤها المحبة والتفاهم.. فالرجل طفل كبير يتوق إلى الحب والحنان وإلى الكلمة الطيبة التي تستطيع في لحظة أن تزيل عنه كل الأوجاع، وتستطيع الزوجة أيضاً أن تحصل على ما تريده من زوجها بهذه الكلمة الطيبة.

وترى أم لطفلتين أن الحياة الزوجية تفرض على الزوجين نوعاً من التجاوزات، وأيضاً نوعاً من التنازلات، والبعد عن التعنت والعناد وتحلياً بالمرونة ورحابة الصدر.

فعقب زواجي وظهور أعراض الحمل علي فوجئت بزوجي يطلب مني ترك العمل، وألا أفكر في العودة إليه بحجة بعض المتاعب من الحمل، خصوصاً أنه طبيب نساء وتوليد، ولكنه كان يؤمن بأن المرأة مكانها الوحيد هو البيت. وكانت تدور بيننا مناقشات ساخنة حول هذا الموضوع أثور فيها ويشتعل غضبي في البيت، وأتهمه بعدم حبه لي، وباستغلال ظروفي الصحية لتحقيق هدفه.. ولأسباب عديدة تنازلت عن ثورتي وعن عملي نتيجة لعدم قدرتي على العمل، وتعبي خلال الحمل، ولاستمرار حياتنا الزوجية.

وبعد أن بلغ ابني العامين ونصف العام، واستقر في إحدى الحضانات فوجئت بزوجي يطلب مني العودة إلى عملي، وسعاودة

نشاطي الاجتماعي ، لقد تعلمت من هذه التجربة الكثير والكثير، تعلمت أولاً كيفية الانحناء أمام العواصف والأعاصير التي كثيراً ما تهب على الحياة الزوجية ، وتعلمت أنني أستطيع أن أحصل عل كل ما أريده في الوقت المناسب، وبالأسلوب الملائم بالصبر والمرونة والسلاسة ، والبعد عن العناد والاستفزاز.

وجهة نظر أخصائية اجتماعية تقول: إن الفتور الذي يصيب الحياة الزوجية والملل يدفعان الزوجين بعد أن تتسع هوة التباعد بينهما إلى أن يختار كل منهما أصدقاءه، وبمرور الأيام يزداد عدد الأصدقاء فيصبح ذلك الشغل الشاغل، فيظن الزوج أن هؤلاء الأصدقاء قد عوضوه عما فقده فيلجأ إلى كشف أسراره لهم ومنحهم الثقة في كل أموره واستشاراته وهكذا الزوجة.

ولكن المشكلة هنا هي أن بعض الأصدقاء أو الصديقات قد يشيرون بأمور تؤدي إلى توسعة الفجوة بين الزوجين.

ففي الوقت الذي نرى فيه الزوج بصحبة أصدقائه ليل نهار لا يتفرغ لمنزله نجده في نهاية الأسبوع برفقة أصدقائه في رحلات سياحية أو حضور مناسبات وينصرف عن منزله كلياً . . أما الزوجة فلا تبادره إلا بالسؤال عن غيابه المتواصل، أو عمن هم أصدقاؤه فتلجأ إلى المثل فتنهمك في زيارة صديقاتها، أو استقبالهن في منزلها . . ولابد لعلاج هذه الحالة من أن يراعي الزوجان حياتهما الزوجية ، وأن يغيرا نمط حياتهما ، ولا بأس من أن يكون لكل منهما

أصدقاؤه، ولكن لابد أن تتوافر فيهم الاستقامة والنضج والوعي والأمانة.

ويحدد علماء النفس بعض النقاط التي تؤدي إلى حدوث الخلافات بين الزوجين ومنها:

- العناد والتحدي واتباع أسلوب العين بالعين.
- الحديث والحوار في غير الأوقات المناسبة.
- افتعال المواقف التي يمكن أن تزيد من حجم الخلافات والشجار بينهما.
- الانسياق وراء المشاعر والانفعالات دون تفكير.
- اللجوء إلى الكلمات الجارحة والألفاظ الطائشة.
- عدم المرونة وعدم التنازل عن بعض الطلبات والرغبات.
- عدم الاستماع إلى وجهة النظر الأخرى.

وبهذا يتضح لنا أنه لتخطي الخلافات والمشكلات بين الزوجين والقضاء عليها فإنه لابد من بعض التفاهم والمقدرة على العطاء والتنازل، فعلى سبيل المثال إذا كان هناك خلاف بين زوجين فلابد من التنازل والمرونة من كلا الزوجين ليتقابل الزوجان في منتصف الطريق، ولا يصر كل منهما على رأيه وموقفه، فالعناد يولد الكفر، ويخرب البيت، وتنهار به الحياة الزوجية.

الصمت الزوجي

إن من المشكلات التي تواجه الزوجين في حياتهما الواقعية اليومية مشكلة الصمت الذي يعقبه انفجار أو انهيار، وأحياناً يعقبه الانفصال. . وهي مشكلة تعاني منها العديد والعديد من البيوت، إن الصمت الزوجي يمثل خطراً على بعض العلاقات الزوجية، ويهددها بالانفصال. . فهو مرض اجتماعي يهدد كيان الأسرة.

ويعد الصمت الزوجي أحد أوجه الجمود في العلاقة بين الزوجين، وتختلف الأسباب المؤدية للصمت الزوجي باختلاف الأشخاص وخصوصية الحياة الزوجية، فقد يكون سببه عدم الصراحة والوضوح بين الطرفين، كما أن ضغوط الحياة هي أحد مسبباته، كما أن عدم التجديد و «الروتين» والرتابة في العلاقة الزوجية قد تكون من مسبباته. . ويعد الصمت الزوجي سلوكاً سلبياً من جانب الزوج، حتى أن تغيير مظهر الزوجة ومظهر البيت وغرفة النوم وتغيير أنواع الطعام لا تجدي في هذا الموقف السلبي، وقد تضطر الزوجات إلى استعمال الأبناء كسفراء، دائمين أو متجولين بينها وبين زوجها نظراً لإصابته بمرض الصمت الزوجي.

والصمت الزوجي مرض يصيب الرجال أكثر من النساء، لأن النساء لا يستطعن الصمت عن الكلام المباح وغير المباح، وقد

تضطر الزوجة إلى المكاتبة صباحاً ومساءً لزوجها، ولا يرد عليها زوجها مكاتبة، لكنه يأتي منفذاً للطلبات التي تطلبها.

ولكن الزوجات يتأثرن بهذا المرض «مرض السكتة الزوجية».. فعندما يصمت الزوج تقلق المرأة، ربما يعود ذلك إلى اختلاف مفهوم الصمت والكلام عند كل من الرجل والمرأة.. فالكلام عند المرأة تعبير عن الاهتمام والشوق، أما عند الرجل فهو يستخدمه في ساعات العمل. وعندما يعود إلى البيت يصبح الصمت نوعاً من الاسترخاء.. ولكن صمت الرجل يثير الشكوك لدى كثير من الزوجات.

والآن نتعرض لآراء الزوجات والأزواج حول أعراض هذا المرض «السكتة الزوجية» أو الصمت الزوجي، والذي ناقشته مجلة زهرة الخليج وجريدة الجزيرة في محاولة منهما للقضاء على هذه الظاهرة ومعالجة أسبابها وتحاشي مؤثراتها:

تقول زوجة: إن زوجها كان يتحدث معها كثيراً في بداية الزواج، ولكن بعد فترة قل حديثه، وبعد مضي خمس سنوات من زواجهما أصبح نادراً ما يتحدث معها، وإذا بدأت حواراً معه تكون ردوده مقتضبة، وفي أحيان كثيرة يستعمل رأسه بالموافقة أو الرفض.

رأي آخر يقول: لقد أصبح زوجي مستمعاً فقط، فعندما أسرد له ما يحدث لنا طول النهار مع الأولاد، وما أتحدث به مع

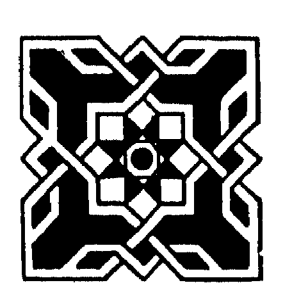
الجيران أكتشف أن زوجي غير منتبه إليّ، وإنما يفكر في أشياء أخرى..

وتقول زوجة أخرى: إنه عندما يأتي زوجي في المساء يشعرني بأنه مجهد جداً، ولا يستطيع أن يتكلم ويستلقي أمام التليفزيون.. ولكن المفاجأة عندما يتصل به أحد أصدقائه فيأتي بالكثير من الكلام، والمواقف والنكات، وترتفع ضحكاته المتواصلة بصوت عال، وكذلك عندما يزورنا أحد الأقارب يستغرق في أحاديث شيقة فأحزن على حالي معه.

ضحية أخرى للصمت تقول: أكاد أجن فالمضحك المبكي أن زوجي يتبادل النكات مع كل الناس إلا أنا بحجة أنني لا أجيد الاستماع إلى نكاته، وآخر مرة ضحك زوجي فيها معي في العيد قبل الماضي حيث كنا نمضيه مع أهله.

ووجهة نظر أخرى لزوجة تقول: إن زوجي بمجرد فتح الباب قبل إلقاء التحية يقول: جوعان.. تعبان.. أريد أن أنام، وبهذا يعلن أنه لا يريد الكلام أو حتى الاستماع، ولأنه يمضي ساعات طويلة في عمله، فتمر الأيام حتى بدون ساعة واحدة أراه فيها، فأنتظر ساعة العشاء التي نجتمع فيها وأحدثه عن أحوالنا وطلبات المنزل فيغضب ويترك المنزل ويخرج بحجة أنه لا يريد الكلام على الطعام، وأنتظر حتى يوم الإجازة فأراه يأخذ إجازة في غير يوم إجازتي متعمداً ذلك، ولهذا صمت الحوار بيننا، وأصبح

القلم والورقة هما وسيلتنا للتفاهم. . والغريب أنه مع أصدقائه يكون ضحوكاً بشوشاً مملوءاً بالحكايات والمواقف، أما معي فالصمت والعبوس هما وسيلتنا حتى أصابني الملل والإحباط.



الصمت .. من أفواه الأزواج!

يرى أحد الأزواج أن هذه الظواهر التي تشتكي منها الزوجات هي موجودة بالفعل.. ويقول: إنه شخصياً قليل الكلام مع زوجته، لأنه يعود إلى منزله بعد ساعات طويلة من العمل الشاق، وعادة ما يكون في حاجة إلى الراحة.

مدرس يقول: على الزوجات أن يخترن الحديث المناسب قبل أن يشتكين من صمت الأزواج، ويقول: هل من المعقول أن يكون كل مفردات حديث الزوجة هو «ادفع» هات. اشتر.. البيت يحتاج إلى.. إلى مالا نهاية من الطلبات، فعندما يكون حديثهن خالياً من هذه الكلمات يندفع الرجل في الكلام.

زوج آخر يقول: أشعر عند عودتي بأنني في استجواب، تسأل زوجتي فيه عن تفاصيل عديدة.. لذا فإن الصمت يكون أفضل من الشعور بأنني متهم، أو في تحقيق بوليسي..

ويقول مهندس: إن ضغوط الحياة وضغوط العمل تساهم بدور كبير في الصمت الذي يسيطر على الزوج، لأن الأزواج عادة يحملون معهم هموم العمل إلى داخل البيت، بالإضافة إلى أن الإنسان العربي بشكل عام لا يجيد الإفادة من الإجازة، فعادة يقضيها داخل المنزل، في حين أن قليلاً من التغيير يحقق الكثير

من الإنعاش، فضلاً عن أن الحديث المتكرر في بعض المشاكل التقليدية كالضغوط الاقتصادية قد يؤدي إلى الشعور بالملل وعدم الرغبة في الحديث.

أخصائي علم الاجتماع محمد عبدرب الرسول يرى أن التجديد والتغيير لا يكونان بالمظهر الخارجي فقط، ولابد أن ينبع التغيير من داخل النفس البشرية التي تصاب أحياناً بالهم والجزع، وكما يقول الله ـ تعالى ـ: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾**.

كما أن المسئولية الكبرى تقع على عاتق الزوجة بحكم أنها ـ في الغالب ـ لا تعمل ومن ثم فإنها لابد وأن تراعي ظروف زوجها في العمل وفي الشارع وفي كل شيء مما نسميه أحياناً بضغوط الحياة.

إلهام محرم أستاذ علم الاجتماع تقول: إنني لا أعتقد أن زوجين يحبان بعضهما يمكن أن يصابا بهذا المرض، وإذا أصيبا به فلن يدوم أكثر من أسبوع، وعلاج هذا المرض هو المصارحة الدائمة والوضوح التام حتى تستقر سفينة الحياة وتسير في طريقها الصحيح.

إن البيت في الإسلام يقوم أساساً على الزوجين، ويستهدف السكن والمودة والرحمة بين أفراده، فالسكن يعني الجغرافيا التي يمتلكها الإنسان ويمتلك عليها مجموعة من الحقوق والواجبات،

والاتصال بين الزوجين سواء على المستوى المادي أو المعنوي يعد من أهم الواجبات الملقاة على عاتق كل منهما، ومن ناحية أخرى فإن هذا الاتصال تعبير عن المودة والرحمة اللتين يريد الشرع أن تتحققا بينهما كما يرى د. **كمال إمام** أستاذ الشريعة الإسلامية في جامعة الإسكندرية، ويضرب لنا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حياته الخاصة النموذج العملي لهذه العلاقة، فسيرته تمثل السنة العملية التي لا تقل في حجيتها، وإلزامها عن السنة القولية، فقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يداعب زوجاته، ويلاعب أهله، ويعاونهن في شئون البيت، ويتحدث معهن في شئون الحياة، والدعوة. والسيرة النبوية تذكر لنا الكثير من الحوارات التي كانت تدور بين الرسول الكريم وزوجاته.. فمثلاً في بداية الوحي كان يبلغ أم المؤمنين خديجة بما كان يحدث له، ويتحدث معها في حوار مطول عما رآه وعما سمعه، وتبادله هي الحديث مواسية له وتقول له: «**إنك لتصل الرحم، وتعين على نوائب الدهر**» وكل ذلك يؤكد أن الزوجة شريك كامل في الحياة الزوجية، تتحمل المسئولية وتعاون فيها، وعلى الزوج أن يعي ذلك، ويعطي من وقته جزءاً لأهله، كما يعطي جزءاً لعمله وجزءاً لربه، وأن يوازن بين الحقوق والواجبات.

د. **حسن وجيه** خبير التفاوض الدولي والأستاذ بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر يقول: إن للصمت وظائف تكاد تشابه وظائف أفعال القول، ولذلك لابد من دراسة نوع الصمت حتى

يمكن مواجهته وبخاصة أن كثيراً من المتحاورين لا يفهمون هذه الـوظـائف فيقعـون في خطأ سوء الفهم، فمن الممكن أن يكون الصمت للاسترخاء، ومن الممكن أن يكون للسيطرة على الطرف الآخر، وقد يكون الصمت تعبيراً عن الخوف أو الضعف، كما قد يكون نوعاً من العصيان.

ففي أوقات معينة يكون الصمت علامة الرضا.. ولكن في أوقات أخرى يكون دلالة على عدم الرضا.

ولذلك فإن أهم ما نحتاج إليه كي ندفع حالة الصمت إلى حالـة الحـوار هو أن يكون تشخيصنا لوظائف الصمت دقيقاً، فإذا حدث ذلك يمكن أن تولد آليات الخروج من هذا الصمت، فمثلاً يكون الصمت بسبب الخوف من المواجهة، وهذه الحالة تتطلب علاجاً نفسياً.

أما إذا كان الصمت يوظف للسيطرة على الطرف الآخر، فإن المعالجة هنا تتطلب التعرف على نوع الطرف الذي يستخدم هذه الوظيفة، فقد يوظف الرجل الصمت للسيطرة.. ولكن العكس لن يكون مقبولاً.. فإذا وظفت المرأة الصمت للسيطرة على الزوج فإن الأمر يتطلب تحليلاً نفسياً لنعرف هل يستخدم الصمت تعبيراً عن العصيان؟ أم أنه رد فعل تلقائي يعبر عن شراستها؟ فهناك صمت ضعيف، وصمت شرس، كما أن النصائح للزوج من حالة الصمت لا تفيد، لأن الحوار نمط ديناميكي تفاعلي.

د. **سهير عبدالعزيز** رئيسة قسم الاجتماع بجامعة الأزهر ترى أن هناك عدة أسباب عامة وراء هذه الظاهرة، من أبرزها أن امتلاك الشيء يؤدي إلى الزهد فيه، بمعنى أنه قبل الزواج هناك جاذبية معينة لدى كل طرف تجاه الآخر، ولكن بعد الزواج تقل هذه الجاذبية نتيجة لثبات المظهر، حيث يألف الزوج رؤية زوجته، والعكس صحيح.

وهناك سبب آخر يرتبط بالمجتمعات العربية والشرقية وهو أن المرأة تعد الزواج في حد ذاته هدفاً تسعى لتحقيقه، وعندما تحققه يبدأ نوع من الفتور، فهي بعد الزواج تتنازل عن اختيار الملابس والكلمات والأسلوب اللطيف، وتوجه اهتمامها إلى البيت والأولاد مما يؤدي إلى حدوث صدمة للزوج، حيث يشعر أنه أمام صورة مغايرة عن الصورة الأولى التي ارتبط بها، ويشعر بالملل من تكرار هذا المظهر، فيبدأ يهمل في الكلام معها، ويقصر في الثناء عليها. . وعادة ما يبدأ الصمت عندما لا يجد الزوج المظهر الجميل للزوجة، لأنه لو تكلم فسيكون كلامه نقداً، ولذلك فإن الصمت عند الرجل ليس دليلاً على الرضا، وإنما هو أحياناً بديل عن النقد، ولدرء النكد.

كما أن التغلب على الصمت الزوجي في يد كلا الزوجين، فعلى كل طرف أن يراعي حقوق الطرف الآخر، لأن المشكلة تبدأ عندما يتجاهل كل من الطرفين حقوق الآخر. مما سينعكس في النهاية في صورة معاملة غير طيبة.

الدكتور حسن همام الأستاذ بكلية الخدمة الاجتماعية ـ جامعة حلوان يقول: إن الصمت في الأصل كان من سمات الزوجة وخصوصاً في المجتمعات الريفية والبدوية، حيث نجد الزوج هو سيد البيت، وإذا تحدث فهو صاحب الكلمة الأخيرة، والطاعة تكون على الزوجة والأولاد، ولكن مع تطور الحياة، ووصول وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية إلى مختلف المجتمعات تناقصت هذه الصورة تدريجياً، وأصبحنا نرى اليوم أن الزوج هو الذي يتحلى بالصمت في بعض الأحيان.

ولكن سواء أكان الصمت من نصيب الزوج أو الزوجة فإن مواجهته وتمزيقه بالكلام أمر حيوي من أجل بقاء كيان الأسرة، لأن الكلام عنصر من أهم عناصر التفاهم بين الزوجين والأولاد.

إن الاتصال يجب أن يكون ذا اتجاهين، وعلى الزوجين توفير فساحة زمنية لتحقيق هذا الغرض سواء فيما بينهما أو بين الأولاد، لأن الاتصال والكلام يجعلان كل طرف ملماً بمشكلات وظروف الطرف الآخر، وبالتالي يستطيع أن يقدرها ويتفهمها.. ويجب تجاوز أي مشكلة في الحياة الزوجية بحيث لا يتعطل الاتصال.. وإذا حدث أي اختناق فلابد من التغلب عليه في أقصر وقت ممكن كما يرى د. علي زيدان رئيس قسم خدمة الفرد بجامعة حلوان.

يرى الدكتور **سيد صبحي** أستاذ الصحة النفسية بكلية التربية ـ جامعة عين شمس أن الصمت الزوجي يبدأ عندما تحدث الأمور الآتية :

ـ ضغط الظروف الاقتصادية دون وجود حلول بديلة يشترك الزوجان فيها، فقد يكون الصمت هروباً من مواجهة هذه المشكلات .

ـ تناقض الآراء بين الزوجين في أمور الحياة، فيؤثر كل منهما الصمت، وعدم التعرض للمواجهة .

ـ قد يكون الصمت بسبب إخفاء حقيقة معينة، وتصبح لغة الصمت عملية لا شعورية يختفي من خلالها أحد الطرفين .

ـ عدم اهتمام أحد الطرفين بالطرف الآخر، فالكلام وصال لابد من وجوده بين الزوجين، وإذا اختفى قد يفهمه أحد الطرفين على أنه عدم اهتمام، وقد يخضع حالة الصمت إلى التأويل الذي قد يؤدي إلى التوتر، وزعزعة المودة والحب بين الطرفين .

كما أنه من الضروري أن يحدث الكلام بين الطرفين ليحقق التفاعل بينهما حتى لو كان الكلام من قبيل اللغو اللفظي، ولا يعني ذلك أننا ندعو إلى الثرثرة بين الطرفين، ولكننا نؤكد أهمية الحوار، لأن الإنسان بحكم تركيبه النفسي يحتاج لذلك، والكلام أولى درجات الوصال، ومن ثم فإن الصمت يمزق هذا الوصال، ويضيع بهجة العلاقة بين الزوجين، ويحرمهما من طعم العشرة الطيبة .

كيف نجدد مشاعر الحياة الزوجية؟!

إذا تسرب الملل والفتور إلى الحياة الزوجية فلابد من تجديد دم الحياة الزوجية، وتقوية روابط هذه العلاقة الخاصة بين الزوجين. . وكلا الزوجين تقع عليه المسئولية في ذلك، فالمسئولية مشتركة، فكلاهما مطالب باستثارة العواطف النائمة داخل نفسه وداخل شريك حياته، وتنمية مشاعر الود والحب وروابط التفاهم، ويؤكد علماء النفس على الالتزام بخمس نصائح لتجديد مشاعر الحياة الزوجية، وقد جاءت هذه النصائح في تحقيق لإحدى الصحف المحلية وهي كما يلي:

١ ـ **وقت للحوار**: يعتبر الحوار الشخصي أمراً ضرورياً لقيام علاقات وثيقة، ويجب أن يتم الحوار وجهاً لوجه من دون إزعاج من هاتف أو تليفزيون أو مطالعة صحيفة، فمثل هذا الشرود يثير الاستفزاز، ويلقي ظلالاً كئيبة على أية محاولة للتفاهم.

إن تخصيص وقت للحوار يعني استبعاد كل ما يمكن أن يشغل بال الزوجين، ولربما تطلب ذلك انتظار نوم الأطفال، أو الجلوس في غرفة المكتبة وإقفال الباب. . ويجب ألا يقتصر الحوار على الواجهة، بل إن المكالمات التليفونية خلال النهار أو المساء تؤدي دوراً مهماً في التقريب بينهما، وينبغي التأكيد على أن

المكالمات الهاتفية يجب ألا تقتصر على مناقشة الأكلات والهموم، بل تشمل الحرص على ذكر كل المشاعر الطيبة تجاه أمر ما أو أمل معين أو هدف أو خطة للمستقبل

٢ ـ **الرومانسية قولاً وفعلاً**: الرومانسية هي فن تجميل واقع الحياة، ومجالات الرومانسية غير محددة، بل واسعة مثل خيال الإنسان، فإذا كان المستهدف إيجاد علاقة قوية وصادقة فيجب الحرص على إبقاء الرومانسية قائمة بين شريكي العمر، واستخدام الكلمات الناعمة والحلوة وعبارات الثناء من حين الآخر، لأن هذه الكلمات هي عملة الرومانسية، ومن المهم الحرص على كلمات المدح باستمرار، وتبادل مشاعر الحب والإشادة بالصفات الحميدة التي يتحلى بها كل طرف. . وأحياناً لا تكفي الكلمات وحدها في التعبير عن المشاعر، بل يجب أن تكون مقرونة بالأفعال حتى لا تظهر وكأنها رومانسية كاذبة، فاللمسات الرقيقة ضرورية، والهدايا البسيطة والورود والملاطفة يجب أن تكون جزءاً من الحياة اليومية للزوجين، وليس مجرد عواطف مؤقتة تنتهي خلال الأيام الأولى من الزواج. . أو عواطف موسمية في المناسبات الرسمية.

ولاشك أن لجوء الزوجين إلى تغيير نمط حياتهما وتنويعها يحول دون تحول الحياة إلى سنوات من الرتابة والملل، وفي وسع كل طرف أن يتفنن في إيجاد المفاجأة المناسبة لإسعاد الطرف الآخر، وعلى الرغم من أن لحظات التغيير تكون دائماً مؤقتة في مفهومها إلا أن لها تأثيراً إيجابياً كبيراً، كأن يصطحب الزوج زوجته

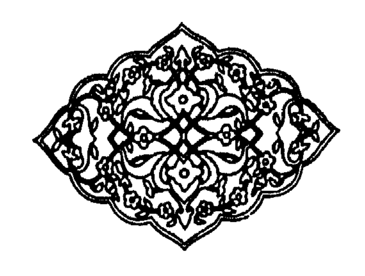
إلى مائدة غداء لم يسبق لها الذهاب إليها وذلك في نهاية الأسبوع أو كل مدة على الأقل.

٣ ـ **تطوير العلاقة**: إن المحاذير التي يجب تجنبها ليست موجودة في العلاقة الزوجية، بل داخل الطرفين، وعندما يتوقع كل منهما من الآخر الاهتمام بتطوير نفسه، فيجب أن يتحقق هذا التطوير كي يظل الاهتمام قائماً، فحضور الدورات التدريبية وتوسيع دائرة الاهتمامات والهوايات يؤديان إلى تنشيط العلاقة، وإدخال الجديد في الحياة، وهكذا يتم فتح آفاق جديدة.

٤ ـ **احتفالات رمزية**: إن المناسبات الزوجية والأسرية مثل الاحتفال بالمولود الجديد، والاحتفال بالتفوق بالنجاح سواء كان للزوج أو الزوجة وكذلك تفوق الأبناء، والاحتفال الرمزي بالشفاء بعد المرض لأحد أفراد الأسرة، كل ذلك يظهر الاهتمام بشريك الحياة، ويعد هذا من الطرق والوسائل الهادفة للتعبير عن الحب والمشاعر، والواقع أن أفضل المناسبات وأعمقها هي تلك التي يوجدها الشريكان خصوصاً أن طرق التعبير متنوعة وواسعة أمام خيال الإنسان.

٥ ـ **فن تقديم الهدايا**: يعد تقديم الهدايا طريقة مهمة للتعبير عن الحب المتبادل بين الزوجين، وهناك ما يسمى بفن تقديم الهدايا، والذي يتوجب على الشريكين إتقانه، وإذا نفذه الشخص بشكل سيىء فيمكن أن يعطي ذلك انطباعاً معاكساً يوحي للطرف

الآخر أنه غير محبوب، والتفكير في تقديم هدية يجب أن يرتبط بكيفية إرضاء من تهدي إليه خصوصاً أن مغزى الهدية معنوي وليس مادياً.



دور الآباء والأمهات في فشل الزواج[١]

لقد أكد العلماء أن حياة الإنسان على الأرض تمثل وحدة متكاملة تبدأ من الطفولة وتنتهي بانتهاء النفس الأخير وانتقال الروح إلى باريها.

ولذلك فإن سلوك الإنسان في أية فترة من فترات العمر سواء كان طفلاً أو مراهقاً أو شاباً أو رجلاً أو كهلاً يرجع كله إلى عهد الطفولة كما يقول الأستاذ يوسف سعد في كتاب «من الخطوبة إلى الزواج» فتربية الطفل الأولى هي التي تلعب دوراً رئيسياً في تشكيل سلوكياته فيما بعد إلا في حالة نادرة الحدوث، وهي أن ينتبه الفرد إلى نواحي النقص في نفسه فيحاول تقويمها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ومن هنا نستطيع القول بأن شقاء الأولاد والبنات في الزواج إنما يرجع السبب فيه إلى آبائهم وأمهاتهم.. لأن الانطباعات التي يتلقاها الطفل في صغره من المحيطين به هي من أقوى العوامل في تكوين شخصيته ونفسيته عندما يكبر.

---

(١) انظر كتاب من الخطوبة إلى الزواج ليوسف سعد ـ طبعة المركز العربي الحديث، وكتاب أمراض الحياة الزوجية للدكتور محمود سامي محمود.

فالابن الذي تتفتح عيناه على أب شرير يعامل زوجته معاملة قاسية كلها جفاء وقسوة وخالية من كل مظهر من مظاهر الحب، ويستعمل معها الألفاظ الجارحة أمام أولادها، فليس هناك من شك أن مثل هذا الابن عندما يكبر سوف يكون نسخة سيئة من أبيه الذي رباه في هذا الجو العكر، وسوف يكون زوجاً سيئاً لا يراعي زوجته ولا أولاده، ويعاملهم بكل قسوة وجفاء.

وكذلك الفتاة التي تنشأ في رعاية أم ساخطة مقهورة أو أم شريرة لا تعرف حقوق الزوج والأولاد ولا تقيم للحياة الزوجية مقامها، ولا تعرف منها إلا العذاب والبؤس والتكشير والنكد فإن هذه الفتاة ستصبح نسخة رديئة من أمها، لا تعرف حقوقاً ولا واجبات، وبالتالي لا تصلح أن تكون زوجة يتم بها السكن والرحمة والمودة التي هي أسمى مقاصد الزواج، ولا تستطيع هذه الأم أن تنشىء أجيالاً صالحين على خلق ينفعون أنفسهم ومجتمعهم، بل على العكس تنجب جيلاً لاهياً يعاني من الكثير من اللامبالاة والعقد النفسية والسلوك الخاطىء الذي يضره ويضر أسرته ومجتمعه بأكمله.

ولهذا فإن كل أب وكل أم يلعب دوراً هاماً ورئيسياً في سعادة أبنائهم أو بناتهم الزوجية مستقبلاً أو في شقائهم.

فدور الأب والأم دور خطير، ويبدأ منذ الطفولة..

إلا أن المهمة التي تقع على والدي الشاب أيسر وأسهل من مهمة والدي الفتاة، لأن المجتمع الذي نعيش فيه يلقي بفشل الزواج على الزوجة بالدرجة الأولى.

ولكن على والدي الشاب أن يكونا أول من ينبه الشاب إلى أنه أصبح في سن الزواج بدلاً من أن يتنبه هو من تلقاء نفسه أو أن يقوم الغير بتنبيهه.

ومن الواجب على الآباء القيام بمساعدة الابن في اختيار شريكة حياته ولكن هذا يكون بالنصح والإقناع وليس بفرض شريكة حياته عليه فرضاً دون أن يوافق أو يبدي رأيه فيها..

أما إذا كان الشاب قد اختار بنفسه فيكون من واجبهم أن يعيدوا النظر في الاختيار، على أن يتجردوا من نواحي الأنانية، والقرابة، وحب السيطرة، فإن وجدوا أن ابنهما أخطأ في الاختيار فعليهما التوجيه والنصح في رفق وليونة، وأن يبتعدا عن أسلوب التجريح، وفرض الرأي والمشورة دون إقناع، كما يجب أن يبتعدا عن أسلوب اللوم الموجه وكأنه طفل صغير.

ويخطىء الآباء حينما يتحرجون ويمتنعون عن إعطاء الأبناء الجرعة الكافية والمناسبة عن الجنس، فإن هذا الأمر مهم جداً حتى نجدهم يتخبطون ويدخلون في متاهات وممارسات خاطئة نتيجة جهلهم بهذا الجانب الحيوي في حياتهم.

أما آباء الفتيات فيتحملون العبء الأكبر، لأن الفتاة تحتاج إلى زيادة الـرعاية والاهتمام.. فنجد نتيجة للتسرع وعدم تحري الـدقة اللازمة عن الشاب المتقدم للزواج من حيث دينه وأخلاقه ومركزه الاجتماعي وسمعته بين الناس.. نتيجة لهذا الخطأ الفادح من الآباء نجد الفتيات يقعن فريسة لزوج مدمن أو سيىء الأخلاق والطباع، أو شاذ السلوك، فتذوق الأمرين من العيش معه، وتنتهي حياتها بالفشل الذريع مع ما يصيبها من أزمات نفسية واكتئاب، وما يلحق بها من ضرر اجتماعي ومعنوي، بل وجسدي في أغلب الأحيان.

كما أن دور الأم في حياة ابنتها كبير، نتيجة لارتباطها بها منذ الصغر، وملازمتها لها، فالأم الفاشلة في حياتها الزوجية تلقن ابنتها دروساً - دون قصـد - في النكـد والفشـل الأسري نتيجة الأقوال والسلوك الذي تشاهده وتعايشه في كل لحظة.

فالأم تمسـك بيدهـا عبقرية البناء.. ولهذا خصها الإسلام بحضانة الأولاد.. هذا إذا كانت امرأة سوية خلوقة دينه ذات أصل طيب وسلوك قويم.

وتكـون الأم كذلك معول هدم لحياة أبنائها وبناتها إذا هي خرجت عن الفـطرة التي فطرهـا الله عليهـا من أنهـا منبع للحب والحنان، وعامل أساسي وجوهري في سعادة الأسرة، ولم شملهم، وتلقينهم الأخلاق القويمة والسلوك السوي، لأنها ملازمة لأولادها

أكثر من الرجل، فأصبحت مصدر شقاء وتعاسة الأسرة والأولاد، ومصنعاً للنكد وهجر المنزل سواء للزوج أو الأبناء.

إن فشل العلاقة الزوجية لا يعني بالضرورة انفصال الزوجين، ولكن الفشل يمكن أن يعني أن جو البيت لم يعد سعيداً أو مستقراً، وأن حبل الخلافات لا ينقطع.. هذا الجو الأسري يعد بمثابة أرض لا تنتج إلا أسوأ الثمار.

وتثبت جميع البحوث أن معظم الأطفال الذين يعانون من عقد نفسية، بل إن معظم البالغين من الشباب الذين يقدمون على ارتكاب جرائم في حق أنفسهم وفي حق المجتمع هم جميعاً نشأوا في بيوت تكثر فيها الاحتكاكات والمشاكل الزوجية.

فانحراف الأبناء واتخاذهم سلوكاً غير قويم هو انعكاس لحالة عدم الاستقرار والاضطراب التي تسود أسراً عديدة، وهذا الخلل هو بدوره انعكاس لما أصاب المجتمع ككل.. فالأسرة هي نواة كل مجتمع.. وهناك دائرة حية تجمع كليهما بحلقة من التأثير والتلقي.. فالأسرة والمجتمع كلاهما مرآة للآخر كما يقول د. سامي محمود في كتاب «أمراض الحياة الزوجية».

إن فشل الزوجين في السيطرة على انفعالهما وثورتهما أمام الأبناء ينعكس على سلوكياتهم وشخصياتهم، فيشبون وهم يعانون من عقد نفسية، أو قد يصيبهم الانحراف فيسلكون طريق الجريمة أو يسقطون في هاوية الانحراف الخلقي والإجرامي.

د. **أحمد عكاشة** أستاذ الطب النفسي يرى أن أهم أسباب الانحراف الخلقي والإجرامي هو مزيج من الوراثة وظروف أسرية صعبة بغياب صورة الأب والأم القدوة، فالطفل ما هو إلا ترمومتر دقيق يسجل بحساسية شديدة مشاعر والديه.. والطلاق الرسمي قد يكون أفضل للأبناء إذا اتفق الوالدان أكثر من الطلاق العاطفي الذي يجمع الوالدين في بيت واحد، ولكن في مشاجرات وتهديدات متبادلة مما يزلزل نفسية الأبناء، ويصيبهم بكثير من الأمراض النفسية، ومشكلة الطلاق تعني أن العلاقة الزوجية قد فشلت ووصلت إلى طريق مسدود، ويعد الطلاق آخر الحلول لإنهاء هذه العلاقة المتصدعة الجوانب والبنيان.. ولمشكلة الطلاق عوامل وأسباب متعددة منها ما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية وأساليب التربية الخاطئة التي أصبح مردودها يظهر في قسمات هذه الشخصية وهي: «الشخصية الاعتمادية سواء من قبل الزوج أو الزوجة».

ومن سمات هذه الشخصية المعتمدة عدم القدرة على ضبط النفس، التواكل، تغير المزاج، عدم تحديد الأهداف، البعد عن الواقعية، الميل إلى التواكل والدعة، عدم تحمل المسئولية، عدم التحكم في الذات، عدم قبول النقد، وينبني على ذلك عدم بناء الثقة بين الزوج وزوجته مما يؤدي بالحياة الزوجية للدمار.

إن السبب يكمن في التنشئة الاجتماعية والتربية منذ الصغر، فنوعية الأساليب التي يستخدمها الأبوان في التربية ذات أثر في

الشخصية. . إن ما نشاهده من التدليل، وتحقيق رغبات الابن دون تكليفه بأية مسئولية يقوم بها وتتناسب مع عمره، كما أن التهاون عند ارتكابه سلوكاً غير سليم أو غير محمود، بل وتشجيعه أو الدفاع عن مسلكه وتصرفاته أمام الآخرين، كل ذلك يجعله يستمر في هذا الأسلوب من التعامل، ويصبح من قبيل الخبرة الخاصة والتجربة الذاتية.

كما أن إحاطة الابن بحماية زائدة بحيث يمكن أن يقوم أحد الوالدين بعمل الواجبات والمسؤوليات نيابة عنه دون أن يتدرب عليها ولا يتدرب على تكوين شخصية مستقلة (استقلالية) كل ذلك لا يعطي للفرد فرصة التفكير الجيد، والتصرف في الأمور بروية، ووضع البدائل واختيار المناسب منها، حتى في اختيار الملابس والأصدقاء يجد من يحدده له، فهو لا رأي له ولا إرادة.

في الوقت نفسه قد يهمل ويترك الابن دون توجيه من أحد أو إرشاد له لما يجب أن يفعله ومالا يجب القرب منه.

وقد يتذبذب الوالدان في استخدام أساليب الثواب والعقاب ووقتها وموضوعها وشدتها وجدواها وكيفيتها.

وبهذا تتكون الشخصية الاتكالية، وحين تواجه الحياة الزوجية بما تتطلبه من تحمل للمسئولية، وما تستدعيه من استقلالية تفشل لأول وهلة، ويحدث عدم الانسجام وعدم التوافق مما يؤدي لاستحالة العشرة فيحدث الطلاق.

التباين الثقافي

إن التخلخل في الثقافة الأسرية في بعض فئات المجتمع يكون لدى بعض الأسر التي قد تمتع فيها أحد الزوجين بقسط أكبر من التعليم والآخر إما أنه يلهث ليلحق به، أو توقف تماماً لعدم قدرته على المواصلة فينقطع حبل التواصل الثقافي بينه وبين زوجه نتيجة الاختلاف في أساليب التفكير، وصراع العادات، وتباين السلوك، وكأن الشهادة العلمية باعث على التعالي والتسلط والعنف والتعسف والاستعلاء، وما يصاحب ذلك من مظاهر نفسية واجتماعية ذات تأثير سالب في الحياة الزوجية، فينعدم مع ذلك السكن والرحمة والمودة مما يؤدي إلى فصم العلاقة الفعالة في التكوين الفكري، ومن ثم الوجداني وأخيراً الاجتماعي ـ كما يقول الاستاذ مندل **عبدالله القباع** في أحد مقالاته بالصحف المحلية ـ إن مستوى فهم الزوجين والتفاهم القائم بينهما هو الذي يولد العلاقات التي لها تأثير مباشر في التكيف الواعي والاستقرار النفسي، وبالتالي فهو أساس التعامل الاجتماعي داخل الأسرة وخارجها، وذو تأثير أيضاً في مشكلات السلوك بصورة عامة، والتي تتمثل أحياناً في المعاملة غير السوية من قبل أحد الزوجين للآخر، أو خروج الزوج من المنزل، وسهره مع أصدقائه الذين يفهمهم ويفهمونه، أو التشدد والمحاسبة من أحد الزوجين للآخر أمام الأهل أو الضيوف . . أو

الرفض لرأي الآخر لمجرد الرفض. . وما نقرؤه يومياً من مآس في الصحف نتيجة هذه التنشئة الاجتماعية الخاطئة التي تخرج لنا زوجاً أنانياً لا يهمه أسرته ولا سعادتها. . أو زوجة مهملة تهمل زوجها وأولادها، أو تتجسس على زوجها مما يهدم سعادتها، ويبعث الملل في نفس زوجها منها، كل ذلك ما هو إلا نماذج حقيقية لهذه التنشئة الاجتماعية غير السوية.

ونعرض في السطور التالية لنماذج واقعية من خلال ما نشر في بعض الصحف المحلية مؤخراً:

فهذه زوجة راتبها كبير، ولها ثلاث بنات، وزوجها يأخذ منها كل راتبها ولا يعيطها إلا مصروفاً شهرياً لا يرقى إلى راتب الشغالة. . وإذا طلبت الراتب هددها بالطلاق والحرمان من بناتها، ويتحول إلى وحش كاسر كل همه أن يأخذ الراتب منها دون مراعاة لأسرته وسعادتها، علماً بأنه يأخذ من عمله راتباً كبيراً.

وهذه **أخصائية اجتماعية** ترى أن هذه المشكلة لا ينبغي قياسها أو فك رموزها ووضع الحلول لها إلا بمعرفة التاريخ التطوري لحالة هذا الزوج والنمو الاجتماعي له.

فمعروف أنه لا يستوي من عاش سعيداً في طفولته مع من عاش شقياً بائساً، فالطفولة التي تترعرع بين أحضان الأسرة تخضع في جوهرها للعلاقات القائمة بين الطفل وإخوته ووالديه وأقاربه، وبالتالي تؤثر هذه العلاقات في شخصيته في المستقبل، وفي درجة

ارتباطه بالبيئة التي يعيش فيها، وهكذا يتأثر الفرد في سلوكه الاجتماعي بخبرات طفولته الماضية، فالطفل المنبوذ في طفولته يميل إلى المشاجرة والخصومة، والاستئثار بأشياء الآخرين مما يؤدي به إلى الطمع في حقوق الغير كمحاولة لجذب الانتباه.

كما أن الجو المضطرب يسيء إلى نموالفرد، ويتجه به نحو الشذوذ والتعصب الشديد لآرائه، مما يبعده عن صداقته لأبنائه وزوجته.. ويقيم بينه وبينهم الحدود والحواجز التي تحول دون فهمه لأفراد أسرته، مما يساعد في إقامة حاجز نفسي رهيب بينهم.. وتدريجياً تساهم هذه العوامل في تكريس الميل إلى الانتقام أو بغض الناس، ومن ثم يصبح الفرد مريضاً يعيش حياته تحت وطأة الصراع الحاد، وأخيراً تفكك الأسرة، فطمع هذا الزوج يبدو أنه وليد نشأة طفولية غير سوية، وعليه العودة إلى صوابه رفقاً ببناته وزوجته التي تطلب رضاه حتى لا تعاني بناته من نفس ما عانى منه.

فهل إذا كان هذا الزوج في مكان زوجته هل يقبل أن يأخذ منه أقرب المقربين راتبه وتبعه؟!

الشيخ عبدالله بن ناصر السليمان قاضي محكمة الأنكحة والضمان يرى أنه ليس من حق الزوج أخذ راتب زوجته إلا برضا كامل منها، وأخذه للراتب دون رضاها ظلم وحرام، ولها الحق شرعاً في أن ترفض إعطاءه مرتبها، ولا يجوز له تهديدها بالطلاق. ولو لجأت للقضاء فسوف ينصفها ويعطيها حقها في راتبها.

وتسطر سيدة قصتها مع زوجها وأولادها فتقول: «منذ أكثر من عشر سنوات تزوجت ورزقني الله بثلاثة أبناء هم كل حياتي وسعادتي، ولكن سعادتي لم تكتمل، حيث لاحظت عدم اهتمام زوجي بأمور وشئون المنزل، وابتعاده عن أبنائه تاركاً عبء التربية علي وحدي، وحاولت أن أشركه ولكن بلا جدوى، حيث تحجج بأعماله، وكبر الأولاد، وأصبحت في حاجة ماسة إلى رجل يوجههم ويرشدهم ويضعهم على الطريق الصحيح، وكان شقيقي هو الرجل الذي استعنت به مما أثار غضب الأبناء واستياءهم وجعلهم يتساءلون أين والدنا؟ ولماذا لا يوجهنا بنفسه؟!

ويرى د. **محمد البغدادي** الأستاذ المشارك بقسم الدراسات بجامعة الملك سعود أن الكثير من الآباء يعتقدون أن دورهم يقتصر فقط على إشباع الأسرة مادياً وترك باقي المسئوليات على الزوجة، وهم غير مدركين أن ذلك يخرج أبناء مفككين أسرياً واجتماعياً، وتنقصهم الكثير من التوجيهات والإرشادات الأبوية الهامة، فإذا كان للأم دور معين في تربية الأبناء فإن الدور الأكبر يكون للأب، وخصوصاً في المراحل العمرية الأولى، حيث يحتاج الأبناء لخبرة الأب وتوجيهاته التربوية.

إلا أنه يُلاحظ في هذه المشكلة «ما يسمى بعوامل الطرد» التي جعلت الأب مشغولاً بهذه الصورة، وعلى الأم أن تبحث عنها وتعمل على إزالتها حتى تخلق علاقة حميمة بين الأب وأولاده، وأن تتأكد الأم من صدق وحقيقة الأعمال التي يعتبرها الأب السبب

الرئيسي في ابتعاده عن المنزل، فربما يكون مشغولاً بالعمل فعلاً، وهنا يمكن أن ترتب له وقته، أما إذا كان مشغولاً بأصدقائه فعليها أن تبحث عن طريقة جذابة وليست مُنفِّرة تستطيع بها أن تعيد الزوج إلى المنـزل والأولاد، وعليها أن تتجنب الثرثرة والإلحاح حتى لا يتمادى الزوج في ابتعاده.

إن مشاعر الشك والتجسس التي توجهها الزوجة إلى زوجها ومحاسبته ومراقبته ما هي إلا نتيجة خطأ ما في التنشئة الاجتماعية لها.. ونتيجة لهذه الممارسات التي تدمر أعصاب الزوجة، وتثير الوساوس لديها باستمرار فإن هذه المشاعر تفقد الزوجة الإحساس بالاستقرار الزوجي.

كما أن هذه المشاعر والممارسات تضيق الخناق على الزوج، ويضيق بهذه الزوجة المتجسسة التي تتفنن في الوسائل، ويصل الأمر إلى الخلافات الزوجية، وتكون سبباً في الطلاق.

وتقول د. عايدة عبدالفتاح أستاذ علم الاجتماع في تحقيق نشر في جريدة الندوة اليومية: إن المجتمع كله مسئول عن إصابة الابنة بهذه العيوب الخطيرة، فإن أسلوب التنشئة منذ الصغر، وعدم القدرة على المناقشة والحوار سواء بين الأم وابنتها، أو الأب وابنه، أو المدرس والتلميذ، وأيضا مناقشة الزوجة لزوجها كل هذه الأمور تجعل الشخصية ضعيفة تلجأ إلى التجسس والتلصص وغير ذلك من العادات السيئة.

هذا إلى جانب إحساس الفتاة بأنها محرومة من الأشياء التي يتمتع بها الذكور الأمر الذي يولد لديها باستمرار التجسس ومشاعر حب الاستطلاع لمعرفة أسرار الآخرين.

إن هذه العادة تظهر بصورة واضحة في الأسر التي تقسو على الطفل كثيراً فتجعله يعاني من مشاعر الكبت وعدم التنفيس عن رغباته وآرائه، فهذا يساعد على فقدان الثقة في النفس والخنوع وعدم القدرة على المواجهة. وبالتالي يلجأ إلى التجسس، ولذلك يجب توعية الأمهات بأساليب التربية الحديثة السليمة التي تدعم مشاعر الحب والود والثقة في النفس، ويلزم توعية الفتيات المقبلات على الزواج حتى لا تفاجأ الفتاة بحياة جديدة لا تعلم عنها شيئاً، وضرورة التوعية بحقوق الزوج، وكيفية الحفاظ والحرص على عش الزوجية كما أوصانا ديننا الحنيف.

وعن دور الطب النفسي يقول د. أشرف حسين الشعراوي أخصائي الطب النفسي: إن هذه الحالة تدخل في نطاق الشخصية المرضية التي تحتاج إلى العلاج النفسي والجماعي الذي يتطلب من الزوج مراعاة حالة زوجته حتى يمكن إعادة الثقة لها.

كما أن بعض الأزواج مسئولون عن هذه الحالة للزوجة، فالزوج قد يوحي للزوجة بأن هناك شيئاً ما يخفيه عنها سواء في علاقته بأهله أو علاقاته بالعمل مما يدفع الزوجة إلى الشك والتجسس، ويكون هو السبب الرئيسي في حالتها المرضية، وفي مثل هذه الحالة يحتاج الزوج إلى علاج قبل الزوجة. وأضاف إنه

يجب أن يتربى الإنسان منذ صغره على أن هناك ما يسمى «بالخصوصية» التي يحرم الاقتراب منها، سواء ماضيه أو علاقاته بأهله أو غيرها من المسائل الخاصة جداً.

ولكن المفهوم الخاطىء أنه بمجرد الزواج فإن الزوج يصبح حقاً مشاعاً للزوجة.. وقد ينال الرجل بحكم المجتمع والعادات جانباً من الخصوصية، ولكن الزوجة ليس من حقها أي خصوصية على الإطلاق.

إن وجود قدر من الخصوصية والثقة المتبادلة من الطرفين يجعل هناك إحساساً بالأمان، ويمحو مشاعر الشك، وبالتالي تقل عادة التجسس خصوصاً من الزوجة التي تتسم بمشاعر الغيرة أكثر من الزوج.

إن الشخصية التي تعاني من مرض فقدان الثقة في النفس أو في الآخرين هي التي تمارس هواية التجسس، وفي مثل هذه الحالات يجب إبراز الجانب الجمالي في حياتها، وإحساسها بالأمان والطمأنينة حتى يمكن السيطرة والحد من مشاعر فقدان الثقة، وضرورة البحث عن الجوانب الأخرى التي تظهر الشخصية الضعيفة المهزوزة.

كما يرى الدكتور عبدالمنعم نجم أستاذ الحديث الشريف وعلومه بجامعة الأزهر أن الصراحة الزائدة من جانب الزوج أو الزوجة خصوصاً في الأمور التي لا تهم الحياة الزوجية كمثل أن

تروي الزوجة لزوجها عن خطابها ومن طلبوا الاقتران بها قبل زواجه منها، أو يحكي الزوج عن حبه القديم أو إعجابه الشديد «بفلانة» وغيرها، كل هذه الأمور تساعد على إثارة مشاعر الشك في النفوس وهذا ما نهانا عنه الإسلام.. حتى تسعد الأسرة بحياة مستقرة في ظل رعاية مشاعر الآخرين.

ويروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه جاءته امرأة تشكو له زوجها الذي طلقها، فسألها أمير المؤمنين لماذا؟، فأجابت سألني زوجي عن رأيي فيه، هل هو جميل؟ فقلت له: والله إنك أقبح من رأت عيناني من الرجال فطلقني، فقال لها عمر غاضباً: كيف يا امرأة؟ فقالت له: أأكذب يا أمير المؤمنين عليه، فقال لها: قولي له أنت أجمل من رأيت».

كما أن أغلب الأزاج يكتشف عيوب الطرف الآخر بعد الزواج، وربما يتكيف معها أو يحاول أحد الطرفين التخلص مما يراه الآخر عيباً فيه حتى تنجح الحياة الزوجية.

إلا أن هناك عيوباً يصعب إصلاحها، وتؤدي إلى تعكير صفو الحياة الزوجية، ومن هذه العيوب الإهمال من جانب الزوجة الذي يؤدي إلى حالة كره شديد من جانب الزوج لبيت الزوجية، ويؤدي إلى الانفصال والطلاق بعد تأزم الحالة.

وعن ذلك يقول د. **عادل صادق** أستاذ علم النفس: إن الإهمال تكوين مرتبط بالتنشئة الاجتماعية،ومعناه غياب الاهتمام

.. الهدف الحماسي .. التقاعد واللامبالاة .. فقدان القيمة للشيء.

فالآباء غير المبالين ينجبون أطفالاً مهملين أيضاً .. وغالباً ما تكون الزوجة المهملة رداً على فعل الزوج الفوضوي المهمل أو العدواني داخل بيته.

وحالات الإهمال تظهر بوضوح عندما تشتد الخلافات الزوجية ليصبح الزواج في مهب الريح .. الزوجة المهملة تقول: أنا لم أعد أهتم بهذه الأسرة وبهذا الزوج، وهذا يعكس عطباً وخللاً داخلياً في البيت في العلاقة وأقرب إلى الانسحاب من الحياة.

وأيضا د. يسري عبدالمحسن أستاذ الطب النفسي يرى أن الاهمال سمة مكتسبة، وصفة يمكن علاجها، وكلما كان العلاج مبكراً كان أفضل للشخصية قبل أن تتبلور وتكتمل .. ولكن إذا استمر الإهمال بعد سن النضج (الثلاثين) يصبح العلاج صعباً .. فالزوجة المهملة هي نتاج لتربيتها وتنشئتها التي أورثتها روح الإهمال واللامبالاة، وهي ليست دائماً مرفوضة ..

ومن الأفضل أن يكون هناك توافق ولو من الزوجين في ذلك، فإذا كان الرجل منظماً دقيقاً فعليه أن يختار من توافقه في هذه الصفة.

وعلمـاء النفس يرون أن الإسـراف في عمليات التنـظيم والتـرتيب يمكن أن يكـون مرضـاً، وهـو ما تتصف به الشخصية الـوسواسية، فالإهمال إذا زاد عن حده كان سمة غير مرغوبة في الشخصية وكذلك النظام الزائد عن الحد.

وبهذا يتضح لنا الدور الخطير الذي تلعبه التنشئة الاجتماعية منذ الصغر في نجاح أو فشل الـزواج، وما للآباء والأمهات من تأثير حيوي وقوي في بناء شخصية الأبناء..

ويشير لذلـك د. أدمـونـد برجلر في كتـابه «الزواج التعس والطلاق» ويقول: «إن جذور الفشل في الحياة الزوجية تمتد إلى الـوراء، إلى عهـد الـطفولة للزوجين، حيث استقرت في النفس بطريقة لا شعورية، وأنتجت هذه الصورة لمسلك عصابي، وأفضى الأمر إلى اختيار عصابي لشريك الزواج».

إن فشل التكيف والتعايش بين الزوجين يرجع إلى أنهما عاشا في بيئة منزلية غير سوية، أو كانت لهما طفولة شقية.

وبناء على قاعدة «من أفسد شيئاً عليه إصلاحه» يجب على الوالدين التدخل المباشر حين استشعارهما ببداية أي مشكلة تطرأ على حياة الابن أو الابنة لإصلاح ذات البين حتى لا تتفاقم الأمور إلى مالا تحمد عقباه.. وتوجيه كل منهما بطبيعة الحياة الجديدة ومتطلباتها، والدور المنوط بكل من الزوجين، والتعريف بالحقوق والواجبات، والحفاظ على الأدوار والمراكز.

وإن كان من الأفضل ومن الأجدى أن يبدأ دور الآباء والأمهات قبل بدء الحياة الزوجية للأبناء وقبل وقوع المشاكل انطلاقاً من قاعدة: «الوقاية خير من العلاج» وذلك بإعدادهم وتثقيفهم الثقافة الأسرية اللازمة لبدء مرحلة جديدة في السلوك والتعامل والتفاهم لحماية سفينة الحياة الزوجية من أي رياح عاتية، بل واستمرارها ونجاحها حتى تصل لبر الأمان والسعادة كما يقول الأستاذ مندل عبدالله القباع في أحد مقالاته الاسبوعية.

إلا أن تدخل الآباء والأمهات لا يتم بهذه الصورة في جميع الأحوال، بل على العكس يكون تدخل الآباء والأمهات سبباً في سيل عارم من المشاكل والخلافات، بل واستفحال الصغائر، وتعقيد الأمور حتى تنتهي الحياة الزوجية نهاية تعيسة، ويكون تدخل الآباء والأمهات ابتداء من مرحلة الاختيار، ومحاولة فرضهم زوجة ما على ابنهم أو زوجاً معيناً على ابنتهم بدون أخذ الرأي أو الإقناع بهذا الاختيار الذي يفرض على الأبناء فرضاً، بل يكون قهراً، ويرضخ الأبناء لهذا الاختيار، ثم يعيشون في سلسلة من التعاسة والآلام والمشاكل تنتهي بالفشل والانهيار.

كما أن تدخل الآباء والأمهات يمتد إلى الحياة الزوجية للأبناء بمحاولة التدخل في كل كبيرة وصغيرة في حياتهما، وينتج عن هذا سوء تفاهم، ويخلق توتراً بين الزوجين، فيحاول أهل الزوج تلقينه بمجموعة من النصائح في أسلوب التعامل مع الزوجة حتى يحجمها منذ البداية، ويكون هو السيد الآمر الناهي، وما عليها إلا

السمع والطاعة بدون أن تفتح فمها بأي كلمة أو استفسار، وفي الحقيقة أن هذه لم تكن نصائح، بل هي بذور لخلق التوتر والقلق بين الزوجين حتى تتسع هوة التباعد والخلاف بينهما يوماً بعد يوم بدلاً من زيادة التفاهم والتقارب بينهما بمرور الوقت.

أما أهل الزوجة وبخاصة أمها فتبدأ في تلقينها فنون المعاملة مع الزوج حتى تستطيع فرض دلالها وسيطرتها عليه ولا يفعل شيئاً إلا بإذنها، بل قد يزيد الأمر إلى تلقينها أساليب الدلال، بل وافتعال الخلافات حتى يغدق عليها الكثير من الهدايا والعناية والاهتمام. بل وقد يمتد هذا الأمر وهذه الفنون لتمس أهل الزوج، فتحاول مستميتة أن تقتلعه من أسرته الكبيرة وأهله، وتبعده عن أقاربه، ونادراً ما تنجح هذه الوصايا في تحقيق المراد، بل إنها في معظم الأحوال تكون معول هدم لحياة الابنة، وتنتهي بالفشل والطلاق.

وفي مثل هذه الحالات الموجودة بالفعل في الواقع نجد أن الآباء والأمهات إنما يمدون أبناءهم وبناتهم بأسلحة فتاكة، ويعدونهم وكأنهم يدخلون معركة حامية، المنتصر والفائز فيها هو الذي يفرض نفسه وسيطرته على الآخر، ويستعمل أسلحته بكل دقة حتى يحقق أمله.

والحقيقة أن هذه المعركة ليس فيها فائز، بل الجميع الزوجان وأهلهما خاسرون، وبدلاً من بناء حياة جديدة يهنأ بها الزوجان في جو من التفاهم والود والرحمة، ويسعد بها الأهل بنجاح هذه الحياة وما تثمر عنه من أطفال يكونون مصدر سعادة الزوجين والأجداد..

يكون تدخل الأهل السافر في كل صغيرة وكبيرة، ولضرورة ولغير ضرورة، وفي كل شيء، وفرض وصياتهم على الزوجين مصدراً وسبباً أساسياً في سيل من المشاكل والخلافات وخراب البيوت.

ومـا نشـاهده من تدخل الأهل في أمر الابن بطلاق زوجته لسبب ما إما لأنه اختارها دون موافقتهم، أو رغبة منهم في تزويجه بأخرى، أو إمعاناً في إذلالها وكسر نفسها، أو لأنها أنجبت البنات دون البنين على الرغم من أن الابن يكون راضياً بزوجته وحياته. فبذلك يقلبون حياته رأساً على عقب، وفي معظم الأحيان يرضخ الابن لرغبة والديه، ويطلق زوجته.



لا تطلق زوجتك المستقيمة لرغبة أمك!!

إن ما نسمعه كثيراً من المآسي والقصص المحزنة لدليل واضح على تدخل الأهل في حياة أبنائهم بصورة غير سوية، ويكون نتيجتها خراب البيوت، وفض شمل الأسرة.

فهذا رجل يحكي مأساته ويريد معرفة رأي الدين فيها؟!

يقول: «تزوجت امرأة وأنجبت منها أولاداً، ثم طالبت والدتي بطلاق زوجتي دون سبب أو عيب في دينها، بل لحاجة شخصية، وحاولت أختها وبعض أهل الخير إقناعها بترك هذا الأمر، فلم تقتنع إلا بطلاقها، وخرجت من البيت وسكنت مع إحدى بناتها، فوقعت في حرج من خروجها لكن زوجتي غالية عندي ولم أعرف منها إلا الخير فماذا أصنع؟!

ويجيب فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين قائلاً: «إذا كانت زوجتك مستقيمة، وتحبها وغالية عندك، ولم تسيء إلى أمك، وإنما كرهتها لحاجة شخصية فأمسك زوجتك وأبقِ على الحياة الزوجية معها، فلا يلزمك طلاقها طاعة لأمك؛ لما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام في الصحيحين أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**» وعليك أن تبرأمك، وتصلها بزيارتها، والتلطف معها، والإنفاق عليها، ومواساتها بما تحتاجه وينشرح به صدرها ويرضيها.

وهذه معذبة أخرى تقول: «أنا امرأة أبلغ من العمر **٢٣** عاماً تزوجت برجل له زوجة قبلي وعنده أولاد، وكان هناك سبب رئيسي لإيذائي من والديه، وفي يوم طلبته أن أزور أهلي في أيام عيد الأضحى، فأخذ والد الزوج يهددني ويحذر ولده بألا يرسلني إلى أهلي إلا بعد سبع سنوات، ولكنني أصررت على الذهاب وبعد عدة أيام رجعت معه إلى أهله، وبعد أسبوع أخذت أم الزوج تهددني في غرفتي وأنا أصلي المغرب، وأخذت تتكلم معي بأسلوب غير لائق، وزوجي كان حاضراً فلما قلت له: انظر إلى أمك ماذا تقول قال: لست زوجتي ولا أنت في ذمتي، وهذا الزوج لم يعلم عن تعدد الزوجات أي شيء، وذهبت إلى بيت والدي وبقيت به أكثر من سنة ونصف السنة، ولم يأت الزوج ولم يطلق سراحي».

ويقول فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز: إن الإيذاء الواقع من أهل الزوج على الزوجة إذا لم يكن له سبب شرعي فهو حرام عليهم، وهم في ذلك آثمون لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغيرما اكتسبوا فقد احتملوا بهاتاً وإثماً مبيناً**﴾[1] وإني أعلم من الناس من إذا وجد لزوجة ابنه منزلة رفيعة فإنه يغار ويحسد هذه الزوجة، ويحاول أن يكدر صفوها، ويفرق بينها وبين الابن، وهذا يقع كثيراً بين الأمهات وبين زوجات أبنائهن، ولاشك أن هذا من الشيطان، وكان من اللائق عقلاً وديناً منهما إذا رأيا أن

(١) الآية ٥٨ من سورة الأحزاب.

لزوجة ابنهما منزلة رفيعة عنده أن يفرحا بذلك ويسرا به، لأن هذا يعني سعادة زوجته، ولكن الشيطان يأتي إلى الأبوين عن طريق الحسد فيحاولان التفريق بينهما.

والواجب على الوالدين الكف عن الأذية، أما بالنسبة للزوج فإن كان راغباً في زوجته، وراضياً عنها فإنه لا يلزمه طاعة والديه في فراقها وطلاقها حتى ولو غضبا عليه لعدم طلاقها، فإن الإثم عليهما وليس عليه شيء.. وعليه إذا رأى أن الأمور لا تستقيم أن يخرج بزوجته في منزل وحدها حتى تستقر الأوضاع، ويعاشر زوجته بالمعروف.

أما كون هذه الزوجة باقية في منزل والدها فإنها إن كانت ترغب أن يبحث الوضع مع الزوج ويقال: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان فلها الحق في ذلك، وإلا بقيت حتى يقضي الله في أمرهما ما شاء.

وهذه أم تحكي مأساة ابنتها حيث رفض الأب عودة ابنته إلى بيتها عقب أول مشكلة حدثت بينها وبين زوجها، وأصر الأب وتعنت في ترك الأبناء لأبيهم.

يقول د. محمد نبيل عبدالحميد أستاذ علم النفس: إن غياب دور الأب يؤثر كثيراً على حياة الأسرة نفسياً واجتماعياً، ويلعب مع الأم دوراً هاماً في عملية التنشئة الاجتماعية وحماية الأسرة من النتائج السلبية لأي مشكلة طارئة.. وكلما كان الأب أكثر

تفهماً ووعياً لمشاكل الأسـرة وقريبـاً من ابنته يستمع لها وينصحها ويرشـدهـا دون أن يترك هذا الدور للأم وحدها، كان من السهل احتـواء أي مشكلة زوجية تتعـرض لها ابنته. ولكن للأسف هناك بعض الآباء الذين لا ينتبهون كثيراً إلى أهمية الدور الاجتماعي، وخصوصاً فيما يتعلق بمشاكل البنات. وقد تقوم الأم بدور كبير في احتـواء مثـل هذه المشــاكل، ولكنهـا عندما تصل للأب يفاجأ الجميع بالتسلط، وعدم التفهم، وسرعة اتخاذ القرار الذي قد يضر بالفتاة وأبنائها، فرغم خطورة الطلاق وآثاره السلبية الضارة نلاحظ عدم إدراك الآباء لهذه الخطـورة، فتكون النتيجة ضياع الزوجة، وإدخالها في متاهات فراق أبنائها.

ولذا فيجب على الآباء أن يعلموا أن الله لم يخلق الإنسان سدى، بل خلقه ليعبده أولاً، ثم ليكون خليفته في الأرض يعمر فيها ويبث العادات والتقاليد الحميدة، ويبعد عما يجلب له الضر والمصائب أو المشاكل.

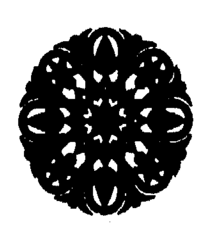
فلماذا يتعجل الآباء؟ ولماذا لا يتعاملون مع مشاكل بناتهم الزوجية بنوع من المرونة التي تجنبهم مشاكل الطلاق؟ هل يعلم الآباء ماذا سيحدث للأطفال الأبرياء من متاعب وهموم قد تقودهم في النهاية إلى الضياع والانحراف أيضاً.

ويعلق على المشكلة أيضـاً د. عبـدالغفار عزيز المحاضر **بكلية الشريعة قائلاً**: إن الفتاة لو تم تطليقها رجعياً بمعنى أنه يجوز لها أن تعود بعصمة زوجها فلا يصح للوالد ولا لأي إنسان أن يمنعها من العودة لزوجها إن كانت تود الرجوع إليه من أجل أولادها، أو لأي سبب من الأسباب.

وإن كانت هذه العـادة تلاشت عنـد بعض الأسر بحيث لا ترجع الفتاة إلى زوجها مرة أخرى، فهي مع تطور الحياة الاجتماعية يجب التخلص منها طالما رغبت الأم في ذلك من أجل الأولاد. ولا يجوز للأب أن يجبر ابنته هذه على الزواج ممن لا ترغب فيه كما هو معـروف شرعـاً، وهناك إجماع من العلماء على بطلان العقد الذي يجريه ولي المرأة الثيب من غير موافقتها عليه، فعلى الآباء أن يدركوا خطورة الموقف، ويتداركوا أمرهم قبل وقوع المصيبة.

وهذه صاحبة قصة تقول: طُلقت من زوجي وأنا في الثانية والعشـرين من عمـري، وقد كان كل شيء على مايرام، علاقتي بزوجي وعلاقتي بأهله وعلاقته بأهلي، وقد تزوجت مع أخي في يوم واحد، وزوجته هي أخت زوجي، ولم نكن نعلم أن أخي وزوجته غير متفـاهمين، واتضـح ذلـك بعـد الـزواج بأسبوعين، ودبت الخلافات في حياتهما الزوجية، تأثرت في البداية علاقتي بزوجي إلا أن التفاهم والحب أديا لعدم التأثير كثيراً على علاقتي بزوجي إلى أن كان اليوم الـذي تم فيه الـطلاق بين أخي وزوجته بشكل

مفاجىء للجميع، فوجئت بعد ذلك بثلاثة أيام بورقة الطلاق تدق بابي قبلها قال زوجي: إنه سيقضي في القرية بضعة أيام إلى أن تهدأ الأمور، ويبدو أن الأمور قد هدأت فعلاً.



مطلقة أربع مرات

هذه مأساة أخرى تسبب فيها الأهل بتدخلهم وتعنتهم، وكانوا سبب شقاء وتعاسة ابنتهم وضياع حياتها ومستقبلها (عرضتها جريدة عكاظ) صاحبتها عاشت طفولة مدللة جداً، بدأت مشاكلها وهي في سن الخامسة عشرة من عمرها عندما تقدم لها شاب وتمت الموافقة دون أخذ رأيها وبعد ستة أشهر من الحياة الزوجية تم الطلاق والسبب هو رفض الأب أن تنتقل الابنة مع زوجها إلى الديرة حيث إقامته وعمله، وكان هذا هو شرط أهلها الذي أوقع زوجها في حيرة بين رغبة أهلها وأهله، وكانت هي ضحية هذا الاختيار.

وبعد ذلك تزوجت من قبيلتها، وسافرت معه إلى مدينة أخرى لتكتشف أنه متزوج من ثلاث نساء، وكلهن على ذمته ورفض والدها غشه وكذبه وطلقها.. ثم تزوجت أحد أقاربها (لديه أربعة أطفال وتوفيت زوجته) ورعتهم تمام الرعاية لتعوضهم حنان الأمومة التي حرمت منها، ولكن الخلافات بين زوجها وأهلها دبت ولم تنته إلا وهي مطلقة للمرة الثالثة. ثم تزوجت برجل يصغرها بعشرة أعوام ثم سرعان مادبت الخلافات بين زوجها وأهلها وطلقت.. وبهذا فقدت حياتها واستقرارها، لأنها تركت مصيرها في يد الآخرين، وضاعت حياتها ومستقبلها بسبب عناد الأب وجهل الأشقاء، وعجز الأزواج.. وعادت تتجرع مرارة الأسى والحزن والوحدة وسط بيت

أخيها الذي كلفها برعاية أطفاله بدلاً من الخادمة التي أنهى عقدها عند قدوم أخته.

وهذه سطور نشرت في جريدة «المسلمون» وهي سطور تختنق عذاباً وألماً لضياع الحلم الذي كانت تعيش فيه صاحبتها، وتبدد ليحل محله التعاسة والشقاء والعذاب النفسي تقول: «تزوجت من زوج كان من خيار الناس خلقاً وديناً»، رباه والده بعد وفاة أمه، ولم يتزوج من أجله، وعاش والد الزوج مع ابنه وزوجته واعتبرته الزوجة أباً لها وأولته رعايتها واهتمامها، وأغدق عليها حبه وحنانه واهتمامه والعديد من الهدايا التي يصر على أن يراها وهي تلبسها ومع زيادة الاهتمام بدأت الزوجة تلاحظ أموراً غريبة عليها، وصارت تشعر بانقباض حين ترى اللهفة واضحة على وجه «حموها» بعد عودته من عمله فبدأت تنفر منه، وتتهرب من لقائه، وفي غياب زوجها الذي كان دائم السفر كانت تقضي وقتها داخل غرفتها، واشتكى والد الزوج من معاملة زوجة ابنه وهددها الزوج أنه لا يتوانى لحظة في التخلي عن كل ما يحب من أجل والده.. ولكنها صممت هل إذا تكلمت سيصدقها.. وازدادت الأمور الغريبة والمريبة مما أثار ذعرها وهربت إلى غرفتها وهي تصرخ وتبكي وعندما عاد زوجها وهي على السرير وادعت النوم ولكنها كانت حائرة بين ما حدث وهل تستقيم الحياة إذا هي سكتت ولم تقل شيئاً ولم تخبر زوجها بعد ما اعترف لها والد الزوج «بأنه يتعذب» وظلت تفكر

في هذا الحب من والد الزوج لها وهو حب خاطىء لم يعلم به أحد .

وهل الحياة تستقيم بعد ذلك أم سيبقى السر قيداً يعيق حركتها وتصرفاتها معه وسيثير تساؤلات الزوج؟

وفي الصباح قررت العودة إلى بيت أهلها وطلبت منه الطلاق وحاول معها زوجها ولكن دون جدوى ووقع الطلاق وضاعت الحياة الهانئة المتفاهمة بسبب الشيطان الذي زين لوالد الزوج زوجة ابنه .

وصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام في قوله: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل: يا رسول الله. أرأيت الحمو؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**الحمو موت، الحمو موت، الحمو موت**» رواه البخاري ومسلم. والحمو هم أقارب الزوج.

وهذه قصة حدثت بسبب عناد الأهل والتدخل غير المبرر وغير المرغوب، ونتيجة للفتنة انقلبت الحياة رأساً على عقب، وخرب البيت ووقع الطلاق وحرمت من ابنها وجلست تعض أصابع الندم .

تخرجت في الجامعة وعملت وتزوجت زوجاً ذاقت معه طعم السعادة والألفة والمودة، ورزقت بطفل وسافرت مع زوجها للعمل بعيداً عن أهلها وأهله ومرت الأيام سعيدة هانئة حتى زارها أخوها عدة أيام فرحاً به إلا أن علامات الوجوم تعلوه أحياناً بدون تبرير، فقد حصل على رسالة من أهل الزوج يشكون فيها من تدخل حماته

في أمورهما، وقام الأخ بتوصيل الرسالة إلى أمه فجن جنونها، وذهبت إلى أهل الزوج، ونشبت معركة حامية بين الطرفين وعادت هي وزوجها في إجازة لرؤية الأهل، فإذا بأهل الزوج يستقبلونها بعاصفة من الاستنكار والاحتقار والشجار، وصمموا على أن يرجعها زوجها إلى أهلها، وصمم أهلها على ألا يعود إليهم، وفشلت كل محاولات الإصلاح بينهم، وبرغم ثقافة الزوجين والعاطفة التي تربطهما إلا أن كل واحد منهما وقف بجانب أسرته، وصمم كل منهما على أن يقضي الإجازة مع أهله، وعرض الزوج على زوجته أن يسافرا ويتركا الأيام تصلح بين الأسرتين إلا أن الزوجة رفضت، لأن هذا إهانة لكرامة أهلها. . فسافر وحده وأرسل يطلبها، لكنها أصرت على تنفيذ شروطها بألا تراهم ولا يردها، هددها بالطلاق، هددها بالزواج بأخرى، لكن أهلها رفضوا وزادوا عناداً، فتزوج بأخرى وطلقها، وعاد مرة أخرى يعرض عليها العودة من أجل الطفل فرفضت وربت ابنها، وعندما كبر اختار أباه، حتى رؤية أمه كان يتهرب منها ويتهمها بأنها السبب وراء حرمانه من الأسرة السعيدة. . وبقيت هي وحيدة بعدما مات والداها وتزوج أخوتها، وبقيت هي تندم على مافات حيث لا ينفع الندم.

حماتي سبب طلاقي

وهذا واقع تؤكده بعض الزوجات والأزواج من خلال التجارب الواقعية من أن بعض الحموات ضد الوضع الطبيعي لاستقرار وسعادة الابن أو البنت في حياتها الزوجية، وأن بعض الحموات يهدمن البيوت لأولادهن من حيث لا يدرين.

ويعترف بهذا الواقع الرجال والنساء وبخاصة المطلقات وهذا يؤكد أن مشكلة الحموات تبدأ نفسية، وتتضخم اجتماعياً حتى تنتهي إلى الفشل والطلاق.

ولنقترب من ضحايا التدخل المذموم والمشؤوم من جانب الأمهات والذي لا ينتهي إلا بالفشل الذريع وخراب البيوت وذلك من خلال ما استعرضته جريدة «المسلمون».

يقول موظف: تزوجت ورزقني الله بمولود إلا أنه لم يساعد على تخفيف حدة الخلافات بيني وبين زوجتي التي كانت تتحول إلى إنسانة أخرى بمجرد زيارة والدتها لنا أو قيامها بزيارة والدتها حيث تكون مشحونة بروح عدائية تجاهي لا أعرف لها سبباً.

وتحكي زوجة قصتها قائلة: إنه رغم أنني كنت محبوبة من أهلي وصديقاتي، والجميع يثنون على أخلاقي وهدوء أعصابي، وكنت على ثقة من أنني سأنال الحب والتقدير من أهل زوجي إلا

أنني ووجهت بالغيرة والحقد والرغبة في تحجيمي وإذلالي، وكانوا يختلقون المشاكل بدون سبب، ويوسوسون لزوجي بأنني وراءها، فيأتي غاضباً وناقماً عليّ وحولوا حياتي إلى سلسلة من النكد والتعاسة حتى اكتشف زوجي الحقيقة، ولم أستطع الاستمرار، وطالبت زوجي بالاستقلال ولو بحجرة واحدة بدلاً من هذا العذاب الدائم وسيل الخلافات والمشاكل، واستجاب زوجي لطلبي إنقاذاً لحياتنا من الانهيار الذي كان سببه تدخل أهله بطريقة سافرة.

وروى محاسب قصته قائلاً: إن أحد أسباب ضيقي من حماتي هو أن كل شيء يحدث في البيت تنقله زوجتي إليها، وبالطبع فإنها تتدخل بصورة بغيضة، وتعطي للموضوع اهتماماً أكثر من حجمه، فيتحول الشيء التافه الصغير إلى مشكلة كبيرة تحتاج لأيام لحلها، ونتج عن ذلك أنني أحسست أنني أعيش وحيداً، ولم يكن أمامي إلا تطليق زوجتي.

وتقول مدرسة أخرى: لقد تزوجت في منزل العائلة، وكان للزوج شقيقان متزوجان، ولكنني فوجئت بأن والدة الزوج هي صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في كل شيء، وقد حاولت الاستقلال أنا وزوجي إلا أن أمه رفضت بحجة أن هذا يخالف تقاليد العائلة التي تقضي بأن يتجمع الأبناء كلهم في بيت واحد، ووجدت أن الحياة بمثل هذه الصورة مستحيلة وكان الطلاق بعد أن رفض زوجي تغيير هذا الواقع.

قصة مطلق: عندي أربعة أولاد، وعندما تيقنت أن حماتي تقف وراء مشاكلي مع زوجتي قررت منع زوجتي من زيارتها حتى أحافظ على بيتي، لكن زادت المشكلة بشكل خطير، لأن حماتي أصبحت تتردد على منزلنا في غيابي، وزاد تدخلها في حياتنا الزوجية بصورة سافرة، وأعتقد أنها وراء الطلاق الذي تم، وتهدم بنيان الأسرة بسبب إصرارها على فرض نفسها على حياتنا.

وتقول مدرسة: زوجي ضعيف الشخصية، ومرتبط بأمه ارتباط الأطفال، وكان يترك المنزل كثيراً ليذهب إلى أمه، ويتركني وحدي، ورغم أنني حاولت كثيراً التقرب من أم زوجي إلا أنها كانت تقابل محاولاتي بصلف وعناد.. إنني أعيش في حرج وخلاف قاتل ولا أعرف أين الخلاص؟

وهذه سيدة أخرى متزوجة من ابن عمها، وبدلاً من أن تكون صلة القرابة سبباً في إنهاء أي خلاف إلا أن الذي حدث هو العكس، حيث إن تدخل الأهل كان سبب الخلافات واشتعالها تقول: عندما تأتي الإجازة للاستجمام من عناء طول العام تبدأ الخلافات، فزوجي يصر على أن يقضي الإجازة بمصاحبة أهله، وأنا أفضل أن نقضيها معاً مع الأولاد دون الأهل، لأن اختياره يعني مشاكل لا تنتهي، أولها حرماني من زيارة أهلي وزيارتهم لي في فترة الإجازة، وثانيها أن أهله يتدخلون في كل القرارات حتى التي تتعلق بأماكن النزهة، كما أنهم يتدخلون في أسلوب التعامل بيننا، ويتدخلون في أسلوب تربيتنا للأولاد، ودائماً يوجهون النقد لي،

ودائماً هناك قائمة من النصائح توحي لزوجي بأنني مهملة في حق بيتي وأولادي، ودائماً يعقدون المقارنة بيني وبين أخريات وأكون دائماً أنا الأقل منهن.

وعن رأي علم الاجتماع في هذه القصص المأساوية التي أوردناها في السطور السالفة **يقول د. محمد مصطفى** أستاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس: إن هذه المشكلة تحدث بكثرة في السنوات الأولى للزواج حيث يكون الزوج والزوجة شديدي الارتباط بوالديهما، والحموات قد يفعلن هذا بدافع التملك من جانب الأم سواء أم الزوج أو الزوجة، لأنها ترى أنها تمتلك ابنتها وقد قامت على تربيتها ورعايتها منذ ولادتها حتى زواجها، وبالتالي يصعب عليها أن يحصل أي إنسان على ثمرة تعبها، وفي أحيان كثيرة تخطىء الزوجة حديثة الزواج عندما تذهب لزيارة أمها وتحكي لها مشاكلها فتكبر الأم المشكلة وتحولها إلى موضوع يصعب حله، وهي تفعل ذلك بدافع داخلي هو حرصها على سعادة ابنتها، ولكن يؤدي ذلك إلى نتائج عكسية تضر بحياة ابنتها الزوجية، وينطبق على الأم هنا مقولة «ومن الحب ما قتل» لذلك ينبغي أن تحاط العلاقة الزوجية بسياج متين من الكتمان رغبة في دوامها واستمرارها.

كما أن هذا يتوقف على شخصية الزوجين، فإذا كانا ضعيفي الشخصية فإنهما ينقلان أخبار خلافتهما إلى الأهل، وبالتالي توغر

أم الزوج قلب ابنها على زوجته خوفاً عليه منها، وتفعل الشيء نفسه أم الزوجة.

كما أن من أسباب هذه المشكلة عدم نضج الأمهات نضجاً كاملاً، فبدلاً من أن يكن مرشدات لبناتهن نراهن يشجعن بناتهن على تنغيص حياة أزواجهن، ولا شك أن التي تفعل هذا مع ابنتها تعاني من مشاكل في حياتها الزوجية، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

كما أن من أسباب هذه المشكلة وجود عيب في التربية، حيث إن الآباء والأمهات لا يعودون أبناءهم على حل مشاكلهم منذ صغرهم، وبالتالي يلجأ الأبناء إلى الآباء لحل مشاكلهم وهم أزواج.

وترى عبلة الكحلاوي أستاذة بجامعة الأزهر أن تفشي مشكلة الحموات يعود إلى انعدام التقوى، وعدم استشعار الناس للرحمة في تعاملهم.. ويحدث الطلاق نتيجة لذلك، لأن صلات الأرحام قد انقطعت، وبهذا لا نستبعد أن يحدث أي شيء مكروه، حيث قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**﴾[1].

لذلك يجب أن تكون الزوجة على علاقة طيبة بأم زوجها، وعلى الزوج أن يسعى إلى كسب رضاء أم زوجته ويجعلها دائماً في مقام أمه، وبهذا نوظف الرحمة في كل شئون الحياة.

---

(١) الآية ٢٢ من سورة محمد.

أما تفسير هذه القصص عند الطب النفسي فيشرحه لنا د. **عمر شاهين** أستاذ الأمراض النفسية بطب القصر العيني قائلاً: إن مشكلة الحموات هذه موجودة في المجتمعات الشرقية بشكل واضح، لأن العلاقات الاجتماعية تتسم بالترابط إلى حد ما عنها في المجتمعات الغربية.. لذلك نجد عندنا ما يسمى ببيت العائلة الذي يضم أبناء الأسرة جميعاً، وبالتالي يحدث الاحتكاك المستمر بين الزوجة وأم الزوج.. وللأسف فإن بعض الحموات غير الناضجات لا يحاولن أن يجعلن من زوجات أبنائهن بنات لهن، وإنما يدخلن معهن في تنافس وصراع بدافع الغيرة.. فزوجات الأبناء أصغر منهن، وأكثر حيوية ونشاطاً، فتحزن الحموات على شبابهن خصوصاً إذا كن غير متعلمات.. وبالتالي تتصيد الحماة لزوجة ابنها الأخطاء، وتجعل من الشيء التافه مشكلة كبيرة، كذلك فإن كل أم تحاول أن تدخل في روع ابنتها المتزوجة حديثاً أنها لابد أن تكون هي سيدة المنزل الذي ستدخل فيه، ومن هنا تسعى الزوجة إلى تأكيد سيطرتها، ومن ثم تلجأ إلى تجاهل نصائح أم الزوج فيحدث الخلاف.

وعلى كل حال إذا لم ترض النفوس، ويعمل الجميع بإخلاص على بناء حياة زوجية سعيدة فإن الطلاق سيكون هو الحل لهذه المشكلات.

لماذا يحدد الزوج علاقته بأهل الزوجة؟!

تسـاؤل كان لابد من طرحه على بساط الكتاب لاستكمال وجهات النظر. . ولذلك فإن أول قرار يتخذه الزوج بعد انتهاء شهر العسل هو تحديد العلاقة مع أهل الزوجة.

بعض الأزواج يعلنون الاستقلال التام!

البعض يعمل على تحييد موقف زوجته النفسي والاجتماعي!

وبعضهم يقرر الاندماج في وحدة أبدية لا انفصام لها تحت ضغط الزوجة والحماة!!

وبعضهم يعلن الحـرب، ويحرم امرأته أن تطأ قدماها بيت أهلها! ونتعرض لبعض هذه الحالات التي نشرتها جريدة «المسلمون»:

هذه امرأة تقول: زوج ابنتي يكره وجودي معهم في البيت، ودائماً ما ألاحظ عليه علامات الضيق من وجودي، حتى أنه يمنع أطفالـه من الجلوس معي فتـرة طويلة، رغم أنني أتحمل مشاق الزيارة لأرى الأطفال. . حتى أنني توقفت عن هذه الزيارة، وأكتفي بزيارة ابنتي وأولادها لي التي لا تتم إلا كل شهر ولساعات معدودة.

وهذا دليل آخر على تدهور العلاقة بين الزوج وأهل زوجته، **تقول الزوجة:** لم يكد يمضي على زواجنا أسبوع واحد فقط حتى

نشب أول خلاف بيني وبين زوجي ، فمن تقاليد الزواج في بلدتي أن تقوم العروس بزيارة أهلها في احتفال يسمى «الزيارة» وكانت زيارة موفقة كنت في شوق حينها لوالدتي وأشقائي ، وكانت سعادتي لا توصف بوجود «عريسي» وأهلي ، لم ألحظ من فرط سعادتي عيون زوجي ، وهي تراقبني في بيت أهلي أضحك مع أختي وأتشاقى مع أخي ، وأساعد أمي كما كانت عادتي من قبل ، ولما عدنا لبيت الزوجية قال لي : «أتمنى عندما تكونين في زيارة أهلك أن تكوني أكثر رصانة وجدية . . فوجئت بتلك الكلمات وشعرت بشرخ في شعوري وإحساسي . كانت تلك البداية في علاقة زوجي بأهلي ، وبعد أحداث كثيرة أصبحت الآن العلاقة منقطعة تماماً ، ولا أزورهما إلا في الأعياد ، لأن كل زيارة لأهلي كانت تخلق توتراً في المنزل .

زوجة أخرى تذكر أنه : بعد عام من زواجها ومع كثرة الخلافات بين زوجها وأهلها . . طلب منها زوجها في البداية ألا تزور والديها ، ثم تطور الأمر إلى أن أمرها بذلك وصمم عليه ، وخيَّرها بين تنفيذ رغبته وبين طلاقها؟!

رأي موظفة متضررة تقول : إن زوجها كان على خلاف مع والدتها قبل الزواج ، وزاد الخلاف بعد الزواج حتى انقطعت عن زيارتها ، وحاولت إقناع زوجها بالصلح فلم يوافق ، وتطور الأمر لخلاف مع والدها وعمها فأمرها زوجها بألا تزورهما فرفضت بإصرار ، وتركت المنزل .

وتحكي زوجة مأساتها قائلة: المشكلة في زواجي هي أوهام زوجي وتوجسه من أهلي، فهو دائماً يقدر الأشياء، ويضع الاحتمالات قبل حدوثها، ويرجع أي قرار أتخذه أو أي رأي أبديه في مستقبل أولادنا إلى تأثير أهلي في كل أموري، ويعتبر هذا تدخلاً صريحاً في حياتنا. بل إن القرار بإلحاق أولادي بمدرسة معينة يرجعه إلى تأثري برأي أخي، ورفض المدرسة لمجرد أن أولاد أخي بها، وأصبحت قراراته كلها عناداً حتى جاء اليوم الذي منعني فيه من زيارة أهلي بسبب خوفه الزائد من تأثري بهم وبأسلوب حياتهم، بل إنه يرفض هداياهم لي وله وللأولاد، ويعتبرها نوعاً من التباهي، وأصبحت أحمل هم المشاكل والنكد الذي يسببه لي بسبب زيارتهم لي.

وأصبحت أدرك أن هناك كرهاً دفيناً بين زوجي وأهلي لا أرى سبباً له. وبين إرضاء زوجي وأهلي وقعت في حيرة من أمري ولا أدري ما المخرج رغم لجوئي لأهله، لكنه أصر على رأيه ومنعني حتى من الشكوى لأهله.

* * * *

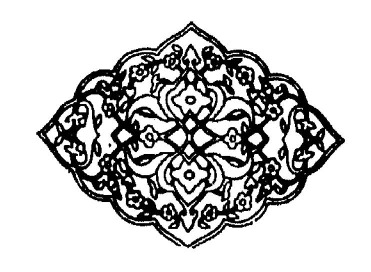
● **ولكن بعد معرفة رأي الزوجات فما رد الأزواج على هذه المشاكل المستمرة؟**

يقول زوج: لقد قاطعت أهل زوجتي بسبب إفسادهم لحياتي الزوجية بضغوطهم على ابنتهم لتحسين مستوى المعيشة، ولما وجدت أن مقاطعتي وحدها غير كافية، صممت على أن تفعل زوجتي الشيء نفسه حفاظاً على أسرتنا الصغيرة من الانهيار.

ويرى مدرس أن الخلافات بين أهله وأهل زوجته هي سبب ابتعاده عنهم، برغم أنهم أقارب، وقد بدأوا هم بمقاطعته وزوجته بعد أن طلبت إحدى العمات من زوجته الطلاق لتزوجها بأفضل منه.

زوج منفعل يقول: زوجتي تحب أمها حباً مرضياً، فهي لا تستطيع أن تفارقها وتبكي وكأنها مسافرة عندما نذهب إلى بيتنا، أصبحت لا تفرق بين حياتها بعد الزواج وقبله، فهي مازالت تحس أنها طفلة صغيرة تحتاج إلى رعاية أمها، وبعد أن أنجبت بدأت تحس أنها وابنتها في حاجة إلى رعاية أمها، وأنا لم أعترض على هذا، بل حتى وصل بالأم الأمر إلى إدارة شئون المنزل، بل والإقامة شبه الدائمة من أجل الصغيرة وطهي الطعام، وإدارة كل شيء حتى كأنني أشعر أنني تزوجت طفلة صغيرة، فأصبحت أفكر في السفر لمنطقة بعيدة حتى تشعر زوجتي أنه آن الأوان لكي تقوم بمسئوليتها كزوجة وأم.

وهذا زوج يقول: زوجتي دائماً ما تثير المقارنة بيني وبين زوج أختها والمستوى المادي الذي يعيشون فيه، ودائماً تكرر لي: إن دخلنا لا يقل عن دخلهم، ومع ذلك لديهم كافة المتطلبات الأساسية والكمالية التي تنقصنا، ولذلك أصبحت أكره زيارة أختها لها بسبب هذا الموضوع، فدائماً هناك إرشادات ونصائح لها من جانب أختها وزوجها وكأن رأيهما ومشورتهما هما النهاية الصائبة في كل الأمور، ولكن الأمر يتجاوز هذا الحد إلى شبه الضغط النفسي لتنفيذ النصيحة والعمل بها، وإذا حاولت إقناعها بأن لكل فرد أسلوباً معيناً في حياته تتهمني بكرهي لأهلها، ورفض أي شيء حتى ولو كان فيه خير لنا، ولذلك الخلاف بيننا شديد عند زيارتها أهلها، مما جعلني تلقائياً لا أستطيع إخفاء امتعاضي وضيقي من وجودهم، وهذا يزيد الأمور سوءاً بيننا.



هل يحق للزوج منع زوجته من زيارة والديها؟!

تساؤل مهم يجيب عليه د. **عادل صادق** أستاذ الصحة النفسية حيث يقول: إن قرار الزوج منع زوجته من زيارة بيت أهلها قرار نفسي وليس اجتماعياً، لأن الإنسان من الناحية الاجتماعية يسعد بتوسيع دائرة معارفه، والاتصال بأقاربه ولكن في حالة قطع الصلة بأهل الزوجة فإن الزوج يلجأ إلى ذلك من أجل «راحة البال» وسد الباب أمام تعاسته النفسية ويقول: ينشأ هذا القرار أحياناً بسبب الإحساس الناتج عن ضعف في الشخصية عند الزوج، ولذلك أنصح الرجال بأن يكونوا أكثر اتساعاً في الأفق والنظر للأمور من زاوية صحيحة، فنحن نعيش في مجتمع يصعب فيه فصل البنت عن أهلها حتى بعد زواجها، ومثل هذه التصرفات تأخذ انعكاسات سلبية على الطرفين.

ويقول د. **أحمد اسماعيل** أستاذ علم الاجتماع: إن مثل هذا التصرف من الزوج مرفوض، وينبع غالباً من الغيرة الشديدة، والرغبة في الاستئثار بالزوجة، وإشباع الغرور، حيث يصبح الزوج هو الآمر الناهي، وزوجته تطيعه دون مناقشة.

ومن واجب الزوجة أيضاً أن تقدر استقلالية قرار الزوج فيما يتعلق بحياته الأسرية، وأن تعرف أنها صارت في كنف رجل له رأيه، ولا تعيش بإحساس البنت «الدلوعة» التي يسترضيها والداها،

وعلى الأسرة ألا تتدخل بشكل سيىء في حياة الابنة حتى يرتاح الطرفان.

د. **أحمد شلبي** رئيس لجنة السيرة بالمجلس الأعلى للشئون الإسـلامية يرى أنه ليس من حق الزوج أن يمنع زوجته من زيارة والديها على وجه الخصوص، فتستطيع أن تفعل ذلك دون إذنه. . أما باقي أقاربها وما يتعلق بصلة الرحم فرأي الزوج ينبغي أن يراعى فيه.

وإذا كانت هناك نماذج لخلافات بين الزوجين بسبب الأهل فإن هذه الخـلافـات قد لا تخلو منها أي أسرة في بداية تكوينها بسبب انفصال الزوجة عن الجذور العميقة التي ارتبطت بها سنوات عمـرها كله. حيث تغذت وترعرعت ونمت على أفكارها ومبادئها وعـاداتهـا وتقاليدها، فمن الطبيعي أن نجد هناك خلافات بسبب الانتمـاء الكـامـل لهـذه الأسـرة ثم الانفصال عنها بقرار الزواج، وتكـوين أسـرة جديدة، ولكن ما أسبـاب هذه الخـلافات؟ ومدى اختلافها عن الماضي وتأثرها بالعوامل الحضارية والبيئية؟

ثم كيف يتعامل الزوجان مع هذه الخلافات؟

ويجيب على هذه التساؤلات د. **أبو بكر أحمد باقادر** أستاذ الاجتماع بكلية الآداب جامعة الملك عبدالعزيز «بجريدة المدينة» قائلاً: إن الخلافات بين أحد الزوجين أو كلاهما اختلفت اختلافاً جوهرياً من الماضي عنها في الحاضر. وذلك تبعاً لعوامل كثيرة ومستجدات العصر الذي نعيش فيه.

في الماضي يندر أن يكون الخلاف بين أحد الزوجين أو كلاهما وبين الأهل وبالذات أهل الزوج، وذلك لأسباب تتعلق بهرمية العلاقة بين الشاب وأسرته بمعنى ارتباطه بأسرته ارتباطاً جذرياً تزداد أواصره نمواً وقوة بزواجه، لأنه في الغالب يسكن معهم، ولم تتغير علاقته مع والديه كثيراً عما كان عليه الأمر قبل الزواج، فهو مطالب ـ بحسب قواعد التربية التقليدية ـ بأن يذعن دون شروط لأوامر وتعليمات والديه، أما الزوجة فهي غريبة تدخل الأسرة وعليها الالتزام بكافة الشروط والظروف القائمة على أنها تأمل مع الوقت أن تحصل على عضوية كاملة مع الأسرة الجديدة، لذلك فإن امكانية أن يكون لها صوت ورأي مسموع تعد أمراً متأخراً.. وهي تعرف ذلك سلفاً.

أما بالنسبة للوقت الحاضر فهناك اختلافات نوعية عديدة يجب أن تؤخذ في الحسبان من أهمها: استقلال الزوجين بوحدة سكنية، وحصول الزوجة على درجات عالية من التعليم والثقافة، ومطالبتها بأن يكون عالمها الزواجي مستقلاً عن أي حياة أسرية أخرى، لهذه الأسباب فإن الزوجة أصبحت لا تتوقع تدخل أسرة الزوج في حياتها الجديدة، وربما تعتقد بهذا الاستقلال السكني أن حضور أهلها وأخواتها على وجه الخصوص قد يسبب تدخلاً من جانبهم، يقابله رفض من طرف الزوج.

ولا يمكننا القول بأن الإقامة مع الأهل تزيد من المشاكل، ولم تكن كذلك في الماضي بسبب الأدوار المتوقعة والمقبولة من

الأطراف المختلفة في الأسرة، أما في العصر الحالي فربما كانت السكنى المستقلة تمكن من قلة الاحتكاك، والتدخل المباشر للأهل في الشئون الزوجية، ومن ثم تقلل من احتمال وقوع المشاكل بين الزوجين بسبب سوء التفاهم بين الأهل وأحد الزوجين، ولكن الاستقلال في السكن أدى إلى نوعية أخرى من المشاكل حيث ظهر ما يعرف «بالأسرة النووية» وهي تختلف في تركيبها عن الماضي من حيث النوعية في العلاقات التي تنشأ بين أفرادها، فقد أصبحت تفتقد إلى ما كان يميز الأسرة التقليدية من العلاقة الوطيدة التي تتسم بالحميمية والدفء، وهذا ينعكس على تربية وتنشئة الأطفال.

إن الأسرة النووية أو المستقلة ذاتياً تجد نفسها مطالبة بالقيام بكافة أعباء تربية الأطفال ،ومختلف شئونها وحدها دون معونة الأهل أو الاستعانة بخبرتهم التقليدية مما يمنع من تواصل القيم والتقاليد السائدة في المجتمع، وفي غياب هذه العلاقة التقليدية الوطيدة التي كانت تربط الزوجين والأحفاد بالأهل يصبح المناخ العام للأسرة قابلاً للخلافات بينهم وبين الأهل، وذلك في ظل هذه التطورات الجديدة التي حدث من العلاقة بينهم. وحول الكيفية التي تمكن الزوجين من لتعامل مع الخلافات، وتحقيق المعادلة الصعبة من رضاء الأهل وكل من الزوجين، يرى أبو بكر أن تجاوز هذه الخلافات التي تهدد كيان الأسرة، وتنذر بهدمها يرجع إلى السعي بشكل جاد وصادق نابع من رغبات الأطراف جميعها في

الحفاظ على هذه الأسرة وتماسكها والوقوف ضد كل ما يمكن أن يعصف بوحدتها، ولا يقوم هذا إلا عن طريق التعاون والتفاهم والود والرحمة بين الأهل والزوجين، وتفهم طبيعة العلاقة بينهم جميعاً التي تحتم على كل منهم حقوقاً وواجبات تجاه الآخر عليه أن يحترمها ويصونها ولا يتعدى عليها على حساب حقوقه، فالأهل لهم حقوق على الأبناء ينبغي مراعاتها، وكذلك الزوجان لهما حقوق لا ينبغي على الأهل تجاوزها حتى لا يحدث هذا الصدام بين كل منهما على حساب تمديد الحياة الزوجية المستقرة.

د. عادل يوسف استشاري الأمراض النفسية والعصبية يقول: إنه يجب الفصل بين المشاكل والخلافات اليومية التي تقع داخل أي أسرة وتشمل خلافات الزوجين أو الخلافات بين الأهل، فالحياة الاجتماعية لا تخلو عادة من كافة المشاكل حتى بين أقرب الأصدقاء.. وهذا يعد شيئاً طبيعياً نتيجة نوعية العلاقة بينهم، والتي تفرض التعامل المباشر والاصطدام باختلاف الرأي وطبيعة الشخصية والطباع التي يتعامل بها كل مع الآخر.

إن ما يجب أن يستدعي النظر بشكل أعمق، ونتعرض له بالتحليل والمناقشة هو نوعية المشاكل التي تحدث بين أهل الزوج أو الزوجة أو أحدهما وتؤثر بشكل مباشر في صحة العلاقة بين الزوجين، لأن هذه النوعية من المشاكل قد تؤدي إلى اضطرابات نفسية واجتماعية عنيفة ليس فقط على الأزواج ولكن أيضاً على الأبناء الصغار، وذلك إذا أسيء فهم طبيعتها وكيفية التعامل معها.

إن نوعية هذه المشاكل تتوقف على ظروف الأسرة المادية والاجتماعية، وطبيعة العلاقة بين الزوجين والأهل منذ البداية والعامل المشترك في هذه المشاكل هو عدم التعايش أو التكيف بين جميع الأطراف بعضهم ببعض، وافتقادهم إلى الارتباط العاطفي والاجتماعي القوي الذي يدفع كلاً منهما إلى التفاهم مع الآخر، وتحمل أخطائه في بعض الأحيان. فلكل من الزوجين وأيضاً الأبناء ـ بحكم طبيعة العلاقة المتوطدة بينهم جميعاً ـ دور يقوم به في الأسرة الصغيرة والأسرة الكبيرة أيضاً، وهذا الدور يحتم عليه التدخل في شئون حياة الآخر كما يرى د. عادل يوسف.

وهنا يحدث الخلاف الذي يرجع أساسه إلى ميل الأسرة الجديدة إلى الاستقلال بذاتها وقراراتها، واعتبار أي نوع من المشاركة من جانب الأهل هو تدخل لا ينبغي أن يحدث في شئونها الخاصة. ومن ناحية أخرى يجب إقناع الأهل بأن لهم الحق في التدخل والقرار في حياة أولادهم حتى بعد الزواج، فهم لم يتزوجوا لينفصلوا عنهم، ولكن ليكونوا امتداداً لهم، واتساعاً لجذور العائلة التي كانت صغيرة.

لقد شهد هذا العصر تغيراً جذرياً في المفاهيم الاجتماعية وطبيعة العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة، ومشاركة المرأة زوجها في العمل والمسئولية غالباً، وظهور دورها بوضوح في تربية الأطفال والتأثير على الاتزان العائلي مما دعا إلى الشعور باستقلالية الأسرة الصغيرة وقراراتها أيضاً كما سبق الإشارة إليه عند الأهل بالإضافة

إلى عامل آخر غير مباشر وهو الضغوط والتوتر العصبي لكلا الزوجين مما يجعلهم أكثر حساسية تجاه المشاكل حتى البسيطة منها، وبالتالي أكثر إثارة للخلافات وتصعيدها إلى الدرجة التي يصعب معها تحملها أو حلها بأسلوب بسيط.

يجب أن يبدأ الحل من جانب الزوجين، فهنا المسئولية تقع عليهما فقط، بالرغم من تدخل أطراف أخرى مثل الأهل في الخلاف، فالرباط القوي بين الزوجين هو الأساس في التغلب على المشاكل، والذي يكون نابعاً من التفاهم بينهما ومراعاة إحساس ومشاعر كل منهما للآخر بالذات فيما يتعلق بالأهل فيجب أن يقدر كل منهما مدى العلاقة الوثيقة والارتباط القوي بين أي منهما وأهله، والاقتناع بأن محاولة حرمان أي منهما من أهله سوف توجد عداوة بين الزوجين، وأي خلافات بينهما يمكن حلها بالحوار والمناقشة ومعرفة حقيقة دور كل منهما في حياة الآخر. فغالباً ما تنشأ هذه الخلافات نتيجة انشغال أحد الزوجين عن الآخر وغيابه نفسياً من حياة الآخر، وهذا كفيل بأن يسبب بينهما جفاء، ويكثر سوء التفاهم وينصح د. عادل كل زوجين بأنه مهما كانت طبيعة الخلافات فلابد أن تكون بعيدة عن سمع وبصر الأطفال، لأن الخلافات تؤثر على استقرارهم نفسياً، وتؤدي إلى خلق اضطرابات أو عقد نفسية قد لا تظهر آثارها إلا في سن متأخرة.

لماذا يقع الطلاق ؟!

في كثير من الأحيان تكون أسباب الطلاق تافهة ويسيرة، بل في غمرة الغضب والانفعال تنفلت الأعصاب خصوصاً حين يكون الزوج عصبياً لا يملك نفسه، وتكون المرأة أيضاً لا تحسن سياسة الزوج.

فربما طلقها، لأنها لا تحسن طهي الطعام، أو تأخرت في إعداده، أو لأنها أحرقت الثوب وقت كيه، أو لأنها تأخرت في إيقاظه إلى الدوام، أو لغير ذلك من الأمور اليسيرة العارضة، وهذا طلاق يتبعه غالباً الأسف والندم القاتل سواء من جانب الزوجة أو الزوج.

فهذه سيدة تصر على تغيير حجرة الضيوف فيكون مصيرها الطلاق، وأخرى رفضت أن تكون نصف زوجة مع زوجة أخرى وأصرت على الطلاق، وغيرها من القصص والوقائع التي نعرضها فيما بعد.

ونجد أن المطلق يذهب عند أبواب العلماء يلتمس المعاذير ويبحث عن مخرج له، فمرة يقول: طلقتها وهي حائض، ومرة يقول: طلقتها عدة طلقات مرة واحدة، ومرة يقول: جعلته طلاقاً معلقاً إن خرجت فهي طالق، فخرجت إلى غير ذلك. ومما يذكر ويحكى أن الفرزدق كانت له

امرأة يحبها اسمها «نوار» فطلقها فندم على ذلك ندماً كثيراً فأنشد يقول:

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار
فأصبحت الغداة ألوم نفسي بأمر ليس لي فيه اختيار

ثم أراد الفرزدق زوجته فذهب إلى ابن الزبير يريد أن يرجع زوجته، وذهبت نوار إلى زوجة عبدالله بن الزبير تقول لها: بلغي زوجك بأني لا أريد الفرزدق، لأنه رجل فيه كذا وكذا، وكان كلام الزوجة أغلب على كلام الفرزدق فقرر ابن الزبير ألا يعود الفرزدق إلى زوجته، وخشي ابن الزبير من هجاء الفرزدق له فقبلت زوجته الرجوع إليه، ثم طلقها مرة أخرى وأشهد على هذا الحسن البصري. وهكذا يطلق الرجل يوماً ويندم يوماً آخر..

وكانت العرب تذم الإنسان المزواج أو الذواق المطلاق.

إن من الثابت أن الأشياء التافهة المتكررة هي التي تقوض الحياة الزوجية غالباً، وتجعل استمرارها أمراً أشبه بالمستحيل، وتقضي على كل معاني السعادة، فما أن يتذكر الرجل امرأته مثلاً وهو غائب عنها أو بعيد حتى تقفز إلى ذهنه مجموعة من الصور والمشاكل وفي النهاية تعطي هذه المشاكل القناعة بأن الطلاق هو الحل. أما المشاكل الكبيرة والعويصة المزمنة فهي أقل تأثيراً وأقل ضحايا، إذن غالب الأسباب هي أسباب صغيرة، تافهة وما نقرؤه من مآسي الطلاق يؤكد هذا، وسوف نتعرض لحالات واقعية تسببت

أشياء صغيرة ويسيرة في إحداث الطلاق، وندم أصحابها أشد الندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

كما أن هناك العديد من الناس يرجعون أسباب الطلاق إلى الأمور الغامضة وهي: (الجِن أو العين أو السحر).

فكثيراً ما يرجع الأزواج المطلقون والزوجات المطلقات أي تغيير يصيب الحياة الزوجية، أو عزوف أحد الزوجين عن الآخر أو حدوث الانفصال إلى العين أو السحر أو الجن.

وهم بهذا يتهربون من تحمل المسئولية، ويقنعون أنفسهم بأنهم لا يد لهم فيما جرى، وأن ما جرى محض قضاء وقدر ليس لهم فيه حيلة ولا اختيار ولا سبب.. ولا شك أن المسلم يؤمن بقضاء الله تعالى وقدره، والمسلم يؤمن بالجن، بل قد يتلبس بالإنسان، وهذا جاء في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾[1].

كما أن المؤمن يؤمن بالعين وقد جاء في القرآن الكريم ﴿**وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم**﴾[2] قال بعض أهل العلم يعني بالعين. وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره: «**العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين**» فالعين حق، وكذلك المسلم يؤمن بالسحر، ولكن هناك حالات عديدة ممن

---

(١) من الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ٥١ من سورة القلم.

يدعي أصاحبها أن السبب هو الحسد أو السحر أو الجن في حدوث الطلاق بينهما ولكن تكون هذه الفئة واهمة حيث يكون الطلاق بسبب عدم وفاق بين الزوجين، لوقوع خطأ من أحدهما تجاه الآخر، أو لانصراف في قلب أحدهما عن الآخر.

وعلى ذلك ينبغي تحري السبب الحقيقي للطلاق، لأن الاعتقاد بالسحر والجن والعين لا ينتهي عند مجرد الاعتقاد، بل يترتب عليه عدد من المفاسد العظيمة، منها ظلم الناس الذين يُعتقد أنهم وراء السحر أو العين، والله لا يحب الظالمين. .

فهذه قصة نشرت بإحدى الصحف المحلية لزوجة مظلومة تتعرض للجفوة والقسوة نتيجة هذا الاعتقاد فتقول: «تزوجت منذ ١٧ عاما وأعيش في سعادة وهناء مع أسرة زوجي، ولكن منذ فترة مرضت أخت زوجي وأصيبت بحالة نفسية، وقام أهل زوجي برقيتها الرقية الشرعية، وزعموا أنني سبب حالتها، واتهموني بأشياء أنا بريئة منها الأمر الذي جعل زوجي الذي أحبه ويحبني يعيش حالة من الأسى والألم حزناً على ذلك، لأنه أول الذين يعلمون ويدركون أنني أكن كل الحب والود لأسرته وأخواته، ولكن في المقابل نجد منهم كل هذه الجفوة والقسوة. . وتكاد هذه المزاعم تهدد سعادتنا وعشنا الذي ظل طول هذه المدة هادئاً».

ومن مخاطر هذا الاعتقاد إتيان الكهنة والعرافين. وفي صحيح مسلم عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»، هذا لو لم يصدقه،

أما من أتاه وصدقة فيما يقول فوعيده أعظم من ذلك، ولذلك روى أصحاب السنن وأحمد والحاكم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ**»، وفي رواية: «**فقد برأ مما أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ**».

كما أن من مفاسد هذا الاعتقاد ضياع المال الكثير لعلاج هذه الحالات، وفي الحقيقة أنه ليس علاجاً، ولكنه الإيهام بالعلاج، ويضحكون به على عقول السذَّج، ويأكلون أموالهم بالباطل.

ولكن ليس هذا ينطبق على الجميع، فهناك العديد من حملة كتاب الله والعلماء والمشايخ الذين يعالجون هذه الحالات بالقرآن وبأمانة العلم الذي يحملونه.

كما أن الضرر الآخر من هذا الاعتقاد هو بعد الزوجين عن الأسباب الحقيقية وراء الخلاف والمشاكل بينهما، ومحاولة إزالتها أو علاجها. .

أسباب الطلاق

أولاً: عدم الدقة في التحري قبل الزواج: ولعل هذا من أخطر وأكبر الأسباب، فبعض الشباب الذين يقدمون على الزواج يركزون على جانب واحد فقط كالجمال مثلاً، فيركز على الصفات الجسمية، ولكنه يغفل عن الجوانب الأخرى، والجمال سلطان عرشه قصير سرعان ما يختفي بعد مدة ليست طويلة. كما أن هناك بعض السلبيات التي تصاحب هذا الجمال مثل الغرور، أو أنه جمال ليس معه عفة أو تربية حسنة، فتصبح الحياة مستحيلة.

ويجب أن يراعي الإنسان سواء الفتاة أو الشاب الموضوعية والاعتدال والاتزان والشمول عند البحث بقدر ما يستطيع، لأن سوء الاختيار يقود إلى العديد من المآسي للزوج أو الزوجة.

وكما يقول الشيخ فريح العقلاء: إنه من الواجب على ولي الأمر إذا أراد أن يزوج ابنته أن يتأكد من حال المتقدم لها، ولا يستعجل في مثل هذه الأمور وخصوصاً أن بعض الشباب لا يثبتون على سلوك وطريقة واحدة في حياتهم، ويمكن التحري عن الشاب من زملائه وأسرته وجيرانه وأقاربه. فعلى ولي الأمر الاجتهاد في اختيار الزوج لمولاته سواء كانت ابنته أو أخته أو من هو وكيلها، ويتقي الله في ذلك، ويفرق بين الدين والخلق، فربما يوجد إنسان فيه بعض الأخلاق المحمودة كالكرم والنخوة والشهامة وخفة الدم

ولكنه لا يصلي، أو يشرب الخمر، أو يتعامل بالربا ويرتكب المحرمات، والعكس فقد يوجد من هو مستقيم في أوامر دينه، محافظ على الواجبات، متجنب للمحرمات، ولكنه سيىء الخلق والطبع، والرجل الصالح هو الذي قال فيه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[1].

ومن سوء الخلق ألا يقدر الإنسان إحسان من أحسنوا إليه، وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾[2].

فكم من المشاكل تنجم عن سوء الاختيار وعدم الدقة في التحري سواء عن الزوج أو الزوجة قبل الزواج.

كما أن من الأسباب ـ فيما يتعلق بعدم الدقة ـ عدم النظر للمخطوبة. وفي غياب الرؤية الشرعية مشاكل كثيرة، ومخالفة لأمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي قال للمغيرة وقد خطب امرأة: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**» رواه النسائي والترمذي وابن ماجه والدارمي وابن حبان. وإن الآباء الذين يمنعون رؤية الخطيبة أو الخطيب ـ جهلاً بالشرع الذي أباح النظر إلى المخطوبة ـ إنما يزرعون الأشواك، ويخلقون مشاكل عديدة دون قصد في حياة أبنائهم وبناتهم، وينتج عن ذلك العديد من الخسائر

---

(١) رواة الترمذي في كتاب النكاح، باب ٣ (٣/٣٩٥) حديث رقم (١٠٨٥) وقال: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) الآية ٦٠ من سورة الرحمن.

النفسية والاجتماعية والمادية لكل من الزوجين مما يؤدي إلى الطلاق.

* * * *

ولنتعرف ولنتقرب أكثر من الذين عانوا من الوقوع في هذه المشكلة والمفاجآت غير المتوقعة في ليلة الزفاف نتيجة غياب الرؤية الشرعية للخطيبة أو الخطيب وذلك من خلال الحالات التي نشرتها جريدة المسلمون:

■ فهذه فتاة تزوجت دون أن ترى زوج المستقبل، ودون أن تستطيع سؤال أهلها عنه، ولكنها لا تتوقع أن ترى زوجها يمشي على عكازين ليلة الزفاف، لأنه أصيب بشلل أطفال، ولكنها كتمت جراحها وهي تعلم أن مرض زوجها من الله، وهي لا تعيب عليه ذلك، ولكنها طلبت الطلاق عناداً في أهلها الذين رفضوا رؤيتها له، وصدموها بتجاهلهم لهذا الأمر.

■ وتلك مأساة أخرى نتيجة غياب الرؤية الشرعية، فقد تزوجت الزوجة ابن عمها الذي يدرس في أمريكا، وذهبت إليه واستقبلتها معه أسرة عربية، وعندما رآها طلب منها أن تبقى عند تلك الأسرة وأعادها إلى أهلها في الأسبوع نفسه، لأنها لا تعجبه، وبذلك قد تحولت إلى مطلقة قبل الدخول بها.

■ **وتقول إحدى الضحايا:** ماذا تفيد الدراسة بعد الامتحان، وماذا تفيد الرؤية بعد عقد القران. فوالدي سمح لي برؤية خطيبي بعد عقد القران فلم أرتح له ولا هو ارتاح لرؤيتي، وانفض الزواج قبل أن يبدأ بعد مشاكل ومحاكم كنا في غنى عنها لو قدمت الرؤية على عقد القران، ولو تحقق ذلك لما سميت «مطلقة» قبل الدخول.

■ وتحكي إحدى الفتيات عن مفاجآتها يوم زُفافها فتقول: إنها اكتشفت أن زوجها أكبر من والدها وبعين واحدة وتقول: «أنا لا أعيب ذلك فهو من الله، ولكني بعد ١٤ عاماً ألوم أهلي، لأنهم لم يخبروني بهذا، ومع أني لا أملك حق الرفض، لكن وقع الصدمة سيكون أخف لو أخبروني، وحتى الآن لم يلتئم جرحي».

■ وتروي فتاة أخرى تجربة أخيها الذي صار عبرة وعظة لغيره، فقد خطب فتاة اشترط فيها أن تكون جميلة وصغيرة ورأتها والدته، ولكن يوم الزفاف وجدنا عروساً لا تشبه من خطبناها لا من قريب أو بعيد، وتبين أنها أختها التي فاتها سن الزواج، فطلقها أخي في الليلة نفسها، وقد مر عامان ولم يتزوج، لأنه يريد أن يرى من سيتزوجها بنفسه.

■ **وتقول إحدى المدرسات:** إنها خطبت كثيرًا ولكنها لا توافق دون رؤية الخطيب، ووالدها يمانع في ذلك خوفاً من العيب أولاً، ومن أن يرفضها العريس فيتحدث عن صفاتها في المجالس، وأنه رآها مما يسبب حرجاً لأهلها ويكون سداً في طريق زواجها.

■ **وجهة نظر لأم فتاة تقول**: نحن نطبق الشرع، ونسمح للخطيب برؤية خطيبته، ولكن بعد أن يتم كل شيء من السؤال عن دينه وأخلاقه والاتفاق على المهر، وكل التفاصيل فإذا رآها فإن دينه وأخلاقه يمنعانه من أن يمسها بكلمة.

■ **وتقول إحدى الفتيات عن تجربة أخيها**: لقد خطبت أمها لأخيها بنت عمه التي لم يرها منذ أن كان عمرها سبع سنوات وأحضرتها من بلدها، ولكنها لم تعجبه، وقبلها على مضض، وكل يوم يذكر والدتي بأنه سيتزوج ولو في آخر يوم من عمره، وتضيف ومع أنها جميلة وطيبة إلا أنه لم يرتح لها، فالإنسان قد يستريح لرؤية إنسان آخر وكأنه يعرفه منذ زمن طويل، ولا يستريح لرؤية آخر لسبب لا يعلمه حتى ولو كانت المرة الأولى التي يراه فيها.

* * * *

● ثانياً: عدم التكافؤ والتناسب بين الزوجين سواء من حيث المستوى العقلي، أو الثقافي أو الاجتماعي بين الطرفين، وبالتالي اختلاف الطباع، فيكون النقد بينهما باستمرار، ويزداد التباعد بينهما مما يؤدي إلى الطلاق.

وكما كتب الأستاذ عبدالرحمن السماري في مقاله «مستعجل» بجريدة الجزيرة يقول صاحب رسالة: «إنني قد تزوجت منذ فترة ١٥ عاماً، وقد لاحظت أن هناك فجوة ثقافية ومعرفية بيني

وبين زوجتي، وقد ظننت في البداية أن هذا أمر هين، أو هكذا صوره البعض أنه بسيط وأنه ليس بقضية . . ومع مرور الأيام وجدت هذه الفوارق تتسبب في الكثير مَن المشاكل نظراً لاختلاف الميول والطباع والنظرة العامة للحياة، واختلاف الاهتمامات، ففي الوقت الذي أركز فيه على التحصيل والعلم والمعرفة والإنتاج والعمل المتواصل لا تكتفي زوجتي بالفت في عضدي وتسفيه اهتماماتي، والنظر إليها بغضب وتحقير ودونية، بل تحاول إجباري على الاهتمام بميولها البسيطة التي تنم عن عقلية هزيلة، واهتمامات دونية لنتجاذب أطراف الحديث الهزل عن هذه وتلك وكيف كانت تتكلم وتلبس، ولماذا تأخرت ولادتها، وغيرها من الأمور السفيهة، وتشعرني بأني معقد ومخبول.. ولقد حاولت معها مراراً لإقناعها بمسئولياتي ودوري العلمي والمعرفي في المجتمع، ولكني فشلت فشلاً ذريعاً، بل إن هذا الحديث يقود إلى المزيد من المشاكل والقضايا وتوسيع الهوة بيني وبين زوجتي الجاهلة الأنانية، وأراني مهدداً في مستقبلي العلمي والمعرفي والثقافي إذا استمرت علاقتي بهذه الزوجة، وعليّ أن أختار أحد طريقين كلاهما مر **الأول**: أن أوافق هذه الزوجة على اهتماماتها وأترك اهتماماتي وطموحاتي، **والثاني**: أن أطرد هذه الزوجة من حياتي، ولكن الضحية بالتأكيد هم الأولاد الذين سيضيعون بين الأب والأم، ويصبحون بمثابة الأيتام.

وهناك العديد والعديد من السطور التي تزخر بها الصحف وتعرض لمآسي عدم التكافؤ الثقافي والمعرفي والعلمي بين الزوجين.

● ومن المشاكل والأخطاء التي يقع فيها البعض عدم أخذ رأي الشاب أو الفتاة في الزواج، فربما يزوج الولد دون أن يؤخذ رأيه، وهذا أيضاً كثير بالنسبة للبنت، فربما يعطي أبوها لولد أخيه أو قريبه موافقته على الزواج دون معرفة رأيها، وهذا لا يجوز، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول في الصحيح: «**لا تنكح البكر حتى تستأمر**» - تستأذن - فلابد أن يستأذنها أبوها، وإذنها أن تصمت، وأما أن يزوجها دون أخذ إذنها وموافقتها فهذا ظلم لها وهو لا يجوز.

كما أن كثيرًا من الأسر ترى أنه لا زواج إلا من الأسرة نفسها، فقد يرفضون رجلاً له مكانته وفضله وجاهه وليس فيه شيء إلا أنه من قبيلة أو أسرة أخرى..

ثالثاً - المثالية عند الزوجين: والسبب الثاني من أسباب الطلاق هو المثالية عند الزوجين، بحيث ينتظر كل واحد منهما من الآخر أن يقدم له كل شيء، في حين أنه هو لا يملك أن يبادله المثل، وحديث المصطفى - كما في صحيح مسلم - «**وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه**» فينبغي أن يقدر الإنسان أخطاءه هو حتى يقدر أخطاء زوجته، ويقدر نقصه هو حتى يستطيع أن يقدر نقصها، فالكمال لله وحده. فإذا كانت الزوجة ينقصها شيء من الجمال فتذكر أيها الزوج أنك لست من الجمال بتلك الدرجة التي تذكر، وإن وجدت في زوجتك شيئاً من الجفاء فتذكر أنك أنت الآخر عندك شيء منه.

أما ان يتجاهل الزوج عيوبه وأخطاءه ونقائصه وتقصيره ويريد أن تكـون زوجتـه مثالية في جمالها ودينها وخلقها وذكائها وعقلها وعبادتها فهذا لا يكون.

وقـد قال رجـل لآخـر: ابحث لي عن زوجـة؟ فقـال: ما صفـاتهـا؟ قال: أن تكـون جميلة بينـة، رصينة، عاقلة، طويلة، بيضاء، حسناء، خلوقة، فصيحة. قال: قد وجدتها، قد وجدتها، عليك بقيام الليل وصيام النهار فهذه من الحور العين، لعل الله أن يبلغكها في الجنة.

ـ ومن المثالية المقارنات وطالما دمرت المقارنة بيوتاً . . فمثلاً الزوج يقارن زوجته في شكلها بالأخريات فربما وقعت عينه على امـرأة إمـا من غير قصـد وإمـا لمعصيتـه في السوق أو التلفاز أو المسلسلات والأفلام أو على صدر مجلة أو صحيفة، فيقارن زوجته بها فيجدها أدنى من الأخرى، فيعزف عنها، ويعرض عنها، أو ربما يسمع أحد أصدقائه يذكر شيئاً من جميل خلق زوجته فيعقد المقارنة السريعة، وبالتالي يوماً بعد يوم يزيد قناعة بأنه مهضوم الحق، وأن زوجتـه ليست هي المناسبة لمستواه ومقامه، وكذلك المرأة عندما تعقد مقارنة بين زوجها وأزواج صديقاتها اللاتي في معظم الوقت يكذبن، ويتفاخرن بأشياء وصفات ليست في أزواجهن، فتحس أنها أقلهن حظاً، وتـدب المشاكل والخلافات، وقد تعقد المقارنة في الأخلاق، أو في نمط وأسلوب الحياة القائمة بينهما وطرق المعاملة متنـاسيين سواء الرجل أو المرأة أن لكل شخص طبيعتة المميزة،

وأسلوب تعامل خاصاً به، وأن الحياة الزوجية هي علاقة خاصة جداً، ومن الصعب مقارنتها بغيرها من العلاقات.

ومن المثالية التعويل على قضية الحب قبل الزواج التي غرسها الإعلام في النفوس من خلال الأفلام والمسلسلات، فكثيرون يبنون حياتهم على حياة الحب الخيالية المثالية، وينسون الفرق بين امرأة للحظة أو لساعة فيما حرم الله - عز وجل - وبين امرأة للعمر كله، بل للدنيا والآخرة فيما يحبه الله ويرضاه.

ويقدم لنا الإعلام نماذج من الفنانين والممثلات هي نماذج فاشلة على كافة المستويات، ومن أقل النماذج نجاحاً في حياتها الزوجية، فكيف يقتدى بهم، وهذه أحوالهم فضلاً عن انحرافهم عن طريق الله، ولعل من أسباب اشتغالهم بمثل هذه الأمور أنهم فشلوا في حياتهم الخاصة فتلهوا بمثل هذه الأمور..

ومن المثالية أيضاً استحضار الصور الجميلة التي تراها العين في إحدى وسائل الإعلام، مما يؤدي إلى تدمير الحياة الاجتماعية، والتعرض للفتنة والإثارة وتدمير البيوت.

ومن المثالية أيضاً وجود علاقة سابقة بين الزوجين يحكمها التصنع والمجاملة سواء علاقة عبر الهاتف أو غير ذلك، فلا تصمد هذه الصورة الخيالية المليئة بالمجاملة والتكلف، والمليئة بالمثالية خلال الخطبة لا تصمد أمام الاحتكاك بالواقع، وقد يشك أحدهما في الآخر بعد الزواج..

ثالثاً: تدخل الآخرين في الحياة الزوجية: ولعل السبب الثالث من أسباب الطلاق هو تدخل الآخرين في العلاقة بين الزوجين، ويروى أن أحد الصحابة - رضي الله عنه - رأى من زوجة ابنه أمراً يكرهه فأمره أن يطلقها فطلقها الولد وهو حزين، فسمعه أبوه يوماً وهو يقول:

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير شيء تطلق

فرق له وأمره أن يرجعها.. وهذا أيضاً من مثالية أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - وتقديرهم لظروف الآخرين النفسية، وظروف التعلق القلبي والمحبة والارتياح مع المرأة حتى لو كان الأب أو الأم يجد فيها مالا يحبه منها.

إن تدخل أهل الزوج وأهل الزوجة يعكر صفو الحياة، ويزيد الحياة تعقيداً، وتكبر المشاكل، وتتسع نتيجة لهذا التدخل، وللتدخل أشكال عديدة منها: وصايا الأم لابنتها بالاستحواذ على زوجها في كسب كل شيء منه، أما أم الزوج فترى أن هذه الزوجة الغريبة قد اختطفت ولدها منها وتعمل على الحيلولة دون ذلك، وبذلك تطحن العلاقة الزوجية بتدخل الأهل والأقارب، ولكن حكمة الزوجين وتفاهمهما من الممكن أن يضعا حداً لهذا التدخل بعدم اهتمامهما بكل ما يجري ثم معالجة الأمر بالحكمة والتروي.

ومن الواجب على أهل الزوجين الكف عن التدخل في خصوصيات الآخرين، وعليهم ألا يكونوا سبباً في تدمير حياة أبنائهم أو بناتهم.

أما التدخل من البعيدين سواء كانوا من الجيران أو الأصدقاء فهو مشكلة أخرى تأخذ طابع النصيحة. . ولذلك ينصح الزوجان بعدم إفشاء الأسرار الزوجية مهما كانت، وقد أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك، وأن يتفاهم الزوجان في كل الأمور ولا يسمحا لأحد بالتدخل في حياتهما الخاصة إلا في أضيق الحدود.

رابعاً ـ من أسباب الطلاق «المعصية»: فكم من زوجة تركت زوجها لأنه لا يصلي، أو يتعاطى المخدرات، أو يحمل أفكاراً فاسدة، ويسافر للخارج للفساد، أو يتعامل بالربا وما حرم الله ـ عز وجل ـ أو غير ذلك. .

وكتب الشيخ مازن الفريح في جريدة «المسلمون»: إن طاعة الزوج مهمة، وضرورية، وحث عليها ديننا الحنيف، ولكنها ليست طاعة مطلقة لا ضابط لها ولا قيد، فقال ـ عز وجل ـ في بيعة النساء: ﴿**ولا يعصينك في معروف**﴾[1] قال الإمام القرطبي: «إنما شرط المعروف في بيعة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى يكون تنبيهاً على أن غيره أولى بذلك وألزم له» وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إنما الطاعة في المعروف**» ولذا فإن طاعة المرأة لزوجها في معصية الله منكر يجب أن تحذره، وكم من امرأة كانت تظن أن طاعتها لزوجها ـ ولو في معصيته لله ـ تزيد من حبه لها، وتعلي عنده منزلتها فسايرته في منكراته، وأطاعته في معاصيه فأتاها الله من حيث

(١) من الآية ١٢ من سورة الممتحنة.

لا تحتسب وقذف في قلب زوجها البغض لها والنفور منها كما جاءني في رسالة تقول: «كنت شاباً أرتكب من المعاصي الكثير في داخل البلاد وخارجها، ثم تزوجت بامرأة صالحة بعد إلحاح شديد من والدي فقطعت على نفسي عهداً إما أن أطوعها على ما أريد وعلى ما أنا فيه، وإما أن أسرحها بمعروف، وفي غضون سنوات قليلة استطعت أن أغير كيانها، فقد لقيت استجابة منها حتى وصل الأمر إلى أننا نسافر إلى الخارج وتخرج من حشمتها بطوعها واختيارها، ونرتاد الملاهي والمسارح والمراقص دون أي وجل منها، ثم دارت الأيام وهداني الله ولزمت طاعة ربي، وقد عادت هي الأخرى إلى رشدها بعد عودتي، ولكني كرهتها، وكرهت الارتباط بها، حيث إنها لم تصرخ في وجهي في بداية الأمر معبرة عن رفضها لما أنا عليه.. إنني غير مرتاح معها برغم أنني حزين لما حصل لها بسببي إلا أنني لا أستطيع العيش معها أبداً.

وبهذا تتأكد لنا العبرة بأنه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

ويجيب الشيخ فريح العقلاء على تساؤل زوجة في جريدة «المسلمون» تقول فيه: «لقد تركت زوجي بعد أسبوع من زواجنا، لأنه يتعاطى محرمات تذهب بعقله، وقد جمعت له المهر الذي دفعه حتى أفتدي نفسي به، فهل عليَّ إثم في ذلك، وهل يمكنني الحصول على الطلاق؟

لقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «**الخمر أم الخبائث**» وأشد منها ضرراً المخدرات بأنواعها، التي تجعل الإنسان يتنازل عن كرامته، ويضحي بعرضه وشرفه ودينه، والزوج الذي يتعاطى المخدرات ليس كفواً أن يتشرف بالقيام بواجب الزوجية والقوامة على زوجته وأولاده.. وللمرأة كامل الحق في طلب الطلاق بدون إرجاع أي شيء مما دفعه من مهر وما يتعلق به، وإذا ثبت سلوك الزوج لدى القاضي فإما أن يتوب الزوج ويتعهد بالإقلاع عن هذا الفعل القبيح، أو يطلق زوجته وإن لم يفعل فإن القاضي يحكم بالخلع للزوجة والانفصال عنه.

وتقول سيدة أخرى: «أوصلني زوجي إلى زفاف قريبة له، وفوجئنا بأن لديهم رقصاً وأغاني وتصويراً ودخول الرجال على النساء، وحاولت أن أنكر ذلك ولكني لم أستطع الخروج لخوفي ألا أجد زوجي، وبعد انتهاء الفرح غضب زوجي وهددني إن رأى صورتي بالحفل أن يطلقني.

وبهذا نرى أن معصية الله، وارتكاب المحرمات يؤديان إلى نفور الزوج، وهدم الحياة الزوجية.

ومن صور المعصية أيضاً انشغال البيوت بالتلفاز والفيديو وما يعرض فيه من مناظر مخلة بالأدب والأخلاق، كما أن الإعراض عن ذكر الله عند دخول البيت أو عند الدخول على المرأة أو في الصباح والمساء هو من المعصية التي تعد من أسباب الطلاق.

كما أن من صور المعصية الإسراف في حفلات الزواج والولائم وما يسبقه من المغالاة في المهور والحفلات.

خامساً ـ سوء التربية: ومن أمثلة ذلك الدلال الزائد للبنت قبل الزواج، وعدم تعويدها على تحمل مسئولية الزوج، أو مسئولية المنزل، أو ترك الولد أو البنت للتلفاز أو الفيديو، أو بعض المجلات التي تعتبر منابر للهدم والتخريب، وتشجع البنت على رفض قوامة الرجل، وأنه يلزم أن تكون لها شخصيتها وسيطرتها، وتصور هذه الصحف والمجلات أن الحياة العائلية للزوجة ما هي إلا معركة تخوضها مرة مع أبيها الذي يبتزها أحياناً، ومرة مع أخيها الذي أخذ الصلاحيات وأصبح هو يخرج ويلعب ويمنعها من الخروج، وثالثة مع زوجها لتفرض شخصيتها ورأيها عليه، وبذلك تحول هذه المجلات الفتاة إلى قنبلة موقوتة تدمر نفسها ومجتمعها.

سادساً ـ سوء خلق الزوج أو الزوجة والظلم وعدم الإنصاف:

ومن هذه الصور الزوج الذي يظلم زوجته، لأنها لم تنجب ولداً،ويتحول في معاملته لزوجته، ويسود الشجار والخلافات، لأنه على حسب قوله بل جهله «فاض به الكيل» ويريد ولداً،وتكون هذه الرغبة مصدراً لنكد الأسرة، ثم بعد ذلك يطلق زوجته ويهجر بيته ليتزوج من أخرى لإنجاب الولد.

ونستعرض الحالات التي عرضتها جريدة «المسلمون» حول هذه النقطة:

تقول زوجة: «تزوجت منذ عشر سنين» وأنجبت ثلاث بنات، وبعد البنت الثالثة تغيرت معاملة زوجي، وأصبح يثور عليّ وعلى البنات، ولا يطيق لهن كلاماً، وتزوج من ثانية وأنجبت بنتاً، ويتوعدنا بالزواج بالثالثة والرابعة لإنجاب الولد، وحاولت إقناعه مراراً أن هذه مشيئة الله، وأن الرجل مسؤول عن ذلك ولكن لا فائدة.

تقول أم البنات: «إن انجابي للبنات هو السبب في هدم بيتي وهجر زوجي له، فقد أعطاني الله أربع بنات غرست فيهن الأدب والطاعة وحب الله، ولكن زوجي تزوج بأخرى أملاً في الولد وطلقني، وشاءت إرادة الله أن تنجب زوجته الثانية بنتين، وكانت تعيرني بأني أم البنات، ولكنها أصبحت مهددة مثلي من أجل إنجاب الولد».

وتحكي أخرى: أنجبت ثلاث بنات، وكان زوجي رجلاً طيباً عطوفاً، ولكن بعد إنجابي الثالثة أصبحت جلساته معنا كلها شجار وخلاف، وأخبرني بأنه سيتزوج من أخرى لإنجاب الولد.

وتقول أم أخرى: تزوجت ورزقني الله ثلاث بنات وولداً اهتم والده به أكثر من البنات، ومع مرور الزمن أنهى ولدي دراسته وسافر لإحدى الدول الأوروبية حيث تزوج واستقر هناك، ولم يعد لدينا إلا البنات اللاتي يواظبن على رعايتنا والاهتمام بنا.

وكما يرى الداعية الإسلامي الشيخ عادل غنيم ـ إمام وخطيب جامع أنس بن مالك بالخبر: فإن الفكرة الخاطئة عن إنجاب البنات هي من الجاهلية، وقد حث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حسن معاملة البنات، وعدم التفرقة بينهن وبين الأولاد، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من كان له أنثى فلم يؤذها ولم يهنها كانت له ستراً من النار**»[١].

وفي الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من يلي من أمر البنات ثلاثاً فأحسن إليهن أدخلنه الجنة**».

كما أن من صور سوء الخلق أن تكون المرأة بذيئة اللسان، دائمة الشكوى، لعانة، وكذلك الزوج، فيؤدي ذلك إلى الخلافات مستحيلة العلاج ويكون الطلاق.

■ **سابعاً ـ الغيرة:** وكما تحدثنا عن الغيرة من قبل فإنها إن وصلت إلى درجة مرضية فتصبح لعنة تهدم البيت، وتطيح بأركان الحياة الزوجية.. فكم من فراق تم بين زوجين بسبب الغيرة سواء كانت من جانب الزوجة، أو الزوج.. وهناك العديد من المشاكل التي تعرضها الصحف لمآسي الغيرة، وما ينتج عنها من خراب للبيوت والنفوس.

---

(١) رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد. انظر الترغيب والترهيب للمنذري (٦٨/٣).

فهذه امرأة كانت الغيرة السبب الرئيسي في طلاقها مرتين على الرغم من أنها تقول: «إنني شابة جميلة .إلا أنني شديدة الغيرة، فكثيراً ما أظن أن زوجي نظر إلى امرأة، أو أنه اختلس النظر إليها، وكنت أظن وأتخيل أن يحادث إحداهن بالهاتف، ولم أستطع العيش، بل لم يستطع زوجي العيش مع تلك الأوهام التي حاول مراراً إخراجي منها، ولكن دون جدوى وتم الطلاق، وتزوجت بآخر، وعدت إلى المشكلة نفسها على الرغم من حملي الأول منه والمفروض أن أكون أكثر حرصاً، ولكن تم الطلاق بسبب الغيرة القاتلة».

■ ويقول الشيخ أحمد القطان في جريدة «المسلمون»: لا يكون الشك بين الزوجين إلا في ريبة، والأصل في الحياة الزوجية الثقة المتبادلة وحسن الظن والمودة والرحمة، وأن يتعاون الزوجان فيما بينهما على بناء شخصية كل منهما في نفس الآخر، وكما يقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم والترمذي: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا» فهناك أخوة الإسلام العظيمة، وهناك حسن الظن، علينا أن نهدر كثيراً من الظن من أجل قليله وقال تعالى: ﴿**اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**﴾[1].

---

(١) من الآية ١٢ من سورة الحجرات.

فالحياة الزوجية إذا كانت الغيرة فيها غير طبيعية لاشك أنها تهدم، وقد كانت الغيرة موجودة حتى عند أمهات المؤمنين، ولكنها غيرة معتدلة لا إفراط فيها، فالغيرة المعتدلة مطلوبة، وضرورية، لأنها إن انتفت تماماً قد تصبح الحياة باردة باهتة لا حرارة فيها ولا حركة، فالقصد الاعتدال لا إفراط ولا تفريط.

وعن أسباب الطلاق ترى د. مريم الداغستاني أستاذة الفقه بجامعة الأزهر أن أسباب الطلاق في المجتمع المسلم ترجع إلى:

- التغيرات في الحركة الاجتماعية مما أدى إلى ازدياد شقة الخلاف بين الزوجين.
- اتصال العالم الإسلامي بالعالم الغربي اتصالاً وثيقاً أدى إلى تغير كيان الرجل والمرأة والخروج عن الواقع الإسلامي الذي يجعل العلاقة بين الزوجين هي الرابط المقدس فضلاً عن أن وسائل الإعلام لها دور خطير في تحريك هذا الكيان، وشيوع عبارات مثل استقلال المرأة أدبياً ومادياً، وتكوين نظرة خاصة تنفرد بها إن لم تأخذها نصيحة من أهلها، وهي أنها يجب أن تستقل بمرتبها بعيداً عن الزوج، وهذا خطأ، لأن المال مال الله والحياة شركة، ويكفينا السيدة خديجة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث إنها تزوجت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يتاجر لها بمالها، وعبدالله بن مسعود عندما احتاج إلى بعض المال سألت زوجته النبي - صلى الله عليه وسلم - هل أعطيه؟ فأجابها: أعطه ولك أجران، أجر العون وأجر القرابة أي

الزوجية، غير أن جهل الرجل والمرأة والمجتمع بحقيقة القوامة الشرعية والاجتماعية والإنسانية هو السبب، فهناك بعض النساء يعتقدن أن قوامة الرجل معناها أن الرجل يفعل ما يشاء، وما هي إلا أنثى يجب أن ينفق عليها زوجها فقط، وهذا مفهوم خاطىء، فالإنفاق ليس مسئولية الرجل الوحيدة، ولكن هناك الكثير من الأمور التي لا تستطيع أن تقوم بها المرأة بحكم تكوينها. وهناك سبب خطير لإفساد الحياة الزوجية وهو تدخل الأم بشكل خاطىء، فأحياناً تنصح الأم ابنتها بما يخرب بيتها، وعلى الزوجة أن تدرك أنها خرجت من عصمة أهلها إلى عصمة زوجها ومادام مستقيماً لا يأمرها بالمعصية فعليها حق الطاعة له، وليس لأهلها عليها سلطان.

كما أن ارتفاع سن الزواج نتيجة تعليم المرأة وبالتالي خروجها للعمل مع ارتفاع مستوى المعيشة كل هذه الأسباب أدت إلى هشاشة العلاقات الاجتماعية.

وتعود كثرة الخلافات إلى أربعة أسباب عامة: إما لعيب في الأنثى ورؤيتها للحياة، أو لعيب في الرجل، أو أن العلاقة الفكرية والاجتماعية بينهما خطأ، أو أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية ضاغطة.

ضحايا الطلاق

الطلاق ليس كلمة هادمة تنطلق في لحظة غضب وانفعال سواء كان لسبب مقنع أو لأسباب تافهة بسيطة فحسب، ولكن الطلاق له من الآثار الجسيمة والخطيرة على الزوج والزوجة وعلى الأبناء الذين يعدون بحق هم الضحية الأولى الذين تقع عليهم الآثار النفسية والاجتماعية والمادية للطلاق.. ويعيشون الضياع بعد فقد دفء الأسرة وحنان الأب والأم والجو العائلي.

لقد أكدت الدراسات العديدة التي أجريت أن الطلاق وما يتبعه من آثار وأخطار تصيب شخصية الأبناء بالاضطراب والقلق والتوتر، ولقد شملت هذه الدراسات الأحداث المودعين بمؤسسات الأحداث، وأظهرت أن أكثر من ثلثي المودعين بها قد انحرفوا من جراء تصدع أسرهم بالطلاق، وزواج الأم من آخر لا يطيقه الأبناء، وزواج الأب من أخرى يخشى عليها من الأبناء.. كما أن أغلب الأبناء الذين يعانون نتيجة غياب الأب أو الأم أو كليهما من جراء الطلاق يبحثون عن عالم ينسون فيه مشاكلهم فيقعون فريسة في أيدي رفاق السوء، بينما ينحدر أكثر من نصف هؤلاء الأبناء في ظلال الانطوائية وحب الانعزال والانسحاب من عالم الاتصال والتفاعل مع الآخرين. كما أن أثر الطلاق على نفسية الصغير أشد وطأة من آثار الحروب، ففي

الطلاق تتحطم نفسيته، وفيه عدوان على كيانه، ونفي لشخصيته، واعتداء على أمنه الاجتماعي واستقراره الوجداني، وضياع لموازين الأخلاق ومعايير السلوك، وتلويث لبيئته الذهنية.

كما أظهرت الدراسات التي نشرتها إحدى المجلات المحلية أن الأطفال الذين تتحطم أسرهم في سن مبكرة يقعون تحت ضغوط غير عادية تجعلهم باستمرار متأخرين في دراستهم عن أقرانهم الذين يعيشون في ظل أسر طبيعية، ويتأخرون في سن القراءة حوالي ١١ شهراً على الأقل، بالإضافة إلى العبء الاجتماعي الذي يقع غالباً على الأم التي تصبح أكثر فقراً، وينخفض مستوى حياتها وحياة أطفالها، وبالتالي ينخفض مستوى تعليمهم، وأوضحت الدراسات أن الأطفال الذين ينشأون في أسرة كثيرة الخلافات والمشاكل أفضل من أولاد الطلاق.

وفي دراسة قام بها د. كمال إبراهيم مرسي بكلية التربية جامعة الكويت تبين من خلال متابعة أطفال الطلاق أن السنة الأولى من الطلاق فترة حرجة في حياة الأطفال، حيث تواجههم صعوبات كثيرة تؤثر سلبياً على توافقهم النفسي والاجتماعي، ومن هذه الصعوبات التغير في بيئتهم الاجتماعية، واستمرار الخلافات بين الوالدين بعد الطلاق، وعدم قدرة الطفل على التعامل مع والديه بحرية بعد الطلاق، كما أن للطلاق آثاراً سيئة

كثيرة على النمو النفسي للطفل من أهمها: تكوين مفهوم الذات السيىء، ومفهـوم الوالدين السيىء مما يؤدي إلى اختلال نمو الشخصية، وضعف الثقـة في النفس وفي النـاس، وسيطرة مشـاعـر القلق، وانخفـاض الطموح، وقلة الرغبة في العمل والإنجـاز، وضعف التحصيل الـدراسي، واضـطراب العـلاقة بالزملاء والمدرسين، وسوء التوافق النفسي الاجتماعي، ويستمر تأثير الطلاق على الأطفال في مرحلة المراهقة، حيث إنهم لا يثقون بأنفسهم ولا بالوالدين، ويغلب عليهم التشاؤم والشك، ويبالغون في التمرد والسلبية وأحلام اليقظة.

وفي دراسة نشرتها جريدة عكاظ عن الطلاق وآثاره على الأسـرة والأطفـال في فرنسـا أشـارت البـاحثـة في المجلس الاستشاري للزواج «ماري فرانس بلا» إلى أن نسبة الطلاق في فرنسا **٣٣٪** بعد مرور مائة عام على إصدار قانون يبيح الطلاق، وأن فقـدان الأطفـال للأب لا يكـون عادة بسبب افتقاد الأب لغريزة الأبـوة.. أو لعـدم المبـالاة، ولكنه غالباً بسبب الفقر والبطالة على الرغم من أن **٧٥٪** من حالات الطلاق هي التي تطلبهـا الزوجة، وأوضحت الدراسة أن أطفال الطلاق يصابون بالأمراض النفسية، وأول الأعراض التي يصابون بها القلق وعدم الاستقرار والكوابيس المرعبة أثناء النوم.

وقالت دراسة اجتماعية هولندية نشرتها جريدة الرياض: إن الفتيات يعانين أكثر من الأولاد، لأن الأولاد أكثر مقدرة من الفتيات في تحمل آثار انهيار الحياة الزوجية، لأن الفتيات أكثر حساسية تجاه الأجواء العائلية غير المستقرة والتي يكتنفها النزاع والخلافات، كما أن الأولاد الذين يعيشون في أسر تكثر فيها المشاكل يكونون أكثر عدوانية، وتسهل استثارتهم بخلاف البنات.

وأكدت دراسة بريطانية أن أطفال الطلاق غير سعداء في حياتهم، ويصابون بأمراض مختلفة، ويعيشون حالة عدم الاطمئنان على مستقبلهم، وأن بعضهم يتجه إلى عالم الجريمة.

ومن تحقيق لجريدة «المسلمون» حول ضحايا الطلاق نقتطف بعض الحالات وبعض الضحايا الذين يعانون من اليتم رغم بقاء الوالدين على قيد الحياة:

● طفلة لم تتجاوز الرابعة من عمرها جلست في إحدى جمعيات تحفيظ القرآن الكريم وتظهر عليها علامات التخلف، وتمسك في يد إحدى قريباتها وتبكي قائلة: لا أريد الذهاب إلى أم لا أحبها وهي جدتها التي تضربها وتخوفها دائماً، لأن أمها تطلقت، وتزوجت بآخر».

- وهذه فتاة أخرى لا تتورع عن إظهار الكره لوالدها بكلمات قاسية، لأن أباها حرمها من العيش مع أمها وإخوانها معه في بيت واحد.
- وهؤلاء ثلاث فتيات رفضن الزواج، لأن والدهن دفع والدتهن لطلب الطلاق بضربه المبرح لها، وفقدن الثقة، واعتبرن أن كل الأزواج صورة من أبيهن.
- وهذا طفل في الثامنة من العمر يعيش مع أمه بعد طلاقها، وعندما سمع بعرض الزواج عليها من آخر انتابته نوبة عصبية وأخذ يصرخ ويبكي ويشد شعره ويقول لها: لا تتزوجي إلا أبي.. وكان هذا مستحيلاً في ذاك الوقت، لأنها مطلقة ثلاثاً.
- وهاتان صغيرتان تعيشان مع والدهما ولا تريان أمهما إلا في العيد، ويبدو عليهما الخجل والتوتر والتوجس، لأنهما لا تحسان بحب أحد لهما. ولا أحد حتى من أقاربهما يشتري لهما لعباً أو يسأل عنهما كما يفعلون مع أبناء زوجة الأب.
- وتلك أم مطلقة تقول: لقد صار أولادي أشباحاً، يرسبون في دراستهم، وظهر الغباء عليهم، لأن والدهم وزوجة أبيهم حرماني منهم، ولا أستطيع حتى أن أتكلم معهم، ويعيشون في قسوة وجفوة الأب وزوجته.

● وهذا آخر في الرابعة عشرة من عمره يعيش مع أمه يأتي من المدرسة ويستمر في الشارع حتى منتصف الليل، ولا تستطيع أمه مراقبة سلوكه ولا معرفة أصدقائه حتى انتهى به الحال إلى الأحداث بعد أن فشل في دراسته.

● وهذه فتاة أخرى في الثانية عشرة من عمرها تهرب من المدرسة وتذهب لأمها، وبرغم شدة والدها إلا أنها بعد الخروج من المدرسة تذهب إلى أمها وتعود قبل حضور أبيها.

● ضحية أخرى في السابعة من عمرها تعيش مع والدها تهرب إلى مدرسة أمها لتراها، لأنها عندما تذهب إلى جدتها لترى أمها يمنعونها، لأنهم يكرهون أباها، ولا يريدون أن يربوا له ابنته.

● وتقول مديرة مدرسة: إن آثار الطلاق تظهر على الفتيات أكثر من الأولاد، وتظهر عليهن علامات المذلة والمهانة كما يصبن بالتأخر الدراسي والسلوك العدواني والتأخر عن الحضور.

مطلقات .. نادمات؟!

على الرغم من أن الطلاق يرتبط في أذهان الجميع بمعنى واحد وهو خراب البيوت، وخراب حياة المرأة والرجل والأطفال، حيث تخرج المرأة من تجربة الطلاق بجوارحها حزينة، وشعور بالخزي نتيجة لهذا اللقب الكريه لديها «المطلقة».

ورغم أن المرأة تعيش سلسلة من الخلافات والمشاحنات، وحرباً حامية مليئة بالنكد والتعاسة، وتنظر المرأة إلى مراحل حياتها والتي ترى أنها أصبحت مستحيلة، وتتمنى أن يتم العلاج الأخير ألا وهو الطلاق لهذا التصدع الأسري، ورغم أنها تشعر أنها سجينة خلف قضبان هذه الحياة الزوجية، وتتمنى أن تخترق هذه القضبان وتصبح حرة إلا أنها عندما تصبح حرة تماماً من هذا التصدع تكتشف أنها واهمة.. إذ إن العقبات تقف في طريقها كقضبان حديدية، وتصبح مع الأيام أكثر ارتفاعاً، وأشد صلابة من خلال نظرة المجتمع الظالمة لها.

إن المطلقة تعض أصابع الندم في وقت لا ينفع فيه الندم، وهناك العديد والعديد من النماذج للمطلقات النادمات واللاتي وقعن فريسة لنار الندم بعد فوات الأوان تنشرها الصحف والمجلات، ومنها جريدة «المسلمون» ومن ذلك:

■ **مطلقة تحكي حكايتها وتقول:** لم تكن تجربتي وحياتي مع زوجي سعيدة، بل كانت سلسلة من الخلافات، ولا يكاد يمر يوم إلا وتنشب معركة تتخللها الصيحات والشتائم، بل والضرب أحياناً، وكان الطلاق النهاية المتوقعة، ورغم معرفتي بخطورته إلا أني فضلته، لأن الحياة أصبحت مستحيلة، وهذا خير من أن يرى الأطفال أباهم وأمهم يتبادلان الإهانات والاتهامات أمامهم.. لقد حاصرني المجتمع من حولي بالاتهامات والنظرات الغريبة، فمن النساء من حجبت أطفالها عن اللعب مع أطفالي، والقريبات كن يخشين على أزواجهن مني.. كما أن معاناة أطفالي صارت شديدة، فهناك طوفان من الأسئلة يحاصرهم من زملائهم عن أبيهم ولماذا لم يعش معهم.

وبذلك فقد كنت واهمة أنني سأخرج من هذه المحنة وأفتح صفحة جديدة في حياة أولادي.

● **مطلقة أخرى تقول:** لقد تزوجت مع معارضة أهلي لزوجي بسببَ الفارق الاجتماعي بيننا، وكانت طبيعة عمله تحتم عليه الاختلاط، وكنت أشعر بغيرة عمياء من كل تصرفاته، وساءت علاقتي به، وطلبت الطلاق، وألححتُ فيه، وعدت إلى بيت أهلي مع طفل يبلغ ثلاث سنوات. لقد أدركت أنني أخطأت خطأ كبيراً في طلب الطلاق وتشريد طفلي.

● **قصة أخرى تقول صاحبتها:** لقد زوجني أهلي من ابن عمي وأنا في السابعة عشرة. ولم أكن أفكر في الزواج، وكنت أريد أن أكمل دراستي، وأقنعني أهلي بأن الدراسة ليست مهمة. وبعد مرور شهر واحد على الزواج غادرت المنزل إلى أهلي، ورفضت العودة إلى زوجي مع أنه لم يوجد سبب مقنع لطلبي الطلاق، ومع ذلك صممت على الانفصال. وأنا الآن أعيش في منزل والدي أندب حظي، وأنا نادمة أشد الندم لأن الجميع تزوج ورزق أولاداً وأنا الآن وحيدة ونادمة، لأنني لم أكن واعية حينذاك.

● **وتحكي أخرى قائلة:** نشبت خلافات بيني وبين زوجي بسبب إصراره على الزواج بأخرى ومعارضتي لهذه الفكرة. وغادر الزوج المنزل تاركاً لي ولأولادي طوال شهر رمضان المبارك.. وأقام عند أمه وامتنع عن الاتصال بنا حتى آخر يوم في رمضان أرسل ورقة الطلاق وأخبرني أنه تزوج من ابنة خالته، فسقطت مغشياً علي.

لقد كان من الأفضل لها أن تبقى نصف زوجة على أن تبقى وحيدة مع أولادها تعاني مشاكل لا حصر لها.

● **مطلقة نادمة تذكر أنها** تزوجت وشاء الله ألا ترزق بطفل، وبذل زوجها كل ما في وسعه لأجلها.. وأمام ضغط الأهل وإلحاح الغريزة قرر الزواج، وجن جنونها، ورجاها أن تحكم عقلها حول ضرورة استمرار الحياة بينهما ولكن نار الغيرة قد أعمت بصرها

وبصيرتها وطلبت الطلاق وحاول معها وتزوج دون أن يطلقها إلا أنها كانت في ثورة عارمة وأصرت على الطلاق ولا تملك الآن إلا دموع الندم على تلك الأيام الحلوة السابقة.

● وتلك سطور أخرى ترويها من تشعر بالحسرة والندم نتيجة الخيار الصعب الذي هدم البيت الجميل تقول:

لقد تخرجت من الجامعة وعملت في إحدى الوظائف المرموقة، وخطبت لشاب وضعه المادي ميسور، وتمت الخطبة وكانت الشقة والأثاث في أيام معدودة بعدها، وتم الزواج في أيام سعيدة، ثم سافر الزوج إلى عمله في إحدى البلاد العربية لألحق به، ولكن طبيعة عمله تتطلب المبيت خارج البيت فشعرت بالغربة والتوتر والوحدة، وبدت الخلافات حتى ذهبت إلى أهلي فوضعت طفلة، وجاءت رسالة من عملي بالعودة إليه وإلا سيتم استبعادي فعدت إلى عملي وأصر زوجي على العودة إليه مع ابنتي واستمر الخلاف بيننا وامتد إلى المحاكم واستمر سنوات كانت فيه الطفلة مريضة، وبعد سنوات طويلة عاد الزوج لينفصل عني .. ورغم أن الزوج سلبني حقوقي أنا وابنتي ولم يسأل ولم ينفق على ابنته إلا أنني أشعر بالحسرة والندم على سنوات الشباب التي ضاعت في الخلافات وأنا الآن في خريف العمر، واكتشفت أن بريق العمل ما هو إلا بريق زائف، ولكنه ندم بعد فوات الأوان.

وهذه أخرى يقتلها الندم تحكي قصتها قائلة: لقد اختلفت مع زوجي عندما جاء خطيب لابنتنا الوحيدة، وطالبته بتغيير حجرة

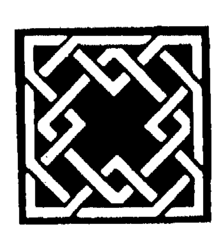
الاستقبال لاستضافة العريس، ورفض زوجي لأن ظروفه لا تسمح، ولأن هذا أمر شكلي، ولكنني صممت على رأيي وتركت المنزل غاضبة، وحاولت ابنتي وأخي إرجاعي إلى المنزل، ولكنني رفضت حتى ينفذ لي زوجي رغبتي، وتركني سنة كاملة حتى أفيق لرشدي وكما يقال: «العناد يورث الكفر» فطالبته بالطلاق ولكنه انفعل وطلقني بعد أن عدت للمنزل وترك لي المنزل.. وقد قمت بشراء الأثاث الجديد من صداقي ونفقة المتعة!! وبذلك استطاع الشيطان الذي تسلط علي أن يخرب البيت، وكان من الأفضل أن يأتي العريس ويجد أسرة مترابطة بالمودة والرحمة على أن يأتي على أثاث جديد.

كما أن الندم شعور يلاحق الطلاق ويتبعه حتماً سواء عند المرأة أو عند الرجل كما يؤكد علم الاجتماع.

فإن هناك العديد من الرجال الذين يتجرعون كأس الندم والمرارة بسبب اتخاذهم هذه الخطوة الخطيرة نتيجة الغضب والجنون وعدم التروي أو نتيجة الغباء.

فهذا رجل يحكي تجربته قائلاً: إنه عاش يحلم بها وتحلم به، وحينما تزوج بها شعر أنه محظوظ، وعاش حياته مليئة بالود والاحترام، وقد كانت في قمة النزاهة وحفظ النفس، ولكنه بحمقه وطيشة هدم حياته وسعادته فقد علم أنها خرجت في زيارة لمريضة في المستشفى مع زوج أختها فجن جنونه، وانطلق كالرعد مع

شهادة أمه التي تؤنبه وتقول له: لقد ظلمت زوجتك، وظلمت نفسك، وزوجتك أنقى من السحاب، وأنا كنت معها، وخرجت بإذن والدك. ولكن الغضب والجنون هدد حياته وأسرته، وبقي يحس بالمرارة ويدفع ضريبة حمقه، ويبكي على الأيام الجميلة.



الطلاق في أرقام

إن نسبة الطلاق تزداد في كل بلاد العالم سواء في العالم العربي أو في الغرب، وتتفاوت هذه النسبة من بلد لآخر، وتختلف وتتفاوت الأسباب والظروف المؤدية للطلاق.

ففي بريطانيا ارتفعت نسبة الطلاق ارتفاعاً حاداً في السنوات الأخيرة كما كشفت الإحصائيات الرسمية التي أذيعت في لندن عن هيمنة المتغيرات السلبية على المفاهيم الاجتماعية، وانخفضت بنسبة كبيرة في عقود الزواج الرسمية.

وفي مقاطعتي إنجلترا وويلز تم عقد زيجات رسمية في عام ١٩٩١م بنسبة انخفاض ٧٪ عن ١٩٩٠م، و ١٣٪ عن العقود التي أبرمت قبل عشرة أعوام (١٩٨١م).

وتشير الدراسة التي نشرتها جريدة المسلمون إلى ارتفاع نسبة الطلاق عام ١٩٩١م بواقع ٣٪ عن حالات الطلاق في العام الأسبق (١٩٩٠م) وبزيادة ٩٪ عن حالات الطلاق التي تمت قبل عشرة أعوام (١٩٨١م).

كما انخفضت نسبة الزواج، وارتفعت نسبة الطلاق بين الرجال فيما بين سن السادسة عشرة فأكثر، وبنسبة ٣٨,٧٪ مقارنة بشرائح النساء، ومن نفس الأعمار حيث بلغت نسبتها ٤٢,٩٪ في

عام ١٩٩٠م، فيما كانت هذه النسبة في حدود ٤٤,٧٪ قبل عشرة أعوام من إجراء الدراسات.

وارتفعت نسبة الشباب الذين يفضلون تكرار التجربة رسمياً في عام ١٩٩١ وبنسبة ٣٧٪ مقارنة بنسب تكرار حالات الزواج وعقوده المبرمة في ١٩٨١م. كما أن الرجال أصبحوا أكثر ميلاً إلى تأخير الإقدام على الزواج بسبب ما طرأ على المجتمع البريطاني من عوامل جديدة ساهمت في بلورتها الاختناقات الاقتصادية.

وفي الصين تزايدت معدلات الطلاق، ووصل معدل الطلاق إلى ٩٠٩ آلاف حالة عام ١٩٩٣م كما أن المعدل يتزايد بنسبة ٣٠٠ في المائة كل عام منذ عام ١٩٩١م كما جاء بإحدى الصحف المحلية.

ويزيد من ارتفاع حالات الطلاق زيادة الاتجاه نحو الاقتصاد الحر، وتمكين الصينيين من زيادة نسبة دخولهم مما يؤهلهم لتحمل نفقات الطلاق ثم الحياة بمفردهم في حالة من الاستقلال المالي.. كما أن هذا الاتجاه نحو زيادة الدخل أصاب الصينيين بالقلق والتوتر مما يسبب المشاكل الأسرية.

ومن المعروف أن الصين لم تكن تبيح الطلاق إلا منذ عشرين عاماً، وكان لابد للراغبين في ذلك من الحصول على موافقة جهة العمل، ثم لجنة الحزب الشيوعي، ثم بعد ذلك تنظر المحكمة في طلب الطلاق. وكل هذه الإجراءات كانت لا تشجع

الصينيين على الدخول في هذه التجربة، كما أنه حسب العقيدة الصينية فإن المرأة لا تتزوج إلا مرة واحدة في حياتها، وكذلك الأرملة تظل بدون زوج.

في المملكة العربية السعودية: ذكر التقرير الصادر من وزارة العدل والذي نشرته جريدة الجزيرة أن عدد صكوك الطلاق هو ٢٨٢٥ صكاً بمنطقة الرياض خلال عام ١٤١٣هـ وفي محافظة سدير بلغ ١٠٢ صك طلاق، ومحافظة القويعية ١٢٨ صك طلاق، وفي محافظة الدواسر ١٥٤ صك طلاق في العام نفسه، ومحافظة الأفلاج ٧١ صك طلاق، وفي محافظة الدوادمي ٢٥٩ صك طلاق، وفي منطقة القصيم ٩٥٠ صك طلاق في عام ١٤١٣هـ وفي منطقة حائل ٤٩٨ صك طلاق، وفي منطقة الحدود الشمالية ٢٠٤ صك طلاق، وفي منطقة الجوف ٢٢٥ صك طلاق، وفي منطقة تبوك ٥٩٠ صك طلاق. أما في منطقة المدينة المنورة فقد بلغ ١٠٨٥ صك طلاق، وفي منطقة مكة المكرمة بلغ ٢٣٧٨ صك طلاق، وفي منطقة الباحة ٢٥٠ صك طلاق، أما في محافظة القنفذة فقد بلغ ٢٢١ صك طلاق، وفي منطقة عسير ١٤٢١ صك طلاق في نفس العام ١٤١٣هـ أما في منطقة جازان فقد وصل إلى ٢٧٤ صك طلاق، وفي منطقة نجران بلغ ٩٨ صك طلاق، وفي محافظة الأحساء بلغ ٣٦٣ صك طلاق، وفي المنطقة الشرقية وصل إلى ١١٣١ صك طلاق خلال عام ١٤١٣هـ.

وفي المغرب زادت نسبة الطلاق. وكما يقول المراقبون فإن خروج المرأة للعمل والفقر والبطالة وغلاء المعيشة من الأسباب المباشرة لزيادة الطلاق، بالإضافة إلى الأسباب الأخرى وهي البعد عن الإسلام، وبناء خلايا أسرية على أسس غير سليمة، وتختلف الأسباب من شخص لآخر، ومن وسط لآخر. . إلا أن نسبة الطلاق في ارتفاع مستمر سنة بعد سنة، وكذلك ترتفع نسبة الزواج المختلط، وبخاصة المغربيات بمسلمين غير عرب كما ذكرت جريدة «المسلمون».

وفي الأردن زادت نسبة الطلاق، وارتفع عدد حالات الطلاق من **٤٦٤٦** حالة في عام **١٩٨٨** إلى **٥٥١٣** حالة في عام **١٩٩٢م** ووقع العدد الأكبر لحالات الطلاق في مدينتي عمان والزرقاء وهما الأكثر سكاناً في الأردن. . وهذه الحالات تقع ما بين **٣٠-٤٩** سنة، وتقع أيضاً بين سنة واحدة وست سنوات من الزواج، وتتضاءل بعد ذلك لتشتد بين السنة العاشرة والرابعة عشرة، لتقل وتتضاءل فوق العشرين سنة.

وأوضحت الدراسة التي نشرتها جريدة «المسلمون» أن حالات الطلاق في السنة الأولى من الزواج تشكل حوالي **٣٥٪** من المجموع، وفي السنة الثانية حوالي **٢٥٪** أي حوالي **٦٠٪** من حالات الطلاق تقع في السنة الأولى والثانية من الزواج، وتختلف الأسباب المؤدية لذلك. كما ازداد معدل المطلقين المتزوجين ثانية حوالي **١٢٠٠** في السنة، وزاد معدل زواج المطلقات **١٥٠٠** في السنة.

وفي مصر حذر الباحث الاجتماعي د. محمد المجدوب من تحميل المـرأة أسباب الخلافات الاجتماعية والفشل الأسري وأن مالا يقل عن ٦٠٪ من حالات الطلاق بسبب تصرفات الرجل. كما أظهـرت دراســة أخـرى عرضتهـا جريدة «المسلمـون» أن ٧٣٪ من الحالات التي تم طلاقها «مرتاحة» لاتخاذ القرار بالطلاق، فيما أعلن ٢٧٪ عن أسفهم وأسفهن لاتخـاذ قرار الـطلاق، كمـا أن الحـرفيين يبـدون الأسف أكثر من حاملي المؤهلات العليا، وأن ٩٠٪ من حالات الطلاق تتم بقرار شخصي من الزوج أو الزوجة دون تدخل الأهل.

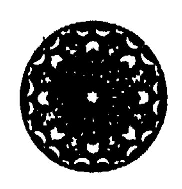
وتوضح إحصائيات الأمم المتحدة أن الطلاق في كل العالم يأتي بعد ٤ سنوات من الزواج في المتوسط، وهذا يشمل أمريكا ودولاً مثل فنزويلا، وروسيا وجنوب أفريقيا. . وأظهرت الدراسة التي تمت على ٦٢ دولة أنه بعد أقل من سنة من الزواج يحدث الطلاق في ٢٠ دولة.

بعد سنة من الزواج يحدث الطلاق في ٢٢ دولة.
بعد ٣ سنوات من الزواج يحدث الطلاق في ٣٠ دولة.
بعد ٤ سنوات من الزواج يحدث الطلاق في ٤٢ دولة.
بعد ٩ سنوات من الزواج يحدث الطلاق في ٣ دول.

كمـا أن الوضع يختلف في بعض الدول العربية مثل مصر فتـزداد نسبـة الطلاق قبل نهاية سنة من الزواج، وتقل النسبة بعد

سنة، ثم بعد سنتين لأسباب دينية واجتماعية تختلف عن الغرب كما ذكرته مجلة «الرجل».

وفي البحرين: أشارت إحصائية للجهاز المركزي البحريني للإحصاء نشرتها «صحيفة الجزيرة» إلى ارتفاع حالات الطلاق في عام ١٩٩٤م. فقد ارتفع عدد حالات الطلاق من ٦٣٦ حالة عام ١٩٩٣م إلى ٦٦٣ حالة في عام ١٩٩٤م، كما أن هناك ٣٩ طلاقاً بين غير البحرينيين مقابل ٣٧ حالة في العام ١٩٩٣م.



عجـائب الطـلاق

يقـول الأستـاذ سيد عبـدالفتـاح في كتـابـه «غرائب الزواج وعجائب الطلاق»:

ـ إن سيدة من «شيكاغو» طلبت الطلاق من زوجها، لأنه يعشق روايات الجرائم، ويشغل معظم السهرات بإلقائها على الأرض كأنها جثة ليتمكن من تصور الأحوال التي حدثت فيها الجريمة التي يطالعها.

ـ وطلبت زوجة الطلاق من زوجها، لأنه أحرق أمامها ما تحبه من طوابع البريد.

ـ وطلبت أخرى الطلاق، لأن زوجها ظل يأكل البصل في السرير عشرين عاماً، وقد وجدت أن هذه العادة منفرة ومزعجة.

ـ وطلق زوج زوجته الرابعة وعمرها ١٠٦ سنة لأن ميولهما غير متقاربة.

ـ وطلق زوج زوجته وعمره مائة عام لأنه يريد أن يبدأ حياة جديدة سعيدة.

ـ وطلبت إحـدى السيدات الطلاق من زوجها، لأنه طالبها بأجر قدره شلن يومياً مقابل عمله في المنزل.

ـ وأصرت زوجة على طلاقها، لأن زوجها يضع قطناً في أذنيه كلما زارتها والدتها في بيته.

ـ وحصلت إحدى السيدات على حكم بالطلاق وهو العاشر بعد أن تزوجت تسع مرات أخرى من مختلف الجنسيات.



قبل التوقيع على ورقة الطلاق

إن الأسرة ذلك الكيان الذي نسعى دائماً لتكوينه والحفاظ عليه ثم قد يهدمه بعضنا في لحظة.. بعد أن تعبنا في بنائه وبذلنا له الغالي والنفيس من جهد وصحة ومال وعشنا معه وبه أجمل أيام العمر، وهذه الأيام الجميلة تغتالها لحظة غضب.. في لحظة حضور شيطاني يزرع الفرقة بين الأحبة.. كلمة تخرج من بين شفتي الرجل تنطلق كالرصاص لتصيب المقتل في الأسرة الصغيرة أو الكبيرة، إنها رصاصة الموت البغيض.

فقبل إطلاق هذه الرصاصة عليك أن تنتبه عزيزي الزوج وعزيزتي الزوجة إلى هذه النقاط كما يقول غازي العتيبي بإحدى الصحف المحلية:

١ - تذكر عزيزي الزوج أن زوجتك هذا المخلوق الضعيف قد تخطىء ولكن أين أنت كرجل من تعديل الخطأ، ألا توجد أي سبل لمعالجة هذا الخطأ غير الطلاق؟!

٢ - انظر عزيزي الزوج ألف مرة، بل عشرات الآلاف من المرات قبل أن تقدم على إنهاء علاقتك الأسرية، وليس الزوجية فقط.. انظر إلى أولادك أين سيكون مصيرهم بعد أن تتركهم.

٣ ـ لو كان المسيء أو المخطىء منكما ينظر إلى داخله ويحاسب نفسه ويكون صادقاً مع ذاته قبل محاسبة الطرف الآخر وتعديل تصرفه لكان أفضل، لماذا لا توجد لغة للحوار؟، ولماذا لا نتخذ حكماً عدلاً من أهلينا عند وجود أي عاصفة زوجية غاضبة؟

٤ ـ لابد أن تعرف عزيزي الزوج مدى معاناة المرأة من صفة مطلقة عندما توصف مرغمة أو راغبة. . إنها معاناة جسدية ونفسية لها ولأبنائها الذين يلحقون بركب الضياع لفقدان والدهم.

وإليك عزيزتي الزوجة :

١ ـ كوني له الأم والأخت والزوجة.

٢ ـ راعي الله في زوجك وأبنائك، و قومي على طاعته، ولا تفعلي ما يغضبه ويسيء إليك وإليه.

٣ ـ كوني له الأمينة على بيته وماله وولده.

٤ ـ لا تكوني مصدر قلق وعدم راحة، اجعليه كالابن في الملاطفة، وكالأب في الاحترام والتقدير.

٥ ـ كوني له الزوجة الوفية، وأدي كافة الحقوق والواجبات التي أمرك بها الدين الحنيف، فعن رسول الله ـ صلى الله عليه

وسلم ـ قال: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها**»[(١)].

٦ ـ أدي إليه حقوقه وواجباته حتى تفوزي بالجنة التي وعد الله بها كل امرأة ماتت وزوجها عنها راض.

٧ ـ يجب أن ينظر الرجل والمرأة إلى مصلحة الأطفال الضحية الأولى من الطلاق، وأن يؤثرا راحة الأبناء على راحة كل منهما لنفسه فقط.

٨ ـ يجب أن يجعل الزوجان الاعتذار عند الخطأ مفتاحاً لباب المحبة واستمرار الحياة.

٩ ـ اعلمي أختي الزوجة أنه بوقوع الطلاق سينتزع منك الملك، فأنت في بيتك سيدة مكرمة معززة، ملكة في بيتك كما يقول الشيخ عبدالعزيز الغامدي.. فإذا غادرت منزلك صرت لا تملكين شيئاً، كما أنك تكتسبين لقباً غير لقبك، وهو مطلقة، وهو غير محبب للنفس، كما أنك عزيزتي المطلقة لن يتقدم للزواج منك أحد، لأنك ستصبحين في منافسة بينك وبين البكر، والمنافسة محسومة للبكر. كما أنك ستحرمين من أبنائك، بل وقد تربين غير أبنائك، وستكون حياتك عذاباً في عذاب، ويجب أن تفكري آلاف المرات حتى لا تندمي بعد وقوع الطلاق.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة (٣/٤٦٥) رقم (١١٥٩) وقال: «هذا حديث حسن غريب».



الباب الثاني

الطلاق ... رؤية إسلامية



النشوز[1]

يعد النشوز أحد الخلافات والأمراض التي تصيب الحياة الزوجية ويعني: عصيان المرأة لزوجها، وارتفاعها على أوامره، وعدم معاشرتها له بالمعروف. وقد حدد الفقهاء أسباب النشوز في:

١ ـ إجبار المرأة على الزواج من زوج تكرهه بعد بلوغها بدون إذنها أو مشورتها، وقد يكون مسناً وهي صغيرة، أو فقيراً أو بخيلاً.

٢ ـ قد تكره المرأة زوجها لما تعلم من سوء مسلكه الأخلاقي، وممارسته بعض المحظورات، ولخوفها من بطشه لا تستطيع الاعتراض عليه، فتنمو في نفسها كراهيته إلى حد النشوز هرباً من كدر العيش منه.

٣ ـ قد تكره المرأة زوجها لضعفه أو عجزه في حالته الجنسية معها، ويمنعها الحياء من الإفصاح بذلك، وقد تكون جاهلة ولا تعلم أن ذلك يوجب الفسخ أحياناً فتكرهه وتلوذ بالنشوز.

٤ ـ قد تكرهه كرهاً شديداً لسوء عشرته، وفحش قوله، وبذاءة لسانه، فيكيل لها ولأهلها السباب لأتفه الأمور فتخلق معاملته السيئة عندها عقداً نفسية مما يجعلها لا تستطيع قبوله ولا معاشرته.

(١) انظر كتاب أمراض الحياة الزوجية للدكتور سامي محمود، الدار المصرية للنشر والتوزيع.

٥ ـ قد تكرهه لما يؤثر به نفسه عليها من المأكل والمشرب فيطعم خارج البيت من أطايب الطعام، ويحيلها داخله على أدناه فتكرهه لإجحافه بحقها، وتعامله بمثل أفعاله وأكثر.

٦ ـ قد تكرهه لما تجد من أقاربه من معاكسات وسخرية وتأنيب لأدنى سبب من محقرات الأمور فتكرهه لعجزه عن الاحتفاظ بحقوقها وكرامتها، فتنشز عليه لتخلص نفسها من هذه المشاكل.

٧ ـ قد تكره المرأة زوجها لسذاجته وسخفه إذا كانت تصرفاته هزلية موضع انتقاد.

٨ ـ قد تكرهه لانعدام صبغة المحبة بينهما، وهذا النوع من الكره خارج عن الاختيار.

٩ ـ قد تكـرهـه لميوله الشديدة إلى ضرتها وتركها كالمعلقة دون الاهتمام بها أو رعايتها.

ولقد بين الله ـ تعالى ـ وسائل علاج النشوز عند المرأة في قوله ـ سبحانه ـ: **﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً، وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيرًا﴾**(١).

---

(١) من الآية ٣٤ والآية ٣٥ من سورة النساء.

وعلى ذلك نستطيع تحديد وسائل تقويم نشوز الزوجة في :

١ ـ **الوعظ** : وهو كلام رقيق يصيب القلب، والوعظ نافع للزوجة إذا جاء في الوقت المناسب بالقدر المناسب.

٢ ـ **الهجـران في المضاجع** : وهو عدم ترك فراش الزوجة، بل هجـر في المضجع وليس هجراً عن المضجع، أي يتم بين الزوج والزوجة فقط، وليس أمام الأولاد أو الأسرة أو الغرباء، وهو نافع إذا لم تفلح الوسيلة الأولى.

٣ ـ **الضرب** : والمقصود به إيقاظ شعور امرأة بليدة الطبع، وهي وسيلة لا يلجأ إليها الأخيار عادة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام عندما اشتكى إليه بعض النساء من ضرب أزواجهن لهن وعظ الرجال وقال : «**إنه قد طاف بآل محمد نساء يشتكين أزواجهن**» ثم قال : «**وليس أولئك بخياركم**».

والمقصـود بالضـرب هنـا هو غير المبـرح الـذي يتقي صاحبه به الوجه. وفي تحريم ضرب الوجه أحاديث كثيرة مشهورة.

٤ ـ **الاستعانة بالمصلحين** : من أقارب الزوج والزوجة وهذا إذا عجز الرجل عن التقويم.

صور النشوز :

وللنشوز صور كثيرة تصب في بوتقة معصية الزوج والخروج عن طاعته، وأنواع ذلك كثيرة منها كما يحددها د. سامي محمود في كتاب أمراض الحياة الزوجية ما يلي :

١ ـ امتناع المرأة من تلبية حاجة زوجها للجماع، وهذا من أعظم أنواع النشوز خطورة.

٢ ـ خيانتها له في نفسها.

٣ ـ إدخال من لا يرضى من الناس إلى بيته بحضوره أو غيبته.

٤ ـ عدم قيامها بخدمته في منزله.

٥ ـ تلاعبها بأمواله وصرفها في غير المعروف.

٦ ـ إيذاؤه بسيىء القول، كسبه وشتمه.

٧ ـ خروجها من بيته بغير إذنه، وهذا أكثر تفشياً وانتشاراً في بيوت المسلمين.

٨ ـ إفشاؤها لسره، وكشفها لستره.

فاتقي الله أختي الزوجة في زوجك وبيتك، واعلمي أنك ضعيفة وعذاب الله شديد.

نشوز الزوج

هناك سؤال هو هل النشوز قاصر على الزوجة فقط؟!

إن القرآن الحكيم قد أجاب لنا عن هذا التساؤل في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً**﴾[١] فالنشوز قد يقع من جانب الزوج أيضاً في حق زوجته، ونشوز الزوج له حالات عديدة تتلخص في منعه لزوجته من حقوقها المالية والجنسية، ومثال ذلك الظهار أو الإيلاء، ومن صور نشوز الزوج امتناعه عن النفقة على زوجته وكسوتها، وكذلك منع السكن الشرعي عن الزوجة، كما أن ضرب الزوجة بلا سبب وإهانتها هما من صور النشوز من جانب الزوج كما تقول د. نور قاروت وكيلة شئون الطالبات ـ جامعة أم القرى ـ وكما يرشدنا ديننا الحنيف لوسائل علاج الخلافات الزوجية كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾ وقال تعالى: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**الرجال قوامون على النساء**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**وللرجال عليهن درجة**﴾[٤].

---

(١) من الآية ١٢٨ من سورة النساء.

(٢) من الآية ٢٢٨ من سورة البقرة.

(٣) من الآية ٣٤ من سورة النساء.

(٤) من الآية ٢٢٨ من سورة البقرة.

إن الامتثال للأوامر الربانية جدير بمعالجة هذه الخلافات، فالأوامر الربانية هي التزامات من الأزواج تجاه الزوجات، والتزامات من الزوجات تجاه الأزواج. فإذا عرف كل من الطرفين ما له وما عليه، وأدى كل منهما حق الآخر فلن تحدث هذه الخلافات.. أما إذا وقعت الخلافات وأدت إلى نشوز الزوج أو الزوجة فينبغي بعث الحكمين الصالحين ليتداركا الأمر، ويبذلا كل ما في وسعهما في الإصلاح والتوفيق حتى لا تحدث الفرقة ويقع الطلاق.



الخلـــع[١]

إن من الخلافات والأمراض التي تصيب الحياة الزوجية أن تكره الزوجة زوجها.. ولقد جعل الدين الإسلامي الطلاق حقاً مطلقاً في يد الرجل شرط ألا يتعدى حدود الله، إلا أن الدين في الوقت نفسه لم يجبر المرأة على أن تعاشر زوجها وهي كارهة له.

ولذلك أوجد الإسلام نظام الخلع ويعني الفراق على مال فالمرأة التي تكره زوجها، ولا تجد فيه ما يعيبه سوى كراهيتها له فإنها تحصر ما أعطاها من صداق ومهر ثم ترده له، ويفارقها في الحال.

وكان أول خلع في الإسلام لامرأة ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، يقول الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس: «إن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي فقالت: يا رسول الله ثابت بن قيس لا أعتب عليه في خلقه ودينه ولكني أكره الكفر في الإسلام فإنني لا أطيقه بغضاً فقال رسول الله: «**أتردين عليه حديقته**»[٢] قالت: نعم، فردتها فأمره بتطليقها.

ـ وقال تعالى: ﴿**فلا جناح عليهما فيما افتدت به**﴾[٣] أي لا

(١) أمراض الحياة الزوجية ـ مصدر سابق.

(٢) الحديقة هنا صداق المرأة ومهرها.

(٣) من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.

حرج على الرجل في أخذ ما أعطته المرأة، لكي يفتديها أو يحررها بطلاقها، ولقد روي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمع امرأة تنشد شعراً فهم منه أنها لا تطيق زوجها وتكرهه، فبعث - رضي الله عنه - إلى زوجها فوجده متغير الفم، فخيره بين خمسمائة درهم والتمسك بها فاختار الدراهم وطلقها.

فالخلع هو: إزالة الزوجية بطلب من المرأة إذا كرهت زوجها، وقد تفتدي المرأة نفسها ليس بالمال فحسب، بل بمنفعة لزوجها كإرضاع ابنه أو حضانته دون أجر.

وقد جعل الله حق المرأة في افتداء نفسها في مقابل حق الرجل في الطلاق.

إنه يجب أن يكون ما تدفعه المرأة لزوجها لتفتدى به هو المهر لازيادة، وذلك ثابت بقوله عليه الصلاة والسلام لامرأة قيس: «**أتردين عليه حديقته التي أعطاك**» قالت: نعم وزيادة، فقال النبي: «**أما الزيادة فلا ولكن حديقته**». فهذا هو تمام العدل أن تعطيه المرأة ما أصدقها فقط، وبذلك تبرأ ذمتها، والظلم أن يطالبها بأكثر من ذلك.

إن الرجل يجبر على فراق زوجته إذا لم تستطع العيش معه، أو كانت كراهتها له مانعة لها من القيام بحقه، ولو كان محباً لها شغوفاً بها، أو أن يكون مريداً الإضرار بها، أو ممسكاً لها، إذلالاً فإنه يجب على الزوج فراقها، والدليل على ذلك إشارة رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقيس بن شماس بفراق زوجته، فهذا دليل على الوجوب والإلزام بالفراق.. لأن الحياة الزوجية لا تقوم على النفقة والسكن والباءة فقط، بل تقوم على التوافق والرضا، ولا تقوم على الإجبار بالعيش مع رجل تكرهه وتمقته.

ولقد أعطى الله ـ سبحانه وتعالى ـ للرجل حق تقويم المرأة الناشز بالموعظة الحسنة والهجران في المضاجع والضرب، فإن كل هذا يأتي في مقام التقويم فقط، أما الإجبار والقهر فليسا تقويماً، وإنما هو انتقام، وفرق هائل بين التقويم والانتقام.

وإذا تم إنهاء عقد الزواج من قبل المرأة بما يسمى المخالعة أو المفارقة، فإن هذا يكون طلاقاً بائناً، وليس للرجل الحق في أن يعيد زوجته إلى عصمته في عدتها مرة ثانية.. ولكن له أن يعود إليها بعقد زواج جديد، ومهر جديد إن أرادت هي ذلك كما يقول الأستاذ عبدالرحمن عبدالخالق[1].

وعدة المختلعة (المفارقة) هي حيضة واحدة فقط، وهذا ثابت في حديث الربيع بنت معوذ «**أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر امرأة اختلعت من زوجها أن تتربص حيضة واحدة وتلحق بأهلها**» رواه النسائي.

(١) انظر كتاب الزواج في ظل الإسلام لعبدالرحمن عبدالخالق ـ طبعة مكتبة السنة.

الحلال البغيض(١)

وهو ما يطلق عليه «الطلاق» ويعني فراق الزوجة باللفظ أو الكتابة أو الإشارة كما يقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ومما لا شك فيه أن الطلاق عملية هدم لبناء الأسرة، وقد يأتي عند بداية الطريق وقت وضع اللبنات في الأساس، وقد يأتي متأخراً بعد إنجاب الأولاد.

ومع التسليم بأن الطلاق عملية هدم إلا أنه في الإسلام هدم منظم يحافظ على اللبنة فينقلها من مكان إلى آخر أكثر تلاؤماً دون كسرها أو إهمالها.

والأصل في الطلاق أنه مكروه، إذ إنه يحصل به تفويت مصالح الزواج، وتشتيت الأسرة، وفي الحديث الشريف قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**» رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقي والحاكم وغيرهم عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ وهذا الحديث روي مرفوعاً متصل الإسناد إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وروي مرسلاً، والصواب أنه مرسل عن محارب بن دثار لا يذكر فيه ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ، وهذا ما رجحه جماعة من أئمة الحديث كأبي حاتم الرازي والدارقطني والبيهقي والخطابي والمنذري والألباني وغيرهم.

---

(١) انظر كتاب الزواج في ظل الإسلام لعبدالرحمن عبدالخالق ـ طبعة مكتبة السنة.

ويكره الطلاق من غير سبب ولا حاجة لما رواه مسلم في صحيحه في كتاب «صفة المنافقين وأحكامهم» من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، فيجيء أحدهم - يعني من جنود إبليس - فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول له: ما صنعت شيئاً، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين زوجته فيدنيه منه ويقول: نعم أنت - وقال في رواية: فيلتزمه - يعني يضمه إليه ويعانقه**».

والطلاق ضرورة إنسانية تحتمها الفطرة البشرية، ويقتضيها الإصلاح الاجتماعي، وذلك لزوجين ظنا أن يعيشا في سعادة ثم اكتشفا أنهما كانا مخطئين، وأنه يستحيل بقاؤهما إلى الأبد زوجين، وعلى كل حال فالطلاق ليس شراً محضاً على المرأة، بل قد يكون خيراً لها وللرجل في حالات كثيرة، وقد يكون نجاة لها من وضع اجتماعي لا تطيق الصبر عليه، أو من زوج ظالم لا يحترم لها حقاً، ولا يرعى لها حرمة ولا كرامة، أو من زوج فاجر لا يخاف الله تعالى ولا يرجوه، فجواره شؤم، وفراقه خير وبر، أو حتى من زوج كتب الله بغضه في قلبها، فهي لا تطيقه بحال من الأحوال.. ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أصحاب السنن وأحمد وغيرهم عن ثوبان - رضي الله عنه - وهو حديث صحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «**أيما امرأة طلبت الطلاق أو سألت زوجها الطلاق من**

غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» ولاشك أن هذا الحديث صريح في تحريم أن تسأل المرأة زوجها أن يطلقها من غير سبب.

ولاشك أن بغض المرأة زوجها بغضاً يحول بينها وبين القيام بحقوقه والوفاء بحاجته الشرعية يعد سبباً وجيهاً للطلاق. . ولهذا لما اختلعت حبيبة بنت سهل الأنصاري من زوجها ثابت بن قيس بن شماس ـ رضي الله عنه ـ وقالت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «والله يا رسول الله ما أعيب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام» وكانت تبغضه، فأمره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بطلاقها وقال: **«خذ الحديقة وطلقها تطليقة»** وكان رجلاً دميماً ولكنه كان خطيباً مفوهاً، جهير الصوت، وكان من نجباء أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، شهد معركة أحد وبيعة الرضوان، وهذا الحديث صحيح، رواه مالك وأبو داود والنسائي وغيرهم.

وبذلك يتضح لنا الخطأ الذي يقع فيه البعض حين يقول: إن الطلاق ظلم للمرأة، فهناك العديد من الحالات يصبح فيها الطلاق مطلباً ملحاً تحاول المرأة تحقيقه ولكن يحال بينها وبينه، يحول بينها وبينه رجل ظالم، متلاعب، محتال، يلعب بها ويحتال عليها فلا تستطيع أن تثبت عند القاضي ما يدعو إلى إلزام زوجها بالطلاق، مع أن المرأة مستعدة أن تفتدي نفسها من زوجها بالغالي والنفيس.

حكم الطلاق في الإسلام

الطلاق قرين النكاح منذ أول البشرية، ولهذا يقول فولتير: «إن الطلاق وجد في العالم مع الزواج في زمن واحد تقريباً».

وقد كان الطلاق في الجاهلية مشروعاً بلا عدد ولا عدة.. فيطلق الرجل زوجته ثلاثاً وعشراً ومائة ودون أن يكون لذلك عدة في التفريق بين الأزواج المتعاقبين، ففي جاهلية العرب عرف الناس «العضل» وهو أن الزوج بعد أن يطلق الزوجة قد يعضلها، ويمنعها من الزواج بغيره، ولهذا نهى الله ـ تعالى ـ عن هذا وقال: **﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾**[١]، فقد يعضلها قريبها أو أبوها أو أخوها وحتى الزوج أحياناً، قد يمنعها فلا تنكح من بعده إلا بإذنه، وكذلك «التعليق» أن يعلق الرجل المرأة فليست بزوجة وليست بالمطلقة وهذا أيضاً مما نهى الله تعالى عنه ورسوله فقال: «**فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة**»[٢].

كما أن «الظهار» كان معروفاً في الجاهلية يقول الرجل لزوجته: «أنت عليَّ كظهر أمي» ولما حدث هذا في الإسلام وسألت خويلة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**ما أراك إلا قد**

(١) من الآية ٢٣٢ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ١٢٩ من سورة النساء.

حرمت عليه» فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجهـا وتشتكي إلى الله**﴾(١)، ثم بين الله ـ تعـالى ـ «سفـارة الظهار المعروفة في القرآن».

ومثله الإرث، فكـان الـرجـل يرث المـرأة، يرثها كما يرث المتاع، ويضع عليها ـ إن أعجبته ـ رداءً أو ثوباً فتكون له ولا تملك أن تنكح غيره.

ومن طرائف أهـل الجاهلية، بل أهل الإسلام الذين تأثروا بالجاهلية ولم يستقيموا على أمر الإسلام ـ من طرائفهم في الطلاق وتلاعبهم فيه وإيقاعه لأدنى سبب: قول الأصمعي لهارون الرشيد: «إن رجلاً من العرب طلق خمس نسوة في مجلس واحد، فضحك الرشيد وقال له: كيف وإنما ينكح الرجل في الإسلام أربع نسوة، فدخل وهن متلاحيات فيما بينهن، بينهن خصومة وجدل وقيل وقال وارتفاع الأصوات، فنظر إلى أحداهن فقال: «والله ما أظن هذا الأمر إلا من قبلك يا فلانـة، فاذهبي فأنت طالق وقـامت إليه إحداهن وقالت: والله لقد عجلت عليها يا فلان بالطلاق ولو هددتها بغيره كان حقيقـاً لك ذلـك، فقال: فأنت طالق أيضاً، فقالت الثالثة: قبحك الله، لقد كانتا محسنتين إليك مفضلتين عليك، فقال: وأنت أيضاً أيها المعددة أياديهما طالق أيضاً، فقامت الرابعة وقالت: ضاق صدرك . . فقال: أنت تبع لهن، وكانت جارة من جاراته تسمع هذا

---

(١) من الآية ١ من سورة المجادلة.

الخبر وتسمع الأمر، فلما سمعت طلاقه لزوجاته الأربع، أشرفت عليه من طرف الدار وقالت له: والله لقد شهد العربي عليك وعلى قومك بالضعف، لما عرفوا عليك وعنك من العجلة وسوء الخلق فقال: وأنت أيضاً أيها المؤذنة المؤنبة المتكلمة أنت طالق إن أجاز زوجك هذا، فناداه زوجها من أقصى الدار يقول: قد أجزت، قد أجزت».

وقال رجل ممن تأثروا بآثار الجاهلية لزوجته التي طلقها بعد خمسين سنة عندما قالت له: أبعد خمسين سنة تطلقتني؟ فقال: والله ما أعيب عليك إلا هذا، يعني إنما طلقها لطول مكثها معه.

ولما جاء الإسلام نظم العلاقة الزوجية، وحفظ حقوق المرأة، ووضع الضوابط الكثيرة لاستمرار الحياة الزوجية.

فقد حث الإسلام على التسامح بين الزوجين، وتغافل كل منهما عما قد يبدر من الآخر في حالة الغضب أو الانفعال أو غير ذلك حتى قال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ لزوجته: «إذا رأيتيني قد غضبت فترضيني وإذا رأيتك أنا قد غضبتِ فإني أتراضاك وإن لم نفعل فإننا لا نصطحب»، وهذا ما شرعه الله تعالى في قوله: ﴿**فإمساك بمعروف**﴾(١) فإن الإمساك بالمعروف والإحسان إلى المرأة بتحمل ما قد يبدر منها كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها**

(١) من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.

خلقاً رضي منها خلقاً آخر» . . فقد يجد فيها نقصاً في جانب يسدد في جانب آخر. . أو يجد منها سلوكاً سيئاً في وقت ولكن يجد منها في وقت آخر ما يغطي على هذا ويمسحه ويزيله.

كما شرع الإسلام للزوج حين يرى من زوجته مالا يحب ولا يرضى أن يعـظها بالقرآن، بالحديث، بالتذكير، بالأمر والنهي وغير ذلك كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن**﴾[1]. فإن أجدى الوعظ كفى، وإن لم يجد الوعظ فإنه يمكن أن ينتقل بعد ذلك إلى الهجر، يهجرها في المضجع نفسه، وليس في مضجع آخر أو في حجرة أخرى أي لا يعلم بهما من في البيت من الأولاد،فإن لم يجد فإنه يضربها ضرباً غير مبرح، فإن لم يجد ذلك فإنه يبعث بحكم من أهله وحكم من أهلها حين يتعذر الإصلاح عن طريق الزوجين فقط، ولذلك يبقى الطلاق هو آخر الحلول. وليس الـطلاق كلمة تقال في لحظة انفعال أو غضب، ولكنه قرار مدروس محكم يتخذه الزوج، بل ربما الزوجان يشتركان في اتخاذه بعد طول دراسة وتأن.

والـطلاق مأساة لا تنتهي عند حدود الكلمة التي ينطق بها الزوج في لحظة غاضبة أو لحظة مجنونة، فكلمة الطلاق تهتز لها السماوات قبل أن يهتز لها كيان الأسرة: الزوج والزوجة، والأبناء الـذين يدفعون الثمن كله، ويتجرعون كأس المرارة والحرمان من حياة أسرية دافئة.

---

(١) من الآية ٣٤ من سورة النساء.

أحكام الطلاق[١]

قد يظن بعض الناس أن الرجل يستطيع أن يوقع الطلاق على زوجته في كل وقت غير مبالٍ بوقت أو عدد، وهذا خطأ فاحش، بل لا يجوز لرجل يؤمن بالله تعالى وكلامه وكلام رسوله أن يفعل ذلك فعليه أن يتقيد بحدود الله تعالى وكلامه وكلام رسوله ولا يتعدى ذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون**﴾[٣].

ومن أحكام الطلاق:

١ ـ ألا يطلق الرجل زوجته وهي حائض، فإن طلقها وهي حائض فقد عصى الله ورسوله، وارتكب محرماً، ويجب عليه حينئذ أن يرجعها ويبقيها حتى تطهر ثم يطلقها إن شاء، والأولى أن يتركها حتى تحيض المرة الثانية فإن طهرت فإن شاء أمسكها وإن شاء طلقها. ومما يدل على ذلك حديث ابن عمر الذي

---

(١) انظر كتاب الزواج للشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ طبعة مؤسسة الجريسي.

(٢) من الآية ١ من سورة الطلاق.

(٣) من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.

رواه الجماعة أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ـ صلى الله عليه وسـلم ـ فتـغـيظ فيه رسـول الله ثم قال: «**ليرجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فيطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة كما أمر الله تعالى**».

٢ ـ ألا يطلقها في طهر جامعها فيه إلا أن يتبين حملها: فإذا هم رجل بطلاق امرأته، وقد جامعها بعد حيضتها، فإنه لا يطلقها حتى تحيض ثم تطهر ولو طالت المدة، ثم إن شاء طلقها قبل أن يمسها، إلا إذا تبين حملها، أو كانت حاملاً فلا بأس أن يطلقها. قال ـ تعالى ـ: ﴿**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**﴾[1].

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ «لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها فيه، ولكن يتركها إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة».

٣ ـ ألا يطلقها أكثر من واحدة: فلا يقول أنت طالق طلقتين، أو ثلاثا أو أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق.. فطلاق الثلاث محرم لما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال في رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً: «**أيلعب بكتاب الله، وأنا بين أظهركم**» حتى قام رجل فقال: يار سول الله ألا أقتله؟

(١) من الآية ١ من سورة الطلاق.

رواه النسائي، وكما قال تعالى: ﴿**فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره**﴾[١] وبذلك فإنه لا يجوز للمسلم أن يطلق زوجته ثلاثاً في مرة واحدة، لأن هذا هدم للحدود والقواعد والآداب الشرعية.

كما أن قوله: أنت طالق ثلاثاً في جلسة واحدة يعد ظلماً وجهلاً وإساءة بالغة وجحوداً للعشرة، فقد قال تعالى: ﴿**أو تسريح بإحسان**﴾ ولا يمكن أن يكون من طلق زوجته ثلاثاً دفعة واحدة وجرحها برفض العيش معها محسناً في ذلك.

وينبني على الطلاق الرجعي حقوق للزوجة وهي السكنى والنفقة، أما الطلاق البائن فلا نفقة فيه للمرأة ولا سكنى، بل يجب أن تعتد المرأة خارج منزل الزوجية ولا نفقة لها.

وبذلك فإن الطلاق ثلاثاً مرة واحدة يعد إهداراً للحقوق المادية للزوجة كما يذكر عبدالرحمن عبدالخالق في كتاب «الزواج في ظل الإسلام».

---

(٢) من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.

الطــلاق الشــرعـي

أوضحنا أنه لا يجوز للرجل أن يطلق زوجته ثلاثاً في مرة واحـدة. . ولكن إذا فعـل هذا الطلاق رجل جاهل فهل يقع الطلاق ثلاثاً ويلزم بذلك؟! أم يقع طلقة واحدة فقط ليكون موافقاً للطلاق الشرعي؟!

وللإجابة على هذا التساؤل نستعرض القولين[1]:

القول الأول ـ طلاق الثلاث يقع ثلاثاً: وهو الذي أفتى به الأئمة الأربعة، واختاره كثير من الصحابة والتابعين، وكثير من السلف أن طلاق الثلاث وإن كان بدعياً ومحرماً إلا أنه يلزم الرجل به، وتطلق به المرأة من زوجها طلاقاً بائناً لا رجعة فيه إلا أن تنكح زوجاً غيره.

وقـد استدلوا لذلك بأن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أمضى طلاق الثلاث ثلاثاً كما روي عنه قال: «أرى أن الناس قد تتابعوا في أمر كانت لهم فيه فسحة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه، وفرق ـ رضي الله عنه ـ بين كل رجل طلق امرأته ثلاثاً في مرة واحدة وبين امرأته.

(١) انظر المصدر السابق «الزواج في الإسلام».

القول الثاني: طلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة.

وهذا القول منقول عن طائفة من السلف والخلف من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل الزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وقول كثير من التابعين ومن بعدهم كطاوس ومحمد بن إسحاق.

وهذا القول هو الذي ذهب إليه الإمام ابن تيمية شيخ الإسلام في فتاواه، وهو الموافق للكتاب والسنة، قال ابن تيمية: «لم يشرع الله لأحد أن يطلق الثلاث جميعاً، ولم يشرع له أن يطلق المدخول بها طلاقاً بائناً» و «أنه ليس في الكتاب ولا السنة في المدخول بها طلاق بائن يحسب من الثلاث، ولا نعرف أن أحداً طلق في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - امرأته ثلاثاً بكلمة واحدة فألزمه - صلى الله عليه وسلم - بالثلاث.. ولا روي في ذلك شيئاً، بل رويت في ذلك أحاديث كلها ضعيفة باتفاق علماء الحديث، بل موضوعة.

وفي رواية لمسلم وغيره عن طاوس أن أبا الصهباء قال لابن عباس: «أتعلم أنما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر فقال ابن عباس: نعم. وفي رواية أن أبا الصهباء قال لابن

عباس: هات من هناتك ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبي بكر «واحدة» قال: قد كان ذلـك، فلما كان في زمن عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم.

ويقول ابن تيمية: روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس أنه قال: طلق ركانة بن عبد زيد أخو بني عبدالمطلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديداً قال: فسـأله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كيف طلقتها؟ قال: «طلقتهـا ثلاثاً» فقال: «في مجلس واحد» قال: نعم، قال: «فإنما تلك واحدة فأرجعها إن شئت قال: فرجعها» انتهى[1].

وقـد اعتـذر الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن الأئمة المجتهدين في فتاواهم، بأن مارآه الخليفة عمر بن الخطاب كان داخلاً في باب العقوبة حتى لا يفعل الناس ذلك.

وبهـذا فإن الطلاق الثلاث في كلمة واحدة يقع طلقة واحدة كما يبين لنا الكتاب الحكيم والسنة الشريفة.

---

(١) الزواج في ظل الإسلام، عبدالرحمن عبدالخالق، مكتبة السنة.

أنواع الطلاق

يمكن تقسيم الطلاق إلى ثلاثة أنواع:

١ - **الطلاق المحرم الذي لا يجوز:** وهو الذي يقع والمرأة حائض، أو يطلقها في طهر جامعها فيه، أو يطلقها عدة طلقات في مجلس واحد، أو في طهر واحد.

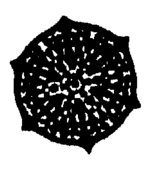
٢ - **الطلاق المكروه:** وهو ما كان لغير سبب مع استقامة الحال، وحسن الأمور، وطيب العلاقة بينهما، ولا أدل على كراهيته من فرح الشيطان به كما سبق أن ذكرنا الطرفة أن رجلاً طلق امرأته بعد خمسين سنة فقالت له: «أبعد صحبة خمسين سنة» فقال: والله مالك عندنا ذنب غير ذلك؟

ولاشك أن هذا ليس من الوفاء، وليس من شيم الرجال، فجدير بالرجل أن يحفظ مكانة المرأة وقدرها حتى لو كبر سنها، فتعيش في بيتها، يحفظ لها كرامتها وإنسانيتها، وتعيش في عز وأمن، قال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع: «**اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم** - يعني أسيرات - **أخذتموهن بكلمة الله واستحللتم فروجهن بشريعة الله**» رواه ابن ماجة.

٣ ـ **الطلاق الواجب**: وهو كما ذكر الفقهاء إذا حكم الحكمان، فبعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها، ورأيا أن الحياة بينهما مستحيلة، وأنها ضارة لهما ديناً ودنيا حتى يحكم بالفراق.

● ومثله المؤلي ـ قال تعالى ـ: ﴿**للذين يؤلون من نسائهم تربّص أربعة أشهر**﴾[1] فلو حلف الرجل ألا يأتي امرأته ثم أصر على ذلـك فإنه يجب عليه حينئذ أن يطلقها.

● ومثله أيضاً الطلاق المندوب، يعني المستحب، وهو مثل ألا تكون الزوجة طيبة الخلق عفيفة، أو يخاف ألا يقيما حدود الله.



(١) من الآية ٢٢٦ من سورة البقرة.

أقســام المطلقــات

الطلاق إما أن يكون قبل الدخول أو بعده[١] وعلى هذا فإن المطلقات كما جاء في كتاب الله ـ عز وجل ـ أربعة أقسام:

● **القسم الأول**: مطلقة مدخول بها ومفروض لها.. وهذه يجب لها المفروض كاملاً، ولا يحل للزوج منه شيء إلا بطيبة من نفسها،أو كان الطلاق بسببها مما يؤدي إلى الخلع كما ذكر د. فيحان المطيري في كتابه «الحقوق المتعلقة بمتعة المطلقة» وقد نص الله على بيان ما يجب لها في قوله تعالى: **﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾**[٢].

قال الحافظ ابن كثير في معنى هذه الآية: أي لا يحل لكم أن تضاجروهن وتضيقوا عليهن ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من الصداق أو بعضه.

ونظير هذا قوله تعالى: **﴿ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾**[٣].

● **القسم الثاني**: مطلقة قبل الدخول لم يسم لها، ولم يفرض لها صداقاً فالواجب لها المتعة بنص القرآن كما في قوله: **﴿لا جناح عليكم إن طلقتم**

---

(١) التفسير الكبير (٦/١٤٩).

(٢) من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.

(٣) من الآية ١٩ من سورة النساء.

النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾[١].

- **القسم الثالث**: مطلقة مفروض لها غير مدخول بها. . وهذه يجب لها نصف المسمى مالم يكن الطلاق بسببها، وقد بين الله حكمها في قوله: **﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم﴾**[٢].
- **القسم الرابع**: مطلقة مدخول بها غير مفروض لها فهذه يجب لها مهر المثل، وقد بين الله حكمها في قوله: **﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن﴾**[٣].

وهذه الآية دالة على إيجاب مهر المثل لهذه المطلقة، ذلك أن الأمة مجمعة على أن الموطوءة بالشبهة لها مهر المثل، فالموطوءة بنكاح صحيح أولى بهذا الحكم»[٤].

---

(١) الآية ٢٣٦ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ٢٣٧ من سورة البقرة.

(٣) من الآية ٢٤ من سورة النساء.

(٤) الحقوق المتعلقة بمتعة المطلقة د. فيحان بن شالي المطيري ـ طبعة دار العاصمة.

كيف تعتد المطلقة ؟

أولاً: يجوز للرجل أن يطلق زوجته بعد عقد النكاح وإن لم يدخل بها، وإذا حدث ذلك فلا عدة على المرأة، ويصح لها أن تتزوج زوجاً غيره متى تشاء وإذا أراد الرجل العودة إلى زوجته هذه التي طلقها قبل الدخول فلابد من عقد جديد ومهر جديد، ولكنها تعود إليه وليس له عندها إلا طلاقان اثنان فقط، لأنه بالطلاق الأول يكون قد استنفد واحدة من رصيده كما قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً**﴾(١).

ثانياً: المطلقة بعد الدخول بها يجب أن تعتد في بيت زوجها، ولا يجوز لها الخروج منه بنفسها، ولا يجوز للرجل إخراجها، وتظل زوجة حتى انتهاء عدتها، وللرجل الحق في إرجاعها إلى عصمته طالما كانت في العدة.

ثالثاً: وكما ذكر الأستاذ عبدالرحمن عبدالخالق في كتاب «الزواج في ظل الإسلام» فإن عدة المطلقة تحتسب كالآتي:

أ - المرأة التي تحيض فإن عدتها تحتسب من الطهر الذي أعلن فيه الرجل لها الطلاق، وتنتهي العدة بانتهاء ثلاثة أطهار، وبذلك تكون العدة: طهر ثم حيض، ثم طهر ثم حيض، ثم طهر فإذا انتهى هذا الطهر الثالث وشرعت المرأة في الحيض فقد وقع الطلاق وتم، وأصبحت المرأة بذلك مالكة لشأن نفسها.

---

(١) الآية ٤٩ من سورة الأحزاب.

ب ـ إذا كانت المرأة قد بلغت سن اليأس، وأصبحت ممن لا تحيض أو كانت صغيرة لم تحض بعد إن كانت لا تحيض لعذر ما غير الحمل فإن عدتها ثلاثة أشهر قمرية.

جـ ـ إذا كانت المرأة حاملاً فعدتها وضع الحمل سواء قل عن ثلاثة أشهر أو زاد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿**واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً**﴾»[١].

رابعاً: يجب على الرجل عند طلاق زوجته أن يشهد رجلين عدلين، وكذلك يجب الإشهاد أيضاً عند إرجاعها إلى عصمته كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً**﴾[٢].

والوجوب الذي نقول به ـ كما يشير الأستاذ عبدالرحمن عبدالخالق هنا ـ هو الأولى والأحرى، وذلك للضبط في هذه الأمور وحسم الخلاف فيها، ولا يشترط هذا الإشهاد البدء في الطلاق أو الرجعة، بل يجوز حصوله بعد ذلك.

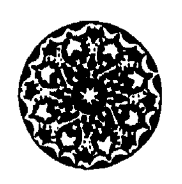
---

(١) الآية ٤ من سورة الطلاق.

(٢) الآية ٢ من سورة الطلاق.

وتحصل الرجعة بأي قول أو فعل من الرجل كقوله: أرجعتك، وكذلك الجماع، بل والنظر وما يؤدي إلى الجماع، حيث إن المرأة تكون في بيت الزوج وقت العدة.

خامساً: لا يملك الرجل زوجته إلى عصمته بعد طلاقه لها إلا مرتين فقط، فإذا أوقع عليها طلاقاً ثالثاً فعند ذلك تكون قد بانت منه نهائياً، وأصبحت أجنبية عنه، ولكنها لا تتزوج رجلاً غيره إلا إذا انتهت العدة، وفي هذه العدة لا تمكث المرأة المطلقة في بيت زوجها ولا نفقة ولا سكنى لها.



آثار عدة الطلاق [١]

لابد أن نعرف أنه إذا انقضى وقت العدة، وبقي الرجل على موقفه من العزم على الطلاق فإن الطلاق يعد نافذاً بانقضاء العدة، وتصبح المرأة ـ بعد ذلك ـ حكمها حكم الأجنبية بالنسبة للرجل.

ولكن هناك أمور معلقة وحقوق رتبها الشارع الحكيم جلت قدرته سبحانه على عقد الطلاق، وهذه الحقوق تختلف باختلاف حال المرأة، وسنوضح هذه الحقوق فيما يلي:

أولاً: النفقة والسكنى مدة العدة:

وهذا في الحقيقة حق المرأة على زوجها، لأنها مازالت في عصمته، بل مازالت زوجة له، ويجوز له أن يرجعها في أي وقت شاء، ثم هي مازالت في بيته لا يجوز له إخراجها. ولذلك يجب الإنفاق على زوجته، وأن يسكنها مدة العدة، سواء كانت ثلاثة قروء، أو ثلاثة شهور، أو مدة الحمل التي قد تطول أكثر من ذلك، فإذا انتهت العدة انتهى وجوب النفقة والسكنى.

---

(١) انظر كتاب الزواج في ظل الإسلام لعبدالرحمن عبدالخالق ـ طبعة مكتبة السنة.

ثانياً: متعة المطلقة:

المتعة تعني الإحسان إلى المطلقة بما يقدر عليه المطلق بحسب ماله في القلة والكثرة كما ذكر د. فيحان المطيري في كتاب «الحقوق المتعلقة بمتعة المطلقة» في تعريف بعض أهل العلم.. وقال فريق آخر بأنها مال يجب على الزوج دفعه لامرأته المفارقة في الحياة بطلاق وما في معناه بشروط خاصة.

والمتعة للمطلقة مشروعة، ودليل ذلك الكتاب وبعض الآثار المروية عن بعض الصحابة والإجماع.

وقد اختلف أئمة الفتوى فيما بينهم، فمنهم من قال: إن المتعة للمطلقة مستحبة وليست واجبة، ومنهم من قال: إن المتعة فرض على المتقين والمحسنين دون غيرهم، ومنهم من قال: إن المتعة واجبة. ويحصر د. فيحان أقوال العلماء في:

١ ـ تجب المتعة للمطلقة قبل الدخول وقبل التسمية، وبه قال الحنفية والشافعية والحنابلة.

٢ ـ تجب المتعة في الطلاق قبل الدخول إذا كانت التسمية فاسدة، كما قال به الحنفية والحنابلة.

٣ ـ تجب المتعة للمطلقة بعد الدخول، وهو قول الشافعي في الجديد.

٤ ـ إن المتعة فرض لكل مطلقة، وبه قال الظاهرية.

٥ ـ تستحب المتعة لكل مطلقة بعد الدخول، وبه قال الحنفية والمالكية والحنابلة، وهو مروي عن علي بن أبي طالب والحسن وسعيد بن جبير وأبي قلابة والزهري وقتادة والضحاك وأبي ثور. كما جاء في المغني (٦/٧١٤)، وتفسير ابن كثير (١/٢٨٧).

٦ ـ ليس للمطلقة قبل الدخول وبعد التسمية متعة كما قال المالكية والشافعية ومن قال بقولهم.

وقد تقرر عند أهل العلم أن الجمع أولى من الترجيح إن أمكن، إذ فيه أخذ بالنصوص جميعها، والأخذ بجميع النصوص أولى من الأخذ ببعضها، وبذلك فإن المتعة تكون واجبة ومستحبة: فتجب للمطلقة قبل الدخول وقبل الفرض. وتستحب لمن عداها من المطلقات وهو ما ذهب إليه الحنفية والحنابلة والنصوص الدالة على هذا الأمر كما أشار د. فيحان على قسمين: عام وخاص:

فمن العام:

١ ـ قوله تعالى: **﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾**[1] فعموم الآية يدل على أن المتعة لكل مطلقة.

---

(١) الآية ٢٤١ من سورة البقرة.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾(١).

فظاهر الآية يدل على أن المتعة لكل مطلقة قبل الدخول سواء كانت مفروضاً لها أو لم تكن.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً﴾ (٢).

وهذا يفيد أن المتعة لكل مطلقة بعد الدخول سواء كانت مفروضاً لها أم لم تكن.

الخاص منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾ (٣).

فهذه الآية دالة على استحقاق المتعة للمطلقة قبل الدخول وقبل الفرض.

---

(١) الآية ٤٩ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٢٨ من سورة الأحزاب.

(٣) الآية ٢٣٦ من سورة البقرة.

٢ ـ قوله تعالى : ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير﴾ [1].

فهذه الآية تبين ما تستحقه المطلقة قبل الدخول وبعد الفرض وهو نصف المفروض.

ثالثاً : إيفاد الحقوق: من الحقـوق المقـررة في الشـريعة إعطاء المـطلقة جميع حقوقها المالية المعلقة في ذمة الرجل سواء كانت مهراً لم يدفعه ، أو وعوداً مالية لم يف بها أو هدايا أعـطاهـا إياهـا وقت الـزواج كمـا ذكـر الأستـاذ عبـدالـرحمن عبـدالخـالق في كتـاب «الزواج في ظل الإسلام» ولا يجوز للزوج أن يسترد من زوجته المطلقة شيئاً من هذا أصلاً ، ولا أن يجحد شيئاً مما وعد به أو التزم ، وهذا وإن كان من الأمور الفطرية التي جبل الله النفوس الطيبة عليها إلا أنه قد جاء في القرآن الكريم ما يوجب ذلـك ، بل ويلزمه قال ـ تعالى ـ: **﴿وإن أردتم استبـدال زوج مكـان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخـذوا منـه شيئـاً أتـأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ، وكيف**

(١) الآية ٢٣٧ من سورة البقرة.

تأخـذونـه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾[١].

وهذا دليل على أنه لا يجوز أن يأخذ الرجل من مطلقته شيئاً مما أعطاها سواء كان مهراً أو غيره، ولو كان قنطاراً من ذهب،ولو لم يمكث معها غير ساعة واحدة.

رابعاً الحضانة : إذا كانت المرأة حاملاً وقت الطلاق وجب على الرجل الإنفاق عليها حتى تضع، فإن وضعت كانت المرأة بالخيار بين حضانة ولدها أو دفعه إلى أبيه، وإذا تولت المرأة حضانة ولدها وجب على الرجل أن يكفلها وولدها، وأن ينفق عليهـا النفقة المناسبة لحالـه. وأوجب الله ـ تعالى ـ نفقة الزوجة المرضع على الوارثين إذا مات الرجل وزوجته حامل أو مرضـع، وأبـاح الله للرجل والمرأة أن ينفقا على إرضاع المـولود من غير أمه، إذا كان هذا برضاها كما ذكر الأستاذ عبدالرحمن عبدالخالق، وليس للرجل أن يجبر مطلقته على إرضـاع ولده، ولكن الله ـ تعالى ـ نهى المرأة أن تضار زوجها بذلك وخصوصا إذا لم يجد مرضعه وحاضنة لابنه مثلاً، أو إذا كان الولد لا يهدأ إلا لأمه التي ولدته، ونهى الله الرجل أن يضـار زوجتـه بوليدها، فيمنعها حقها الشرعي من النفقة أو

(١) الآيتان ٢٠ و ٢١ من سورة النساء.

ينزع الولد منها، قال ـ تعالى ـ: ﴿**لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده**﴾[1].

٢ ـ إذا أتم الطفل العامين، وانفصل عن أمه جعل الإسلام المرأة أحق بكفالة أولادها وضمهم إليها مالم تتزوج بعد الطلاق، كما جاء في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن عمرو بن العاص «أن إمرأة قالت: يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وحجري له حواء، وثديي له سقاء، وزعم أبوه أن ينزعه مني فقال عليه الصلاة والسلام: «**أنت أحق به مالم تنكحي**» رواه الإمام أحمد والبيهقي والحاكم وصححه.

٣ ـ إذا كان الأولاد مميزين،أي يستطيعون التفريق بين كنف الأم وكنف الأب فإنه يجوز تخييرهم في ذلك،فإن استحبوا البقاء مع الأم بقوا، وإذا رغبوا العيش مع الأب كان لهم ذلك، وقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه أن رسول الله خير غلاماً بين أبيه وأمه.

وفي رواية: أن امرأة جاءت فقالت: يا رسول الله إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عنبة (أي صار كبيراً ويافعاً يأتيهما بالماء من مكان بعيد)، وقد نفعني فقال رسول الله: «استهما عليه» «أي اجعلا قرعة»، فقال زوجها من يحاقني في ولدي؟ فقال النبي ـ صلى الله عليه

---

(١) من الآية ٢٣٣ من سورة البقرة.

وسلم ـ «هذا أبوك وهذه أمك فخذ بيدك أيهما شئت» فأخذ بيد أمه فانطلقت به.

الطلاق المفاجىء: لقد أصبحت ظاهرة الطلاق المفاجىء من أعجب الأمور هذه الأيام، فجأة يكتشف الزوج أنه لم يعد يحب زوجته، وأن الملل قد تسلل إلى حياته، ويعقبه النفور من هذه الزوجة، ويبدأ يفكر في حياة جديدة.. ونتيجة ضغوط الحياة يطلق الرجل زوجته في لحظة انفعال..

ولكن ما أسباب هذا الشعور برفض الزوجة أو الزهد فيها؟ وهل الإحساس المفاجىء يصيب الرجل فقط أم يصيب الزوجة أيضاً؟ وهل هذا الشعور دافع للطلاق المفاجىء؟

تقول د. **نادية عوض** بجريدة الندوة: إن كل إنسان منا معرض للزهد الشعوري المفاجىء تجاه أي إنسان مهما كانت قرابته، وهذا الزهد يحدث وقتياً في أمور الاختلاف والخلاف.

ويحدث بين الآباء والأبناء والزوجات والأزواج.. بل وبين الأصدقاء، إن الصد النفسي يحدث لأسباب تتعلق بالتركيب النفسي للشخص ذاته، أو بسبب ظروف محيطة من الطرف الثاني، أو تراكمات وأخطاء مختزنة.. ويجب على الذي يتعرض لهذا الشعور أن يصبر ولا يعلن الانفصال والبعد عمن يكن له هذا الشعور، لأن النفس البشرية تميل للتقلب بين الإقبال والصد، والحب والزهد ولا تثبت على حال، لأن الحياة مليئة بالمتغيرات.

إن الإسلام قد وضع حلاً لهذه القضية الشعورية بين الزوجين باعتبار أن الزهد المفاجىء قد ينهي علاقتهما في لحظة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾[1] وقال سبحانه: ﴿فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[2].

أي أوصى بالصبر حتى على مشاعرنا الدفينة عسى أن تتحول المشاعر السلبية إلى إيجابية، وتتبدل التعاسة إلى سعادة.

فقد يولد الحب في لحظة غير متوقعة، كيف تهون العشرة الزوجية ببساطة، علماً بأن الزوجة كثيراً ما تشعر بالزهد في زوجها، بل وبعدم الحب والملل أيضاً «نتيجة التغير الهرموني المتذبذب» وتنفعل بعض الزوجات، ويطلبن الطلاق استجابة لهذه الذبذبات الهرمونية، فعلى الرجل أن يدرك هذه الحقيقة، أن زوجته تحبه أحياناً، وتزهد أحياناً إما لظروفها كامرأة أو لضغوط الحياة.

إن أقل اضطراب نفسي للمرأة يصيبها بالصد عن كل الحياة وليس عن الزوج وحده، ولكن المرأة لا تظهر هذا الصد حرصاً على استمرار حياتها الزوجية، ولذلك انخفضت نسبة النساء اللاتي يطلبن الطلاق عن الرجال الذين يبادرون بالطلاق بسبب الصد المفاجىء.

---

(١) من الآية ٢١٦ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ١٩ من سورة النساء.

مناطق الخطر في العلاقات الزوجية

في أحـدث دراسة لعلماء النفس البريطانيين الذين يهتمون بعـلاج المشاكل الزوجية تم التوصل إلى عشر مناطق للخطر في العـلاقات الزوجية، وحذروا من الاقتراب من هذه المناطق، لأن ذلك يعني التصدع في الحياة الزوجية وانهيارها.

وقد عرضت هذه الدراسة جريدة الندوة، ويمكن تحديد هذه النقـاط العشـر كما تقول: «زيلدا أويست» رئيسة المجموعة التي قامت بالدراسة في:

١ ـ نـار الغـيـرة:

تستـطيع الغيرة أن تدمـر أي علاقـة زوجية إذا لم يعتـرض طريقهـا ويكبح جماحها.. فالغيرة التي تتطور إلى الشك يتوارى وراءهـا عدم الثقة، وهناك محاذير يجب على المتزوجين الابتعاد عنها، لأنها تضعهم في منطقة شائكة ومنطقة الغيرة التي يجب عدم الاقتـراب منهـا: التجسس والتفتيش الـذي يعتبـر وسيلة لمحاولة التحكم والسيطرة، ومحاولة إنزال العقاب بشريك الحياة، وهكذا نبتعد أكثر عن الثقة.

وتقول زيلدا: إن الغيرة يمكن أن تكون جزءاً عادياً في أية علاقة ولكنها عندما تصبح مفرطة وتتجه نحو الاستحواذ الكامل تتسبب في مشاكل لا تعد ولا تحصى.. المسألة أن الشخص يحتاج إلى التأكيد على أن شريك حياته لا يزال يحبه.

٢ ـ الأطفال :

تقول زيلداويست: «هناك أزواج يستخفون بتأثير الأطفال على العلاقة، إن وصول طفل يعني تغييراً في نظام الحياة أقوى من التغيير الذي يحدث عند الزواج، فللمرة الأولى يظهر شخص ثالث يتحتم علينا أن نفكر فيه قبل أنفسنا، ولا يدرك بعض الرجال ـ غالباً ـ أن المرأة سوف تنشغل بالطفل كثيراً، وسوف تعاني التعب والإرهاق، لكن على المرأة أيضاً أن تطمئن شريك حياتها بأنها مازالت تحبه، ومازالت تنشغل به مع ضرورة عدم الإهمال في الاهتمام بالزوج، كما يجب عليهما معاً أن يستمرا في تعاطفهما» وفي دراسة أجراها معهد جالوب حول تأثير الأطفال في المشاكل والخلافات كانت النسبة ٥٥٪.

٣ ـ الهواية:

أحياناً يواجه الرجل صعوبة في التحول من حياة العزوبية إلى علاقة زوجية ملتزمة ومستقرة كما تقول زيلدا، ويستمر في الأسلوب الذي كان يعيش به قبل الزواج، وتضطر الزوجة إلى أن تقول لزوجها، إنها الآن أصبحت جزءاً من حياته، وإنهما يجب أن يصلا

إلى تفاهم يجعل العلاقة تستمر في إطار صحي، ولاشك أن الشريك الذي يترك شريك حياته فترة طويلة بمفرده يعمل دون أن يعي على تدهور العلاقة، فيظهر الاستياء، وينعدم الإحساس بالمشاركة، ولكن عندما تتحول الهواية إلى امتلاك صاحبها لدرجة أن تلهيه حتى عن أقرب الناس إليه شريك الحياة فبعدها تستحيل الحياة ولا يصبح للشركة وجود.

٤ ـ الصمت :

إن هذه الصفة من الصعب أن تتصف بها المرأة إلا أن بعض الأزواج يصابون بالخرس عند دخول البيت، فالزوجة تشعر بأنها مهملة، ويحدث العديد من المشاكل. .

وتقول «ويست» أحياناً يشعر الزوج بالغضب أو الحزن، ولكن مهما كانت حالته سواء كان يشعر بغضب أو حزن فيجب أن يشرك شريك حياته معه، ويعطيه الفرصة ليتفهم مشاعره. . فمن الحماقة أن يظل الإنسان صامتاً ويترك الأمور تتراكم ويغامر بتآكل تدريجي في العلاقة، ومن الصعب أن تتوقع شريك حياتك أن يكون قارئاً نهماً لكل الأفكار على نحو مستمر، فعندما يتكلم شريك حياتك يجب أن تعطيه أذاناً صاغية، وتقدر أفكاره تقديراً عادلاً وإلا فإنه سينغلق على نفسه، ويبتعد، وفي ذلك كثير من المشاكل.

٥ ـ المادة :

ولعل المنطقة الخطرة الخامسة هي الفلوس، فعادة ما تسبب مشاكل كثيرة، وتقول خبيرة النفس زيلدا: «إن اختلاف وجهات النظر فيما يخص الفلوس والإنفاق يمكن أن يسبب المشاكل، وسواء كانت الفلوس قليلة أو كثيرة فإنه يجب الكلام عن أوجه الإنفاق، وتقدير الضروريات، وما يترك للإنفاق الفردي ولا يجب أن تستخدم الفلوس كجزء من لعبة قوى في العلاقات الزوجية كأن يقول الزوج: «أنا الذي أكسب، وأنا الذي أكسب أكثر، أو ممتلكاتي من الميراث، ولذلك أنا الذي يقرر جهة الإنفاق وقيمتها» ونقص الفلوس يمكن أن يسبب ضغوطاً داخل المنزل فلا يجب أن ننسى أن الفلوس مسئولية مشتركة، ولا يجب الانفراد بها.

٦ ـ العمل :

إذا تحول العمل إلى عامل أساسي في إحداث المشاكل الزوجية فيجب أن نراجع أنفسنا، فمعظم الاتهامات توجه إلى الزوج الذي يقضي معظم ساعات اليوم في العمل، فعندها تشعر الزوجة أن ولاء الزوج للعمل يطغى على انتمائه للمنزل، فيجب أن يكون هناك توازن بين العمل والبيت، والعلاقة تتعثر عندما تعطي العمل كل وقتك، فحاول أن تقتنص من وقتك ساعات لقضائها بالمنزل، ولا بأس من مشاركة الزوجة في عمل الأشياء سوياً.

٧ ـ العنف :

استخدام العنف أسلوب حيواني لا يمت للحضارة بأية صلة من قريب أو بعيد، لكن للأسف يستخدم بعض الرجال هذا الأسلوب مع زوجاتهم، وتقع الزوجة المسكينة ضحية للإهانة الجسدية والمعنوية، وإن كنا ننصح الزوجة بألا تعطي الفرصة للزوج لاستخدام هذا الأسلوب، فلا تضيق عليه الخناق بعنادها واستفزازه حتى يطير عقله، ويستغني عن الأسلوب الحضاري، ويستخدم أسلوب العنف.

٨ ـ الخيانة الزوجية:

أعلى درجات الخيانة هي الخيانة الزوجية، وعند الإقدام على ارتكاب هذه الحماقة فمعنى هذا هو ضرب الحياة الزوجية في مقتل وانهيارها، وهذه الخيانة لا تغتفر كما تقول زيلدا، والمرأة العاقلة هي التي لا تقبل ولا تتسامح أبداً في مثل هذه الخيانة.

٩ ـ الأهل والأقارب:

يصبح الأقارب مشكلة حقيقية عندما يبدؤون التدخل في شئون الزوجين الشخصية، ولابد طبعاً أن ينحاز الزوج لأمه، والزوجة لأمها، والخطر أن يصل الأمر إلى أن تتخذ الحماة موقف العدو الذي يقف بالمرصاد لتصيد الأخطاء واستغلالها في سبيل تعكير صفو الحياة الزوجية، وينسى الأقارب أو يتناسون أن المتزوجين لا يريدون نصائح ومساعدات، خصوصاً أنهم لم يطلبوا هذا، ولايزال بعض الأقارب لا يتفهمون فكرة أن الرجل عندما

يتزوج يصبح كل ولائه لزوجته وأسرته الجديدة، ويجدون هذا التوافق أمراً صعباً، ومن المهم أن يكون للزوج أصدقاء، أما الأقارب فلن يتوقفوا عن الزيارات والتدخل، لكن يجب أن يتعاون الزوجان في وضع حدود وإطار صحي للعلاقات بالأقارب.

١٠ - الحياة الزوجية:

لعل أصعب مناطق الخطر هي العلاقة الزوجية الخاصة جداً، وهي أصعب منطقة يستطيع الزوجان مناقشتها، وللأسف فإن الكثير من الناس لايزالون يعتقدون أن أي خطأ هنا يجب أن يكون الرجل هو المسئول عنه، وقلة نادرة من النساء تلقي اللوم على هذه العلاقة كسبب للطلاق، وحسب استطلاع معهد جالوب عام ١٩٩٢م، فإن ١٢٪ فقط من النساء اللائي طرح عليهن السؤال قلن: إن طبيعة العلاقة الخاصة بينهما كانت أحد أسباب الخلاف والانفصال. وتقول «ويست»: «إذا كانت العلاقة الإنسانية بين الزوجين تعيسة فإن العشرة الزوجية تكون مرآة صادقة».

فارق السن .. هل يؤدي إلى فشل الزواج؟!

زواج فتاة صغيرة من رجل كبير في السن قضية اجتماعية لها حساباتها وأبعادها، وتختلف الآراء حول هذه القضية بين القبول والرفض .. فالبعض يرى أن فارق السن يعني فارقاً كبيراً في المشاعر والعواطف وأسلوب التفكير، بل في النظرة إلى الحياة كلها، والاختلاف هذا يسبب التعاسة والخلاف الذي ينتهي إلى الانفصال.

وآخرون يرون أن الشرع لم يحرم هذا الزواج مستنكرين رفض المجتمع له، ومؤكدين أنه يستحيل وضع احتمالات وضمانات لنجاح أي زواج، فالخلاف قد ينشأ في الزواج المتكافىء في السن أيضاً.

وفارق السن لا يكون فقط من جانب الزوج، بل هناك حالات من النساء اللاتي هن في خريف العمر يتزوجن من شباب في ربيع العمر، أي يكون الرجل أصغر سناً من الزوجة.

وفي استطلاع قامت به جريدة المدينة حول زواج الفتاة الصغيرة من رجل كبير السن كانت هذه التجارب الواقعية والآراء حول هذه القضية:

تقـول زوجـة: «لقـد تزوجت وأنا في الرابعة عشرة من عمـري من رجل تجاوز الستين من عمره، ويعاني من أحد أنواع الربو الذي يستلزم نقله إلى المستشفى، وجاءته النوبة في ثالث يوم من زواجنـا، ولم أعـرف كيف أتصرف، وكانت المفاجأة أني لم أسعفه بسرعة فأصيب بجلطة في المخ أدت إلى الشلل الرباعي، وقد حملت منه واستمرت الأمور على هذا الحال سنتين رزقني الله بطفلتين توأم.. والآن أنا أعيش حياة بائسة، والجميع يتهمني بأني السبب في مرض زوجي لعدم إسعافه، أما والدي فتوفاه الله وهو يردد سامحيني .. فهذه مأساتي أضعها بين يدي كل أب».

وتحكي أخرى: لقد زوجني والدي وأنا في الحادية عشرة من شيخ كبير متزوج من ثلاث، ولديه ١٣ من الأبناء، وله أحفاد، ولقد باعني له أبي حتى يستطيع التجارة بالأدوات الصحية،وأعيش الآن معه قمة المأساة، وأنا الآن لي منه ثلاثة أبناء والرابع في الطريق، ويقـولـون لي: تحملي من أجـل أبنـائك، ولكنه يغار عليّ غيرة عمياء، الشـك يحـاصـره ويضـربني ضرباً مبرحاً إذا حضرت لي صديقة أو جارة فلا يريدني أن أعرف أحداً، ولقد أصبت بمرض نفسي، وأصبحت أعيش على المهـدئات، ولا أستطيع الخلاص منه، لأنه يأخذ على أبي أوراقاً،ومن أجل أولادي،وأعيش بين بخله وغيرته، فأين المال وأين السعادة؟!!

وقصة أرملة تقول: لقد ضغط عليّ أخي وزوجني قهراً وجبراً من والد الفتاة التي يرغب الزواج منها، وأنا فتاة جامعية حاصلة على بكالوريوس التربية، وزوجي يكبرني بـ ٥٨ عاماً، ولا يقوى على الحركة مطلقاً، وأخذ مني مكافأة التخرج، وحرمني من الحياة السعيدة، وكان يتهمني بأني طامعة في ماله، وبعد أن مات اكتشفت أنه كتب كل ما يملك لأولاده بيعاً وشراء، وعدت أحمل لقب أرملة وأنا في الخامسة والعشرين، ياليت الأهالي يسمعون آراء بناتهم قبل الزواج.

وترى أخصائية نساء وتوليد أن الفتاة تكون مؤهلة للإخصاب طالما كانت بالغة وتأتيها الدورة الشهرية بانتظام، ولكن ليست مؤهلة للإنجاب إلا بعد اكتمال الجهاز التناسلي، وهذا لا يحدث إلا مع إكمالها سن السادسة عشرة، ومن الممكن أن يتقدم الإنجاب أو يتأخر سنة واحدة.. وزواجها في سن الثانية عشرة يعرضها لمخاطر صحية تؤخر إنجابها فقط، ولكن لا تؤثر على قدرتها على الإنجاب.

ويقول د. محمد البقلي استشاري الطب النفسي: إن فارق السن قد يكون من أسباب فشل الزواج لعدم التقارب بين الزوجين وتجاربهما وثقافتهما، وفي الشريعة الإسلامية قد يطلق الرجل زوجته بناء على طلبها لفروق كثيرة منها فارق السن والتفكير، ولكن فارق السن وحده لا يكفي للحكم على الزواج بالفشل، وهناك أمثلة

كثيرة لزيجات ناجحة لرجال تزوجوا ممن هن أكبر منهم سناً، والعكس صحيح.

وأمامنا خير مثال أشرف خلق الله محمد عليه الصلاة والسلام حيث تزوج أم المؤمنين خديجة وهي أكبر منه بـ **١٥** عاماً وزواجه من السيدة عائشة وهي أصغر منه بحوالي **٣٥** عاماً، وبالطبع فإن في شخصية الرسول الكريم ضماناً لنجاح الحياة الأسرية غير أنه لا يجب أن ننسى أنه لنا قدوة. وفارق السن قد يكون من عوامل نجاح الزواج عندما يؤمن احتياجات كل من الزوجين من قبل شريكه.

وهذا الأمر ليس قاصراً على مجتمعنا العربي، فهذه المسألة معروفة في الغرب، وبذلك يتأكد أن فارق السن في حد ذاته ليس هو العامل الأهم في تحديد نجاح الزواج من فشله.

كما أن البنات لسن سلعة تباع وتشترى، فبعض الآباء يزوجون بناتهم ليتمكنوا من الحصول على صفقة مماثلة.. فالزواج يجب أن يتم بمشورة البنت، وتقديم المعلومات الكاملة والصادقة لها عن شريك حياتها، وليس إجبارها على شخص يرغبه والدها، ويقول: قد يكون المال أحد عوامل الزواج، ولكن هناك عوامل أخرى مثل الحسب والنسب والدين وتوافق البيئة والتربية الأسرية، وشخصية الزوج، كما لابد من تآلف الأرواح فكما قال عليه الصلاة والسلام: «**الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف**» فتنافر طباع الزوجين كفيل بالقضاء التام على الزواج

بصرف النظر عن مسألة السن، وصدق الله ـ تعالى ـ حين قال: ﴿وخلق منها زوجها﴾[1]، وليس ضدها، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾[2].

كما أن كبر سن الزوج قد يكون مرتبطاً بالنضج وقوة الشخصية، والقدرة على حسن معاشرة الأليف.

فالفتاة تعجب بالرجل الذي يقوم بواجباته المتوقعة منه بطريقة سلسلة لا تعنتَ فيها، الرجل الواثق من نفسه، القادر على تحمل المسئولية والراعي لأهله وبيته، الرجل الذي لا تتزعزع ثقته برجولته.

■ **الأستاذ عبدالمنعم قنديل رئيس تحرير جريدة «اللواء اللإسلامي»** يرى أن من أسس الزواج الناجح أن يكون هناك تكافؤ بين الزوجين في المركز الاجتماعي، والثقافة، والمال، والسن.

فلو توفرت الكفاءة ـ وقل أن تتوافر ـ تحاشى الزوجان الآفة التي تصيب حياتهما من ناحية الفارق بينهما في المنصب والثقافة والمال والسن، ولكن الذي يحدث أن أحد الزوجين يستطيع بذكائه ودهائه أن يعوض فارق الكفاءة بنوع من المعاشرة فتمضي الحياة الزوجية في طريقها دون عثرات، بيد أن الآفة الكبرى أن يظل الفارق بين الزوجين كالأفعى ينشر سمومه في الحياة، كأن يكون

---

(١) من الآية ١ من سورة النساء.

(٢) من الآية ٢١ من سورة الروم.

أستاذاً جامعياً مثلاً وتزوج خادمته حين أعجبه حسنها، هو في قمة العلم وهي في حضيض الأمية، هو صاحب علم وفكر، وهي لا تجيد إلا الطهي وتنظيف البيت، ولا يمكن أن يلتقيا أبداً في مجال الفهم والحوار، فالحسن الذي بهره ستعبث به يد الأيام ولا تبقى إلا الزوجة الأمية الجاهلة التي تبعد عن ثقافة زوجها بعد ما بين السماء والأرض. ويضيف الأستاذ قنديل هنا تتدخل الآفة لتصيب الحياة الزوجية بالعطب، وإذا حاول الزوج أن يتزوج بأخرى مناسبة له في العلم والثقافة يجد أمامه العقبات، ويكون مثله كمثل من يطفىء النار بالغاز.

كما أن عدم التكافؤ في الزواج يصيب الرجل بالإحباط، ويفقده سلطان القوامة في البيت إذا كان فقيراً وزوجته ثرية، أو إذا تزوج امرأة ذات حسب وهو من عامة الناس، كيف يتسنى له أن يمسك بصولجان القوامة وهو يعيش في كنف زوجته، كما أن مثل هذه الزوجة تزرع في وجدان أولادها أن أباهم ينعم في خيرها فينشؤون فاقدي الاحترام لأبيهم، والأمثلة على ذلك في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ما حدث بين زينب بنت جحش وزيد بن حارثة . . فقد زوجهما الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ولكن زينب كانت تحس أن زيداً ليس كفؤاً لها، وقد انتهى هذا الزواج كما تنتهي زيجات كثيرة بسبب عدم الكفاءة، ولعل هذا ما حدا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى أن يقول: «لأمنعن تزوج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء».ومن ضروب

عدم التكافؤ في الزواج أن يتزوج شيخ مُسن من شابة في ريعان الشباب، لأنه ثري أو ذو منصب مرموق، ولكنه فقد كثيراً من مقوماته كزوج، وتفاجأ الفتاة بأن أباها باعها بثمن بخس، وتنتهي الحياة الزوجية بأخطر آفة تصيبها في الصميم.

وقد حدث في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن شابة زوجها أهلها من رجل مسن فضاقت ذرعاً به، ولم تطق الحياة معه فقتلته، فلما رفع أمرها إلى أمير المؤمنين قال: أيها الناس اتقوا الله، ولينكح الرجل شبهه من النساء والمرأة شبيهها من الرجال. فانعدام الكفاءة في السن أو في الثقافة أو في المركز الاجتماعي من أخطر الآفات التي تصيب الحياة الزوجية، وإذا كانت هناك حالات انعدمت فيها الكفاءة ولكنها استمرت وبقيت فإنها تعتبر شذوذاً عن القاعدة.

■ **ويرى د. محمد مؤنس** أن مسألة اختلاف الأعمار قضية حساسة ومهمة جداً، فالرجل إذا تزوج بامرأة تصغره فلن يضيرها شيء، لامانع أن يكون الرجل هو الأكبر.. فكلما تقدم العمر بالرجل صهرته الحياة، وصقلته التجربة، ويستطيع الرجل حينئذ التفاهم مع زوجته حسب ظروفها النفسية والعقلية ويقدر على حمايتها بخبرته وحنكته ودرايته بأمور الحياة.. أما إذا حدث العكس وتزوج الرجل بامرأة تكبره بفارق كبير فقد تصعب بينهما الألفة والتفاهم، وتتعقد حياتهما، أما إذا كانت تكبره بفارق بسيط فلا بأس،

فالمرأة يبدو عليها السن أكثر من الرجل. فإذا كان الرجل أصغر منها بعشرين عاماً لا يمكن - بل يستحيل - أن يحدث بينهما أي نوع من الوفاق . . والرجل يحس أنه مظلوم، وأن من حقه أن يتمتع بامرأة جميلة وصغيرة، ومن حقه أن يعيش شبابه.

■ **وتؤكد د. أميرة عوني** أخصائية علم النفس أن الغيرة قد تصيب الزوجة إذا كانت أكبر من زوجها بشكل خطير، لأن كبر سنها سوف يجعلها تشعر أنها أقل أنوثة وجاذبية من الأخريات، وهذا الإحساس يجعلها ترى أحياناً بعض تصرفات زوجها رؤية خاطئة، وهنا تبدأ الغيرة عليه بصورة مرضية إذا تحدث مع أي امرأة، وتتخيل أن هذه الأحاديث قد تجاوزت الحدود، وقد تتحول هذه الغيرة أحياناً إلى شك يدمر الحياة الزوجية.

وقد تحدث بعض الآثار النفسية السيئة على الزوج، فبعد الاندماج في الحياة الزوجية بحلوها ومرها قد يشعر الزوج أنه ظلم نفسه لارتباطه بزوجة تكبره، ويبدأ في عقد المقارنات بين نفسه وبين أقاربه الذين هم في مثل سنه، وارتباطهم بزوجات صغيرات، ويخجل حينئذ ويخشى أن يعرف أحد أن زوجته أكبر منه كثيراً، وإذا توغلت في أعماق الزوج سوف تنعكس على حياته وتعامله مع زوجته، وقد تنهي حياتهما الزوجية النهاية المؤسفة.

وهناك بعض الحالات من الزوجات اللائي بلغن خريف العمر ومع ذلك يرفضن الاستسلام لسنوات الشتاء الثقيلة الزاحفة، عجلة الشباب في حياتهن توقفت إلا أنهن يدفعن بها للدوران من

جديد بمزيج من العناد والطموح، فيرتبطن بشباب في عمر أبنائهن إن لم يكونوا لهن كأحفاد.

وعندما يكون الحديث عن غرام الخريفيات فإن الأرقام وارتباطها بتعاقب الأيام والسنوات تنسلخ من قاموسهن، ليحل مكانها سراب زهري اسمه الأمل.

وجاء في استطلاع قامت به إحدى الصحف المحلية أن ظاهرة ارتباط النساء (الخريفيات) بشباب يصغرهن بعقود من الزمن هي من الظواهر المميزة، وقد بدأت هذه الظاهرة بالتحول إلى قاعدة شبه ثابتة في عالم المشاهير حيث يتعامل معها المجتمع بكل عفوية وعدم اكتراث، علماء النفس يرون فيها سلوكيات معقدة تتراوح بين الإثارة وتجديد الذات، والمراقبون المتفرجون على مواكب أعراس الجدات يرون فيها معجزات غرامية، وخوارق رومانسية في زمن أصبح فيه كل شيء ممكناً، لائحة الأعراس قد بدأت تتعاظم، وما يعرفه الناس قد لا يخرج عن نطاق ما ترويه الصحف، وتردده وسائل الإعلام عن المشاهير، وقد تكون الدائرة أوسع بكثير في أوساط الثريات.

■ تزوجت اليزابيث تايلور البالغة من العمر ٦١ عاماً من لاري فورتنسكي البالغ من العمر ٣١ عاماً وهو عامل جرافة في ورشة بولاية كاليفورنيا.

* أما مارجريت دوراس الزاحفة بخطى سريعة نحو العقد الثامن فقد تزوجت من ريان أندريه البالغ ٣٦ عاماً.

* الممثلة (أورسولا أندروس) تخطت العقد الخامس وعريسها (فوستوفالفون) يبلغ من العمر ٢٣ عاماً.

* تزوجت الممثلة راكيل والسن (٥٧ عاماً) من روبرت مور البالغ ٣٢ عاماً.

* تزوجت الممثلة ليزا ينيللي البالغة ٤٧ عاماً من بيلي ستريس البالغ ٢٩ عاماً.

■ **علماء النفس يقولون**: إن المرأة في سن الأربعين تدخل مرحلة البحث عن شريك يشاركها مسيرة فصل تساقط أوراقها الشبابية، ويعطي لحياتها نكهة من الإثارة، ولعل هذا ما يفسر حالات الطلاق للفنانات اللاتي تجاوزن سن الأربعين، إنهن يتخلين عن زواج روتيني بحثاً عن التجديد والإثارة، وعلى الرغم من وجود عائلة متكاملة إلا أن شيئاً داخلياً، يدفع هؤلاء في يوم من الأيام للتخلي عن الحياة الروتينية الرئيسية، والعودة إلى عتبة الصفر مع رجل أكثر شباباً.

المرأة اليوم تفتش عن أمور أخرى أكثر أهمية من الشباب، فهي تجني المال الكثير كي تستقل بحياتها، وتكون مسئولة عن نفسها. وهؤلاء اللواتي بلغن الأربعين وما فوق يتميزن بشخصيات خارجة عن المألوف، مستبدات ولكن لسن مسترجلات، يبحثن عن

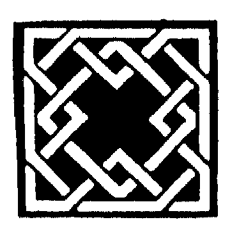
السلطة والقوة والمرتبة العالية، وبالتالي فإنهن يتلقفن رجالاً يقعون في غرامهن، لأنهم يفتقدون المرأة الأم، لذا يبادرون إلى إقامة علاقات مع نساء مسنات من هذا المنطلق النفسي.

■ وهذه امرأة في سن الخمسين تزوجت من رجل في الثلاثين تعبر عن شعورها قائلة: «لقد قلب حياتي رأساً على عقب، وخصوصاً في الفترة الأولى من تعارفنا، ولكن بعد مضي هذه الفترة أفقت على واقع جديد بأن الحياة مستحيلة معه، لأننا من جيلين مختلفين، لذا تركته وانتهى الأمر».

■ **وتروي أخرى قصتها قائلة**: تزوجت من شاب يصغرني بعشر سنوات، كنت دائماً أنجذب إلى الأشخاص الذين يتمتعون بالنشاط والشباب، معه أردت أن أحيا من جديد، ولقد ساعدني في العطاء والتقدم في عملي، معه أشعر ببهجة الحياة كما لو كنت صبية في عمر الزهور، وعندما يسافر للخارج أنتظره وأشعر بملل من الوحدة حتى يعود، وكان دائماً يبحث عندي عن الأمان والتفاهم والقدرة على الاستماع لما يقوله، وهذا الأمر لا تستطيع شابة في عمر العشرين أن توفره له.

■ **تجربة أخرى يحكيها زوج قائلاً**: تزوجت في سن الـ ٣٥ عاماً من زوجة تكبرني بعشرة أعوام، ودامت العلاقة الزوجية على أحسن ما يكون، فقد كنا نعيش قصة حب فريدة من نوعها باستثناء بعض الهفوات الصغيرة، ولم يشكل فارق السن أي مشكلة، ولكن

حينما مرضت زوجتي تمنيت أن أكون أكبر منها سناً لكيلا تموت قبلي ، فخلال مرضها كنت أنام وأنا ممسك بيدها، ولكن حرارة العلاقة بيننا لم تمنع أمر الله ، وتوفيت في سن ٨٨ عاماً وأنا في سن ٧٨ عاماً .



المطلقة والمجتمع

لقد جعل الخالق - سبحانه وتعالى - من الطلاق تسريحاً بإحسان عندما تسد السبل أمام الزوجين، فلا يجدان وسيلة يسويان بها خلافاتهما المستعرة التي وصلت إلى حد عدم العودة.. أو عندما تتحول حياتهما المشتركة إلى درجة من عدم التآلف يستحيل معها الالتقاء وبناء أسرة على قواعد سليمة من الانسجام النفسي والعاطفي والتربوي.

ولكن نظرة المجتمع للمطلقة نظرة قاسية، نظرة مملوءة بالريبة والتخوف حتى من بنات جنسها، ومن أهلها وجميع أفراد المجتمع.

إن النظرة الاجتماعية للمطلقة نظرة غير منصفة، حيث تبقى حبيسة القيل والقال، وتحيطها القيود من كل جانب بسبب هذا اللقب المرير، وقد يكون الطلاق لظروف خارجة عن إرادتها.

إن قضية المطلقة من القضايا الاجتماعية التي يعاني منها كل مجتمع، وينظر المجتمع للمطلقة نظرة قاتلة، ينظر إليها المجتمع على أنها استهلكت واستنفد دورها، وأنها مصدر للمتاعب والمشاكل حتى أهلها لا يرحموها من القيود والنظرات والهمسات التي تقتلها، وتسبب لها الكثير من الإجهاد النفسي والمعنوي، إذ

تنصب النظرة إليها على أنها من الدرجة الثانية، وأنها فقدت دورها في الحياة.

وتظل هذه النظرة الظالمة للمطلقة تلاحقها حتى تقع فريسة لكبار السن، أو لرجل غير مناسب حتى تهرب من هذا الظلم المحيط بها إلى ظلم أكبر.

■ **يقول الشيخ فراج إسماعيل**: إن المطلقة امرأة عادية مثلها مثل جميع النساء، ومن الممكن أن يفرض القدر على أي واحدة أن تحمل هذا اللقب المرير لظروف قد تكون خارجة عن إرادتها. إن المرأة التي تسعى للطلاق تكون هناك ظروف أقوى من أن تحتمل تدفعها لذلك، وقد أرهقت استقرارها النفسي فلم تعد تهنأ براحة البال التي تجعل من معيشتها مع زوجها لباساً له ولها.

ليست المطلقة امرأة فاشلة في حياتها الزوجية، ولكنها امرأة فشلت في الاستقرار الزوجي مع رجل معين قد يكون هو السبب، وقد تكون الظروف المحيطة بهما هي السبب، وهذه المرأة المطلقة ربما تصبح زوجة ناجحة جداً مع زوج آخر، لأنها تعلمت من تجربتها السابقة، وستكون أكثر حرصاً على زواجها الثاني مثل حرصها على ألا تحمل هذا اللقب المرير مرة أخرى.

إن نظرة المجتمع للمطلقة نظرة صعبة ظالمة.. نظرة لم تلتفت إلى سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وإلى سير أصحابه وأتباعه وسلف الأمة.

فهل كتب على المطلقة أن تعيش تعيسة بين شكوك وظنون ونفور من حولها؟!

وفي أحدث دراسة علمية سعودية[1] ثبت أن شعور المطلقات بأنهن مرفوضات أو منبوذات من الأبوين يجعلهن يملن إلى الانطواء والأنانية وعدم القدرة على تحمل المسئولية.. وأن فشل المرأة في حياتها الزوجية يعود إلى إهمال أمها لها قبل الزواج.

إن تربية الوالدين الإيجابية وخصوصاً من الأب تسهم في بناء شخصية الفتاة، وتساعدها في التكيف الحقيقي والواقعي في حياتهما الزوجية فيما بعد.. وإن المعاملة الزوجية بين الوالدين تؤثر على الصحة النفسية لابنتهما، فجو المشاحنات الأسرية يؤثر سلباً على الفتاة، كما أن معاملة آباء المتزوجات لزوجاتهم كانت أكثر إيجابية من معاملة آباء المطلقات لزوجاتهم، وأن معاملة أمهات المتزوجات لأزواجهن أكثر إيجابية من معاملة أمهات المطلقات.

إلا أن المطلقات يمثلن الشبح الدائم للمتزوجات، وتستبعد المتزوجات المطلقة من دائرة صداقتهن.. بل يعتبرنها خطراً محدقاً يهدد حياتهن الزوجية.. فيؤثرن البعد عنها اتقاء لشرها، وخوفاً من أن تخطف أزواجهن.

ومن استطلاع أجرته جريدة المدينة حول هذا الموضوع نستعرض بعض الآراء التي تثري الموضوع وتجعله أكثر فهماً:

---

(١) الدراسة نشرتها جريدة المسلمون وتمت على ١٨٦ مطلقة و ٢٠٠ متزوجة.

■ **تقـول سيـدة:** على الـرغم من أننـا على أعتاب القرن الحادي والعشرين إلا أن نظرة المجتمع للمطلقة كما هي لم تتغير، فهي في نظر الجميع وخصـوصاً الزوجات شبح يرهبونه ويخشون وجوده في المجتمع، ولاسيما من تتمتع بمال وجمال، وقد تتطور الأمور إلى الأسوأ وتصبح أعز الصديقات يوماً ما شريكة معها في زوجهـا، ومن هنا ينبع خوف المرأة مما يجعلها تتجنب صديقاتها المطلقات، وذلك للإبقاء على كيان الأسرة والمحافظة عليها، ودرءاً للشبهات.

■ **ورأي ثان يقول:** الأجدى للمرأة أن تخاف على زوجها ممن لم يسبق لهن الزواج لا من المطلقة، لأن الرجل يقبل على الزواج من امرأة تصغره سناً، وليس لديها مشاكل من زواجها الأول، لأن من يرتبط بالمـطلقـة يكـون مضطراً لذلك، لوفاة زوجته مثلاً واحتياج الأبناء لمن ترعاهم.

■ **وترى ربة بيت** أن من تحافظ على بيتها وزوجها لا ترتكب حماقة، ولذلك قد تلجأ وبطريقة فطرية لا غبار عليها إلى الابتعاد عن كل ما من شأنـه أن يعكـر صفـو الحياة مما يجعلها في نظر الآخرين تقوم بأفعال قد تكون غريبة ولكنها نابعة من صميم طبيعة المرأة الغيورة على بيتها ومصلحته.

■ **وهـذه وجهة نظر أخرى** تعتقد أن نظرة المجتمع للمرأة المـطلقـة تغيرت، فهي قبـل كل شيء امـرأة لم توفق في حياتها الـزوجية، ولم يحـالفهـا الحظ وتعثرت خطاها، وكان الطلاق هو

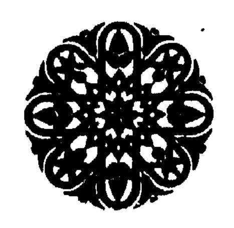
الحل الأمثل. . وإن تصرف وخوف المتزوجات من المطلقات ليسا شاملين، بل يصدران من القليلات، وممن ليس لديهن الثقة الكاملة بأنفسهن وبأزواجهن. . ولو أن كل امرأة وضعت نفسها مكان المطلقة لعلمت أنها ارتكبت جرماً في حق المطلقات بتلك المخاوف والشكوك.

■ **وهذه سطور لمعاناة مطلقة وأرملة تقول**: أحمل لقب أرملة ومطلقة في آن واحد، فمنذ خمس سنوات مات زوجي، وتزوجت بآخر متزوج، ولم تستمر الحياة معه أكثر من عامين لمشاكل لا حصر لها.

والجميع ينظر إليَّ نظرة أنني صاحبة سابقة، فقد تزوجت من رجل متزوج ويدعونني «بخاطفة الرجال» . . وأصبح الجميع يعاملونني بقسوة، فما أن أتكلم أو أزور إحدى قريباتي أوجاراتي حتى تتصور أنني أخطط لخطف زوجها، فهل معنى هذا أن أعتزل الناس لا أزور أحداً ولا يزورني أحد؟ لماذا لا يتركنا الناس في همومنا وأحزاننا؟!

■ **وترى د. ليلى عبدالغفار** أخصائية الأمراض النفسية بجامعة الملك فيصل أن خروج المرأة من تجربة الزواج مطلقة يعد وضعاً غير طبيعي في ظل المجتمع الشرقي الذي نعيش فيه، ولذلك تعاني المطلقات من ظروف نفسية واجتماعية صعبة في الوقت نفسه، كما أن الزوجات يخشين من دخول المطلقات بيوتهن، لأن الطلاق معناه الإعلان عن طرح بدائل جديدة حول

المطلقة مثل الزواج من أرمل له أولاد، أو مطلق يعيش ظروفها نفسها، وتشعر المطلقة في ظل هذه الأجواء المضطربة بتأنيب الضمير، وعدم الرضا وإلقاء اللوم بصورة أو بأخرى على نفسها في فشل حياتها الزوجية، مما يزيد من حدة الصراع النفسي لديها ولن ينتهي من حياة المطلقة إلا إذا تزوجت مرة أخرى، أو تناست تجربتها الأولى وكانت على درجة كبيرة من الوعي والثقة بالنفس..
ويجب على المطلقة التدقيق عند الاختيار في الزواج الثاني بعد دراسة كافية للأخطاء التي وقعت فيها في الماضي حتى تسير على الطريق الصحيح.



من يتزوج المطلقة؟!

إن النظرة المجحفة التي تطارد المطلقة سواء من أهلها أو أقاربها أو جيرانها وكل أفراد المجتمع نظرة بعيدة كل البعد عن سماحة ديننا الحنيف وسنة رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وهذه النظرة ظلم للمطلقة بالإضافة للظلم الذي تعرضت له خلال تجربتها الأولى، والتي قد تكون عانت فيها الأمرين ولاذت بالصمت والصبر إلى أن وصلت إلى طريق مسدود، وقد تكون اختارت هذا اللقب حفاظاً على دينها وصلاحها خصوصاً إذا كانت مع زوج لا يرعى حدود الله ومحارمه، وهذا لا يلغي أن تكون الزوجة سبباً في حدوث الطلاق.

يقول د. **محمد محمود الربة** (أخصائي نفسي) في لقاء معه نشر في جريدة الجزيرة: إن عدول وعزوف الرجال عن الزواج من المطلقة يرجع إلى:

أولاً: النظرة إليها من الناحية النفسية، حيث نجد المرض النفسي أعلى في المطلقات منه في المتزوجات، وقد يكون ذلك بسبب أن الطلاق يحرم المرأة من مصادر الإشباع النفسية والاجتماعية التي يحققها الزواج، وبذلك يكون الطلاق سبباً للمرض النفسي أو يعتبر من مظاهره وأعراضه.

ثانياً: عجز المطلقة عن القيام بالمسئولية، وعدم قدرتها على التكيف، فالعلاقة الزوجية هي أهم العلاقات الإنسانية.

ثالثاً: الخوف من الفشل لإحساسه أنها مازالت متعلقة بآخر.

رابعاً: النظرة إلى المطلقات ومعهن الأولاد فلا ينفق على غير ولده.

خامساً: نظرة المجتمع إلى المطلقة بحساسية، بأنها لا يصح أن تتزوج مرة ثانية.

سادساً: الأمراض العضوية كالعقم أو أمراض أخرى.

ولا يعني هذا كراهية الزواج من المطلقة، فعلى الرغم من أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد رغب وحبب في الزواج من البكر إلا أنه عليه السلام لم يتزوج بكراً إلا عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

- إن الإعراض عن الزواج من المطلقة له من الآثار والأخطار الجسيمة التي تقع على كاهل هذه المرأة التي تعاني الكثير من الأمراض النفسية والعضوية والاجتماعية نتيجة نظرة المجتمع الظالمة لها، كما أن له من الأخطار التي تصيب المجتمع ككل وتحدث الفتن وتنشر الرذيلة نتيجة الإعراض عن الزواج من هذه الفئة المطلقة.

ويجيب أهل الشرع والفكر على هذا التساؤل «من يتزوج المطلقة» من خلال تحقيق قامت به جريدة «المدينة» حيث أكد الكثيرون أنه يتزوج المطلقة الرجل الواعي بالأمور، الحريص على شرع الله.. ونقتطف بعض آراء أهل الشرع والفكر حول هذا الموضوع:

■ **الشيخ أحمد بن قاسم الغامدي** مدير إدارة القضايا والتحقيق بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمنطقة الغربية يقول: إن الطلاق ليس مشيناً في شرعنا إذا تعذرت الحياة الزوجية، ولا تعتبر المطلقة مذنبة أو عضواً غير صالح في المجتمع، وكذلك المطلق، وذلك لمن اتبع طريق الشرع في الطلاق.. ومن ينظر إلى المطلقة نظرة المرأة التي لا تصلح للزواج أو احتقرها وأهانها فإنه امرؤ فيه جاهلية.. فالطلاق ليس معياراً لصلاح المرأة أو فسادها، ولنا في رسول الله أسوة حسنة الذي زوجه الله تعالى زينب بعد أن طلقها أسامة.. فأصبحت إحدى أمهات المؤمنين، ولم يعتبر ذلك عيباً، ولم يعتبرها المجتمع الإسلامي الأول محتقرة ولا منبوذة، بل كانت تفتخر بعد بذلك الشرف.. وليس في نكاح المطلقة غضاضة، بل قد يكون سبب ذلك هو صلاحها ودينها.

■ **ويرى د. محمد الغماري** أن النظرة الاجتماعية للمطلقة بأنها امرأة غير صالحة هي نظرة خاطئة جداً، وكثير من المطلقات تزوجن وأصبحن من أفضل النساء، والرغائب والطبائع تختلف من شخص لآخر، وقد طلقت كثير من النساء وهن من خير نساء

المجتمع . . فيجب ألا يحمل المجتمع الزوجة ، كل الأسباب ، لأن الخطأ وارد من الزوج أو الزوجة إن معاملة المطلقة معاملة قاسية أمر لا يتفق مع تعـاليم الشريعة الإسلامية ، لأن الشريعة جاءت لتدرأ المفاسد، وتجلب المصالح للعالم أجمع . إن قصة السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب فيهـا من العبـر الكثير حيث طلقت من عبـدالله بن جعفـر، ثم تزوجهـا محمـد بن جعفر، ثم طلقت منه وتزوجها آخر، وكان كل واحد يسعد بها سعادة عظيمة .

■ إن النظرة إلى المطلقة ينبغي أن تنطلق من عقلها وسلوكها ودينها وعلمها ودورها في المجتمع ، فبقدر تمتعها بالأخلاق العالية والسلوك القويم والإيجابية الاجتماعية تكون نظرتنا اليها . . وكل من يستصغر أو يحتقر أي امرأة مطلقة فهو مخطىء ومجانب للصواب كما يقول د. نايف بن حامد الشريف الأستاذ المساعد بقسم التربية الإسـلامية بجامعة أم القرى: إنه من خلال الملاحظة والاستقراء للحالات الواقعية فإن المطلقة تحظى بنصيب أوفر من الفتاة البكر في النجاح الأسري ، فالتجربة الأولى أكسبتها ثراء فكرياً وقدرة أكثر على حسن الاختيار، وتجاوز العقبات .

■ ويشير د. محمـد المنسي الأستـاذ المساعد بجامعة أم القرى إلى أن الطامة الكبرى هي أن يلقي المجتمع بكل ثقلة على تذنيب المـطلقـة ، بل يصـل إلى حد تصنيفهـا ضمن إحـدى التصنيفات الآتية :

- المطلقة عضو خارج جماعة المتزوجات: حيث تلقى اللائمة عليها دوماً مهما كانت الأسباب.
- المطلقة تنقلب عدوة لمطلقها، وينسى الزوج قوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولا تنسوا الفضل بينكم**﴾[1] وقوله: ﴿**وتسريح بإحسان**﴾[2] فيظهر عيوبها الحقيقية-والوهمية كحيلة دفاعية يدفع بها عن نفسه كل أخطائه، وكأنه معصوم من الخطأ.
- حين تعود المطلقة إلى أهلها تجد نفسها غريبة وحيدة بين أخوتها، وقد يحرمونها من أولادها بعودتهم إلى أبيهم، وتجد من سوء المعاملة ما تحس به أنها منبوذة وغير مرغوب فيها.

ولعل ما تعانيه المطلقة من ظلم إذا تزوجت حيث يقولون: تركت أبناءها، أو أنها تحب نفسها، أو يكون زواجها شبه خفي وكأنه جريمة.

وما نراه من القصص الواقعية للبؤس الذي تعيش فيه المطلقة كل ذلك دليل على هذا الظلم الفادح، ومن ذلك:

■ فتاة تزوجت في عمر ١٦ سنة، وعاشت مع أهل زوجها وكانت تتدلل على زوجها مما أثار حفيظة أمه، وبدأت الشكوى والاتهامات والمضايقات إلى أن هربت إلى منزل أهلها، وطلقها زوجها،وبدأت سلسلة أخرى من المضايقات من أخيها الأكبر الذي

---

(١) من الآية ٢٣٧ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.

يحسب عليها كل حركة وكلمة وينظر إليها نظرة مختلفة على الرغم من أنه لا يوجد ما يشينها سوى أنها مطلقة، فأصيبت بالاكتئاب ونوبات نفسية وكأنها مجنونة، وبعد خمس سنوات عاد إليها زوجها ليرجعها بعد أن كال لها من الاتهامات والظنون فرفضت العودة إنقاذاً لكرامتها، ودفع هو الثمن متمثلاً في رفضها له.

■ وهذه قصة لزوجة سافرت مع زوجها لإحدى الدول العربية وتعرفت على إحدى قريبات زوجها التي تدرس بمفردها في هذه البلد، وكثرت الزيارات ولا حظت الزوجة غياب زوجها واكتشفت أنه يزورها وتزوجها فانهارت الزوجة، وعادت إلى أهلها وأولادها الثلاثة بمساعدة أخيها. فما كان من الزوج إلا أن أغدق عليها المال، واشترى للابن الأكبر سيارة كي تقبل حضانة الأولاد بشرط ألا تتزوج، وعندما اطمأن لذلك امتنع عن الإنفاق وسحب السيارة، ولم يعد يتصل بهم، وتزوجت آخر تكفل بأولادها وما أن سمع مطلقها بخلافات خفيفة بين أولاده وزوج أمهم حتى عاد وهدده، فانسحب الزوج الثاني تاركاً هذه المسكينة وأولادها، وتعيش على راتبها من وظيفة صغيرة - كما تقول الأستاذة صالحة حامد عطية المشرفة الاجتماعية بمكة المكرمة - وهناك الكثير من المشكلات التي نراها ونتعامل معها نتيجة ظلم المجتمع للمطلقة.

■ **الأستاذ عواض بن مبارك حلواني المحامي القانوني** يرى أن الزواج من المطلقة من أحسن الزيجات، لأنها تحاول أن تتمسك بالزوج الثاني متجنبة الأخطاء التي مرت بها، وخصوصاً إذا كان الزوج شاباً، وعلى خلق، ويرعاها ويخشى الله تعالى، لأن الطلاق يندرج تحت «لا يجتمعان ولا يفترقان إلا بقضاء الله وقدره». أما أن تتزوج المطلقة الشابة من أرمل تخدم أولاده أو رجل مسن تكون ممرضة له فهذا ظلم لها.

■ إن المطلقة أيام السلف الصالح الذين كانوا خير أسوة لم تكن تعاني من هذا الجهل والظلم الذي نراه اليوم في المجتمع، لقد كانت زوجات بعض الصحابة في الأصل مطلقات ـ كما يقول الشيخ عبدالله برناوي أستاذ القراءات بمعهد الحرم المكي ـ فهذه أسماء بنت عميس ـ رضي الله عنها ـ تزوجت من أبي بكر الصديق ومن جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ كما أن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يتزوج بكراً إلا السيدة عائشة بنت أبي بكر، وقد تزوج عليه الصلاة والسلام من زينب بنت جحش، ـ رضي الله عنها ـ بعد طلاقها من زيد بن حارثة، ولم يكن ينظر عليه الصلاة والسلام وأصحابه إلى المطلقة مثل هذه النظرة التي نراها من بعض الأسر هذه الأيام.

■ إن نظرة السواد الأعظم من الناس في المجتمع العربي تجاه المرأة المطلقة نظرة نبذ ونقد، وهذا حكم قاس، بل جريمة، أي اعتبار هذه الزوجة مرتكبة لجرم كبير كما يرى العقيد محمد صالح البركاتي مدير إدارة الحقوق المدنية بمكة المكرمة ـ كما أن الإعراض عن الزواج من المطلقة والمعاملة القاسية من أهل المطلقة فيهما منتهى الإجحاف بحقوق هذه المطلقة، التي تمتهن كرامتها في بيت أهلها، وتعامل بالقوة والغلظة والنظر إليها وكأنها مجرمة في حق نفسها ومجتمعها وخصوصاً أنها تكون ضحية هذا الطلاق ولا دخل لها بوقوعه، وتكون قد تحملت من الذل والهوان كثيراً.

إن المطلقة قد زودتها التجربة بالخبرة الكافية لمعرفة كيفية التعامل مع شريك الحياة في المستقبل دون نرجسية، فالمطلقة إنسانة وإن اكتسبت لقب مطلقة، وهي أكثر مرونة في مواجهة المشاكل بمختلف أنواعها وألوانها.

المراجع

● أولاً - الصحف والمجلات :

١ - جريدة «المسلمون».
٢ - جريدة الجزيرة.
٣ - جريدة الرياض.
٤ - جريدة المدينة.
٥ - جريدة المسائية.
٦ - جريدة الندوة.
٧ - جريدة البلاد.
٨ - جريدة عكاظ.
٩ - المجلة العربية.
١٠ - مجلة اليمامة.
١١ - مجلة الرجل.
١٢ - مجلة زهرة الخليج.
١٣ - مجلة الدعوة.

ثانياً ـ الكتـب :

١ ـ الزواج في ظل الإسلام ـ عبدالرحمن عبدالخالق ـ مكتبة السنة.
٢ ـ الحقوق المتعلقة بمتعة المطلقة ـ د. فيحان بن شالي المطيري ـ دار العاصمة.
٣ ـ أمراض الحياة الزوجية ـ د. سامي محمود ـ الدار المصرية للنشر والتوزيع.
٤ ـ حقوق المرأة في الإسلام ـ د. محمد بن عبدالله عرفة ـ مطابع الفرزدق التجارية.
٥ ـ الزواج ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ مؤسسة الجريسي.
٦ ـ من الخطوبة إلى الزواج ـ يوسف سعد ـ المركز العربي الحديث.
٧ ـ المرأة في القرآن الكريم ـ يحيى عبدالله المعلمي ـ دار خضر.
٨ ـ صفـة الـزوجـة الصـالحة في القرآن والسنة ـ عبدالله بن يوسف الجديع ـ ابن تيمية.
٩ ـ الرسائل الثلاث ـ سليمان بن محمد الحميضي ـ دار الثقافة للطباعة.
١٠ـ الزوجات الأعداء والزوجات الأسوياء ـ د. رمضان حافظ ـ المركز الدولي للنشر والإعلام.
١١ـ فتاوى ورسائل للنساء ـ محمد بن صالح العثيمين ـ مكتبة التراث الإسلامي.

فهرس الموضوعات





NDP
شركة مطابع نجد التجارية
تلفون: ٤٤٨٨٠٢٤ - ٤٤٨٨٠٢٦ فاكس: ٤٤٨٠٧٥٥